سلسلة قراءات فى التاريخ القديم ١
تاريخ وحضارة
اليونان
دراسة تاريخية أثرية
HELLAS-HELLENES
الأستاذ الدكتور
محمود إبراهيم السعدنى
الدار الدولية للاستثمارات الثقافية القاهرة - مصر

سلسلة قراءات فى التاريخ القديم

(1)

تاريخ وحضارة اليونان

«دراسة تاريخية - أثرية»

تأليف

الاستاذ الدكتور / محمود إبراهيم السعدنى

استاذ تاريخ الحضارة اليونانية – الرومانية ، جامعة حلوان

ورئيس قسم اللغة اليونانية الحديثة

جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

2008

الناشر

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية

الدار الدولية
للاستثمارات الثقافية ش.م.م

تاريخ وحضارة اليونان «دراسة تاريخية أثرية»

أ.د. محمود إبراهيم السعدنى

رقم الإيداع: 23237 /2008
I.S.B.N 977-282-369-1

الطبعة العربية الأولى 2008

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م.

ص. ب: 5599 هليوبوليس غرب/ القاهرة.
تليفون: 26221944 / 26222105 فاكس: 26222105(00202)
بريد إليكترونى: ihci@link.net

International House for Cultural Investments S.A.E

P. O. Box 5599 Heliopolis, West, Cairo, Egypt

E-mail: ihci@.net

بسم الله الرحمن الرحيم

"ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وهيئ لنا من أمرنا رشدا"

« ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطائنا »

« ربنا ولا تحمل علينا إصراً ، كما حملته على الذين من قبلنا »

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، وأعفَ عنا ، وأغفر لنا ، وارحمنا »

صدق الله العظيم

الإهـــداء :

إلى روح أبى .... (يرحمه الله) .

وإلى أمى .... (متعها الله بالصحة والعافية) .

جعلهمـا الله لنا دومًا رمزاً للإيمان العـميق وللإخلاص اللامحدود ، وقـدوة حسنة ، فى الصبر الصادق والعمل الصالح .

وإلى أسرتى :

زوجتى : سند الأمس واليوم والغد.

وأولادى : هَمُّ اليوم وأمل الغد .

وإلى أساتذتى العظام ورواد الأجيال فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، بكل الحب والوفاء والعرفان.

وإلى اليونان ، بلد الحضارة العريق ، أساتذةً ، وحكومةً ، وشعبًا ..

إلى كل أولئك جمـيعـاً ، أهدى هذا الكتاب المتواضع ، لعـله يشرفنى .. ويسعدهم .

أ. د. محمود السعدنى

الفهرس

تقديم الطبعة الأولى (الرياض / السعودية)

يسعدنى أعظم سعادة أن أتقدم إلى القارئ المتخصص فى التاريخ والحضارة الأوروبية القديمة بعامة ، وفي تاريخ وحضارة اليونان القديم بخاصة ، وذلك لمعرفة أصول بعض مظاهر الحياة وأنماط التفكير الأوروبى ، الذى لايزال-إلى يومنا هذا- يعيش حياً متجدداً فى المجتمعات الأوربية أتقدم بهذا الجهد المتواضع وكلى ثقة وأمل: ثقة فى حسن تقدير القارئ العربى الذكى اللماح ، وفى عدالة قراره وتقييمه لهذا الكتاب ، وآمل فى أن يسد هذا الكتاب فراغاً علمياً فى نوع الدراسة التى يقدمها ، وفى منهجه لعرض تلك الدراسة.

إننى ، هنا أتقدم بقراءة متعمقة لتاريخ وحضارة اليونان القديم ، مكتفياً بالمراحل الأولى الباكرة فى تاريخ نشأة تلك الحضارة ، راصداً لأهم العوامل والمؤثرات التى حددت أنماط السلوك ومظاهر النشاط السكانى ، فى كل منطقة حضارية على حدة ، فضلاً عن معرفتنا لمراحل التفكير اليونانى المختلفة عبر آلاف السنين وصولاً إلى ما قبل العصر الأرخايكى القرنين (السابع والسادس قبل الميلاد) ، حيث ظهرت البدايات الحقيقية والمقدمات الفعلية للعصر الذهبى فى تاريخ الحضارة اليونانية القديمة .

وجدير بالذكر فى هذا المقام ، أن أنوه إلى التزامنا بوجود اللفظة اليونانية (بحروفها الأصلية) وبنطقها الحديث أو (القديم فى بعض الحالات)- وإن كنا قد فضلنا نطق المفردات باللسان اليونانى الحديث ، وذلك زيادة فى الفائدة المرجوة مستقبلاً ، وتطبيقاً لمبدأ يونانى تعليمى معاصر ، يرفعه اليونانيون ، الآن ، إلى كل الجامعات الأجنبية التى تدرس لغتهم وحضارتهم القديمة ، ويطالبونها بنطق حديث لكل ما هو قديم ، كما يفعلون هم أنفسهم فى اليونان ذاتها عند تدريسهم للغتهم القديمة، وحضارتهم وآثارهم ، **ولهذا فلايعقل أن نكون نحن ، اليوم ، ملكين أكثر من الملك نفسه ؟!!.**

ولذلك فقد أتيت بالعديد من الصور واللوحات لتوضيح المادة العلمية ، والتى بدونها لاتستقيم المعلومة ، التى عادة ما يستعان فى شرحها بالشرائح الملونة (Slides)، فكيف إذن تكون المادة العلمية ، فى كتاب بدون تلك اللوحات ؟ !!

لقد كانت سعادتى بلا حدود ، عندما فاجأنى بعض طلبتى واصفاً فى ورقة الإجابة-آخر العام-لبعض المناظر التى شاهدها فى المحاضرة.

والحق أن ما بأيدينا ، الآن ليس إلا قراءة واستعراض لموضوعات تاريخية ،

راعينا فيها التسلسل التاريخى لمشوار الحضارة اليونانية القديمة ، ولكن مع تأكيد أكبر على الجانب الحضارى فى ضوء الدليل الأثرى المتاح لنا حتى يومنا هذا . وذلك إنطلاقاً من فهمنا للتاريخ القديم وخصوصياته الشديدة ، التى تتمثل فيما يلى :

(1) كثرة الفجوات التاريخية .
(2) أحادية المصادر المكتشفة ، مما يفرض إتجاهاً واحداً لسير الأحداث ، دونما تبرير أو نقد .
(3) ندرة الدليل الأثرى المباشر للحدث التاريخى القديم ، ولا سيما لفترات ما قبل الكتابة التاريخية والتسجيل فى مصادر أدبية متنوعة .
(4) خطورة التأويل الزائد للمادة الأثرية المعاصرة ، ذلك الدليل الصامت ، الذى لايكذب ولايتجمل .

الرياض / 1997 م

أ.م.د. محمود السعدنى

تقديم الطبعة القاهرية الأولى

وأخيراً ، وبعد طول انتظار وترقب لأحوال النشر فى القاهرة ، وبعد انقضاء عقد الطبعة الأولى السعودية ، تلقفت بسعادة حقيقية عرض الدار الدولية لإعادة نشر كتابى هذا «تاريخ وحضارة اليونان» ، وكذلك كتابى «تاريخ وحضارة الرومان» ، لما هذه الدار من سمعة طيبة وإلتزام أخلاقى وتعاقدى ، فضلاً عن الإخراج الحديث بتكنولوجيا اليوم فى عالم نشر الكتب العلمية .

وها نحن نجتهد أكثر ، ونعرض مادتنا ، هذه المرة ، بحروف لاتينية ، فيما يخص المصطلحات الأثرية والتاريخية ، حتى تتسع دائرة الفائدة بين قارئى العربية ، ولانفرض عليهم تعلم الحروف اليونانية . كما حاولنا تبسيط عرض بعض الموضوعات (وخاصة حول الحضارة الميكينية) ، وإعادة ترتيب المادة العلمية .

ولما كنا نؤمن بضرورة وجود الصورة ، إلى جانب المتن العلمى الوصفى ، فقد أضفنا المزيد من اللوحات لزيادة اليقين الأثرى ، ومن ثم التثبت المعرفى لدى القارىء العربى .

القاهرة / 2007 م

هذا وبالله التوفيق ، وعليه قصد السبيل .

أ.د. محمود إبراهيم السعدنى

تمهيــد ضــرورى

(أ) بين الماضى والحاضر - تراث خالد :

يقـول أرنـولد توينبى[1] فى معرض حديثه عن الحضارة الهيللينية– ولايقول الحضارة اليونانية[2] لأسباب نراها نحن كذلك وجيهة ومقنعة : **«عندما يحاول المرء أن يكتب تاريخ حضارة ما ، فإنه لمما يعينه أكبر العون أن يشاهد جانباً ، ولو ضئيلاً من المسرح الذى دارت عليه حوادث المسرحية . وإن لمحة عابرة واحدة ، يلقيها المرء على طبيعة الأرض لتخبره بأكثر مما تخبره به سنوات طوال يقضيها فى دراسة الخرائط والنصوص»** .

ومـن نفـس هـذا المنطـلق ، كـان لإقـامــتـى فـى اليـونـان ، فـى المـدة من 1974 - 1984 أكبر الأثر فى صياغة العديد من الإجابات عن تساؤلات كثيرة حول مظاهر الحضارة اليونانية القديمة ، والتى بهرت دارسى الحضارات القديمة فى العصر الحديث ، وجعلت الرجوع إلى ينابيع الثقافة والفكر اليونانى القديم ، ضرورة حتمية لكل من يرغب الإتصال بالأصول والبدايات الأولية لمجالات شتى فى العلوم والفنون، فتقوم جامعات العالم المختلفة الآن بتدريسها لشباب أجيالها ، كدعامة أساسية لكل راغب فى العلم بمصادر تلك العلوم والفنون.

إن يونانىَ عصرنا الحديث على علم تام بحضارتهم العريقة ، وكثيرى الفخار والزهو بذلك . هذا وإن كان أنجح عناصرهم ، علمياً ، مازال يعيش فى الخارج ، فى كل بقاع الأرض . إن اليونانيين كانوا من أكثر شعوب العالم قدرة على التكيف والتأقلم مع المجتمعات الجديدة ، فما زالوا يرددون إلى اليوم مثلهم المشهور :

«ópou ges kai patrís.» أى : «حيثما توجد الأرض (لتسكن) فهى بلدك» .

كما أنك إن أردت أن تفتح مجالاً للحوار مع أى منهم ، فإنه سيبادرك قائلاً :

«Ákouse me próta kai metá pes óti thes.»

أى : «استمع إلىَ أولاً ، ثم قل ما شئت» .

---

(1) تاريخ الحضارة الهيللينية ، ترجمة (رمزى عبده جرجس) ، راجعه الدكتور محمد صقر خفاجة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1963 (سلسلة الألف كتاب) صفحة 2 .

(2) المرجع نفسه ، ص ص7 - 11 .

فضلاً عن أن اليونانى إذا ما أحس بأن محادثه يريد خداعه ويلفق له الأكاذيب حتى تنطلى عليه روايته ، فإنه يوافق قبل أن يستكمل سرده بقوله :

أى : «لاتمثّل علىّ!» ، «Me mou káneis théatron» .

فمن هذه الأمثلة الثلاثة السابقة ، نستطيع أن نستشف منها ثلاث مقومات رئيسية فى الشخصية اليونانية المعاصرة ، والتى لابد أنها كانت بدورها هى سمات رئيسية فى ملامح شخصية اليونانيين القدماء ، أولئك الهيللينين . تلك المقومات ، يمكن إيجازها فيما يلى :

(1) القدرة الفائقة على معايشة الأجانب والتكيف فى المجتمعات الجديدة عليه تماماً، بل والأكثر من ذلك «الإستعداد للمغامرة والسفر والترحال إلى أى مكان آخر غير بلاده وذلك أملاً فى تحقيق أحلامه والعيش الأفضل والإستمتاع بحياة رغدة لم تستطع بلاده نفسها أن تمنحه إياها .

وهذا الاستعداد للإغتراب لم يكن مجازفة كاملة ، غير محسوبة العواقب ، بل كان يسبقها إعداد وترتيب لكل شىء ، بالضبط كما كانوا يفعلون عندما يخرجون لإنشاء مستعمرات خارجية فى القرنين الثامن والسابع ق.م حتى عرف هذان القرنان فى التاريخ القديم باسم «عصر المستعمرات» .

فمثلاً فى حالة احتلال اليونانيين القدماء للساحل الليبى ، فى منطقة قورينى (Kyréne) حوالى 630 ق.م أرسل زعماء جزيرة ثيرا (Théra) شمال جزيرة كريت ، مجموعة من الرجال الأشداء لجمع المعلومات عن هذا المكان . ثم عادوا فأبلغوا ذلك إلى زعمائهم ، الذين قاموا بإعداد حملة كاملة لاحتلال هذا المكان حيث استقرت فيه جماعات كثيرة من اليونانيين وجعلت من قورينى مستعمرة يونانية ذات تأثير قوى فى أحداث المنطقة لعدة قرون[1] .

(2) الإيمان الذى لا يتزحزح بحق الفرد فى التعبير عن رأيه ، واستعداده الدائم للدفاع عنه ، أولاً ، ثم قناعته بحق زميله فى مجتمعه فى إبداء رأيه هو الآخر ، أى إيمان اليونانى وممارسته الفعلية وحرصه على ذلك الحق فى ديمقراطية الحوار ،

(1) إن أفضل من كَتَب فى هذا الموضوع هو :

Littman, R.J., The Greek Experiment : Imperialism and Social Conflict; 800-400 B.C., London 1974, pp. 45-69.

وقامت علي ترجمته الزميلة د./ منيرة كروان ، ضمن سلسلة الألف كتاب للمشروع القومي للترجمة الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة ، برقم (150) ، وبعنوان : «التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعى» ، القاهرة ، 2000 م .

ومن هنا كانت الديمقراطية (Demokratia) هى اختراع يونانى منذ أقدم العصور، ذلك لأن المدينة – الدولة (Pólis - Krátos) وهى أقدم صور المجتمع اليونانى المنظم –منذ بداية القرن الثامن ق.م –حرصت على تأكيد حرية المواطن (Polítes) وإعطائه حقوقه كاملة ، قبل أن تلزمه بواجباته تجاه مجتمعه، تلك الحرية (Eleutheria)التى كانت أهم أركان وخصائص تلك المدينة . ومن هناك كذلك ، كان وصف أرسطو للمواطن اليونانى أو للإنسان بصفة عامة ، بأنه حيوان سياسى (Politikón ón)[1] أى أنه يعيش داخل تجمع بشرى ، يمارس معه حقوقه السياسية فى تكوين واختيار ممثليه ، فى حكومة شعبية ، مختارة من العامة .

إن الشعب اليونانى ، إلى يومنا هذا ، ما زال يمارس حقه بمنتهى الحرص والحذر الشديدين وبالذات عند انتخاب ممثلى البرلمان والأحزاب ويعتبر هذا سراً، لا ينبغى أن يفصح عنه لأى مخلوق وها هو قد غيّر سنة 1974 حكومته الديكتاتورية برئاسة پاپادوپولوس الطغمة العسكرية وأتى بزعماء سياسيين من منفاهم الاختيارى ، وكوّن حكومة ديمقراطية من جديد دون أدنى تطرف أو لجوء إلى القوة المسلحة لإتمام هذا التغيير الجذرى وضرب بذلك مثلاً على قوة الإيمان بالديمقراطية وسلامة ممارسة حقوقه السياسية التى هى تراثه المجيد .

(3) الفطنة والذكاء ، وكره التذاكى من جانب الآخرين ، وإدراك أن المسرح (ذلك العمل الفنى) ما هو إلا كذب ونفاق وتمثيل لمواقف غير حقيقة ، كما أنه تشخيص لأناس غير حقيقيين كذلك . من هنا كانت عبقرية اليونانى القديم فى تقليد مواقف وتمثيل لأشخاص غير حقيقيين تقبلهم المجتمع اليونانى القديم . وكان المسرح، مبعث سرور لهم وترويح عنهم ، بعد أن كانت ، مثل هذه التمثيليات فى بداية عهدها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاحتفالات الدينية الديونيسية[2] (Ta Dionyseia) .

من هذا المنطلق أحبّ اليونانى ، وما زال يحب المسرح ، الذى اخترع فنه ووضع أسسه وقوانين عمله ودعامات نجاحه . فكان المسرح اليونانى القديم بحق

---

(1) أنظر أفضل عمل صوّر الحياة السياسية والاجتماعية فى أثينا القديمة . وهو «دستور الآثينيين» ترجمة د. طه حسين . فى سلسلة المجموعة الكاملة لمؤلفات د. طه حسين ، المجلد الثامن «علم الاجتماع» بيروت (الطبعة الثانية) 1975 ، ص ص 295 - 452.

(2) نسبةً إلى الإله ديونيسوس ، إله المرح والشرب والعربدة عند يونانىّ العصر الكلاسيكى ، راجع/ عبد المعطى شعراوى ، الأساطير الإغريقية ، جـ1 ، جـ2 ، القاهرة .

مفخرة الإنتاج الانسانى لكل العصور ، حتى يومنا هذا إلى درجة أصبحت فيها الآداب الكلاسيكية ، بعامة فيما بعد ، تمثل نبعاً لمدرسة من مدارس الأدب العالمى ، وإن كانت الكلاسيكية الحديثة ،تقع على طرفى نقيض من الكلاسيكية القديمة التى دفعت الكتاب والشعراء اللاتين إلى تقليد الإغريق[1] .

إن المجتمع اليونانى القديم كان يتمتع بمجموعة من العوامل التى ساعدت على وجود الفكر الدرامى عند الإغريق (الهيللينيين) ، منها ما كان يتعلق بطبيعة البلاد الجبلية الفقيرة ، وتنوع مناخها ، واختلاف ألوان نباتاتها ، مما خلق فِى داخل النفس الهيللينية ميلاً إلى التأمل مع تمتع اليونانى بالفطرة بخيال خصب ، تميز به عن غيره من شعوب أوربا آنذاك . فها هى أساطيره التى ملأت تراثه بتفسيرات ذكية معقولة فى إطار معلومات ومدارك الجنس البشرى فى تلك الأزمان الغابرة .

كما أن هناك عوامل أخرى ترتبط بالنظام السياسى الفريد–فى تطبيقه–فى تطبيقه الذى كان من أهم خصائص المجتمعات اليونانية القديمة ، كوحدات سياسية منفصلة ، أخذت شكل المدن –الدول : (Póleis-kráte) بالإضافة إلى عامل الاستعداد الفطرى الذى كان يتمتع به الهيللينى ، وأثبت وجوده فى مجال الفن والأدب والفلسفة وكذلك العلوم[2] .

هكذا نجد يونانىّ اليوم صورة مصغرة حديثة ، بكل مافى التحديث من مساوئ وعيوب ، وبقدر مافيه أيضاً من مزايا ومحاسن . ولكن معدنهم أصيل وتراثهم غنى وخلاب . ولاتلبث الشخصية اليونانية العريقة طويلاً حتى تظهر من جديد وتثبت أصالتها فى كل مجالات الحياة الحديثة مستلهمةً دائمًا وأبداً تراث الأجداد الأوائل فى كل عمل وكل إنجاز على أرض هيللاس [3] الحديثة والمعاصرة ، والحكم لها أو عليها بنفس معايير (Criteria) زمانها .

إن معرفة ملامح حضارة ماهو بالقطع دراسة لتطور حياتها الفكرية التى خلدت نماذج حياتية مختلفة وتاركةً وراءها أدوات وأساليب تلك الحياة التى تعكس بالضرورة مدى تقدمها أو تخلفها عند مقارنتها بالحضارات المعاصرة لها .

---

(1) نبيل راغب : مدارس الأدب العالمى ، مطبوعات الجديد ، 1975 ، ص19 .

(2) حول تلك العوامل المختلفة ، راجع الكتاب الفريد ، ذى المعالجة المتميزة من خلال النصوص اليونانية ذاتها ، لصاحبه د. حمدى إبراهيم : دراسة فى نظرية الدراما الإغريقية ، القاهرة 1977 ص ص 5 - 12 .

(3) هيللاس (Hellás) هى التسمية اليونانية لبلاد اليونان و (Hellénes) هم الهيللينيون ، أى اليونانيون .

وهكذا فإننا عندما نتعرف على المراحل الحضارية المتتابعة لتاريخ الشعب اليونانى ، منذ أن وطأت قدما أول إنسان على أرض تلك البقعة من العالم القديم فإننا نضع أيدينا – فى نفس الوقت – على مراحل تطور العقلية اليونانية وإنجازاتها المادية، فضلاً عن الإنجازات الأدبية منها فى مراحل نضوجها الحضارى ، أى إبان عصور إزدهارها وإتساع دائرة إشعاعها . كما يمكننا إستقراء عناصر التأثر والتأثير فى حضارتها مع حضارات شعوب المنطقة شرق حوض البحر المتوسط ، تلك الحضارات التى أهدت لليونان خلاصة تجربتها الحضارية المميزة فى العراق وسوريا ومصر . ومن ثمّ ، خلافًا لمعظم المراجع العربية المتداولة فى أسواقنا التى ركزت على العصر الكلاسيكى وإنجازاته ، فإننا أعطينا كل اهتمامنا بالمراحل الحضارية السابقة على 480 ق.م ، حتى يتسنى لنا الوقوف على مقدمات تلك الحضارة العظيمة ، والتعرف على حجم التأثير الأجنبى عليها ، ليكون تقييمنا ، فى النهاية ، علمياً وموضوعياً ، دون أدنى تحيز لطرف أو إجحاف لطرف آخر من أطراف القضية الحضارية فى منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، وبخاصة فى عصر البرونز .

(ب) جغرافيا شبه جزيرة اليونان وجزرها :

كان للموقع الجغرافى لليونان فى جنوب أوروبا الشرقى ، وقربها من القارة الأفريقية أثر كبير فى إعتدال مناخها ، الذى هو مناخ البحر المتوسط . ولكن يلاحظ أنه كلما توغلنا داخل شبه جزيرة اليونان – البلد الأم – وبعدنا عن الساحل ، كلما كان الجو قارياً ، شبيهًا بمثيله فى أوروبا أو فى إفريقية .. ولهذا فإن خط العرض هنا لايحدد تحديداً قاطعاً نوعية الجو فى منطقة البحر المتوسط . فمثلاً نجد مناخ محافظة أتيكى (Attiké) يشبه كثيراً مناخ منطقة خالكيذكى (Khalkidiké) ومنطقة أرجوس (Argos) ، بينما يختلف عن مناخ محافظة ڤيوتيا (Boiótía) المجاورة لها والواقعة فى داخل البلاد . ولهذا أيضاً فإن مناخ الأطراف الساحلية لليونان يشبه إلى حد كبير مناخ سواحل آسيا الصغرى ، وسوريا ، وفلسطين ، وقورينى (Kyréne)[1] فى ليبيا على الساحل الأفريقى الشمالى .

وجدير بالذكر أن نوعية هذا المناخ ، الخاص بحوض البحر المتوسط قد لعب دوراً كبيراً فى توجيه ، بل وتحديد المستعمرات اليونانية وانتشار الحضارة التى عاشتها هذه البلاد خارج حدودها .

---

(1) لمزيد من المعلومات عن مناخ قورينى وقورينائية . أنظر ، رجب الأثرم : تاريخ برقة السياسى والإقتصادى بنغازى 1975 ، صفحات 59 - 62 .

كما كان لنوع تربة بلاد اليونان أثر فعال فى بقاء أو هجرة سكانها إلى أماكن أخرى سعياً وراء حياة أفضل ، إذ أن (80 ٪) من إجمالى السطح الذى تشغله اليونان ذو طبيعة جبلية[1] صخرية ، فى أغلب الأحيان حيث يوجد الرخام (المرمر) والحجر الجيرى ، اللذان أسهما بقدر هام فى إقتصاد اليونان[2] .

وفى الوديان الغنية تنتشر المراعى حيث يمكن تربية الأغنام والماعز والجاموس مما يوفر لليونانى إمداده باللحم واللبن ومنتجاتهما ، بالإضافة إلى زراعة الخضروات والفواكه ، هذا فضلاً عن الصيد من السواحل القريبة ومزاولة مهنة التجارة .

والحقيقة أن هناك – تبعًا لطبيعة تضاريس اليونان – نمطين مختلفين من ساكنى هذه البلاد . فهناك الحضرى ساكن المجتمعات الكبيرة فى داخل القرى الكبيرة والمدن الممتدة فى السهول والوديان وكذلك ساكن وديان المرتفعات والهضاب، الرجل الجبلى الذى يعيش على حياة الكفاف والتقشف وشظف العيش الذى يزاول مهنة الرعى كحرفة أساسية له ، ويسكن منازل فقيرة أقامها لنفسه على المرتفعات مستخدماً ما منحته له الطبيعة من مواد أولية أحسن إستخدامها لتحقيق أغراضه المحدودة . أما ساكن السهول ذلك الرجل الحضرى فيعيش فى رغد من العيش ، إما تاجراً أو زارعاً ، برغم ضيق المساحة القابلة للزراعة والتى لاتتعدى اليوم أكبر من (18 ٪) من المساحة الكليـة[3] . ونظراً للاختلاف البين بين حالتى هذين النمطين من سكان اليونان القدماء، كان طبيعيًا أن ينشأ صراع دائم بين ساكنى المرتفعات الفقراء وساكنى الوديان والسهول الأغنياء . وتاريخ اليونان القديم كثيراً مايحكى لنا عن هجمات وهجرات جاءت من الشمال الجبلى ونزلت إلى الجنوب حيث السهول والأراضى الزراعية والمناخ الأفضل والحياة الأسهل .

وحوض البحر الإيجى من أفضل مناطق البحر المتوسط جواً وموقعاً ، فالصيف فيه معتدل وتطول مدته وشهور الشتاء جوها لطيف جداً . هذا فضلاً عن الثروة السمكية الغنية التى يجود بها هذا البحر ، ولاسيما سمك التونة . كما أن مياهه هادئة مما أنعش الملاحة بين جزره ، وخصوصًا فى الصيف عندما تهب رياح منتظمة موازية لسواحله فى الصباح والمساء . وكذلك فإن الرؤية جيدة بالنهار ولايصعب على البحار رؤية الساحل أو الإهتداء بالنجوم بالليل فضلاً عن الجزر الكثيرة التى تنتشر بهذا البحر والخلجان العديدة التى تحمى السفن المسافرة من العواصف وتكون غالبًا

(1) Lellos, L.B., Greece : History, Museums, Monuments, Athens 1973, p. 5.
(2) Hammond, N.G.L., A History of Greece, Oxford 1967 (Rep. 1977), p. 1.
(3) Ibid., p. 4.

ملجأ أميناً لها من غضب البحر وهَيَجَان أمواجه[1] .

وكما يحتضن البحر الإيجى الغالبية العظمى من جزر اليونان (أنظر الخريطة شكل/1) وتحده كريت (Kréte) من الجنوب فإن البحر الأيونى (Ionikón Pélagos) غربى اليونانى ، يحتضن بعضاً من هذه الجزر أيضاً ، والتى تقع بحذاء الشاطئ، وتكثر فيها الموانئ . وجدير بالذكر أيضاً ، أن الرياح هنا كذلك تساعد على الإبحار والملاحة بالقرب من الشاطئ فقط وذلك طيلة شهور الصيف . أما العبور مباشرة عبر البحر الأدرياتيكى إلى إيطاليا ففى ذلك مخاطرة عظيمة ولقد كان الطريق المعتاد لسفن العصر القديم – التى قلما ونادراً ماعبرت البحرالمتوسط مباشرةً وصولاً إلى الشاطئ الليبى ، شمال أفريقية – أن تتجه إلى الساحل الآسيوى شرق البحر الإيجى من جزيرة إلى أخرى ثم إلى سوريا وفلسطين ، الساحل الفينيقى القديم (Phoinikiké Akte) ومنها إلى مصر (Aígyptos)[2] أو مروراً بقبرص أولاً ثم إلى فينيقيا ومن بعدها إلى مصر ، بالضبط كما أشار إليها هوميروس فى الأوديسيا[3] .

وبتطور صناعة السفن التجارية كان لزاماً أن يستخدم اليونان القديم حوض بحر إيجة وكذلك البحر الأيونى كمعبر طبيعى ، سهل ، للوصول من الشرق إلى الغرب وبالعكس ، أو حتى وصولاً إلى الساحل الأفريقى . وكنتيجة طبيعية لذلك انتشعت جزر كثيرة كانت بمثابة حلقة إتصال ومركزاً رئيسياً للتجارة فى تلك العصور من التاريخ اليونانى القديم ، كما سنرى فيما بعد . وهنا نلاحظ مثلاً أنه عندما كانت مصر أغنى دولة فى حوض البحر المتوسط إنتعشت كل من قبرص وكريت وجنوب أرجوليذا (Argolída) وعندما شملت مظاهر الإزدهار التجارى غرب المتوسط وإتجهت إلى الغرب أصبحت منطقة كورينثيا (Korinthía) وبالتحديد منطقة القناة (Isthmós) ، المعبر من الشرق إلى الغرب ، أهم المراكز التجارية وقد تلتها مناطق قريبة أخرى مثل جزيرة إچينا (Aígina) القريبة منها ومدينة أثينا (Athénai) .

إن اليونان ذات الطبيعة الفريدة وتضاريس السطح المتغيرة تتكون من مقاطعات عديدة تختلف تماماً الواحدة منها عن الأخرى وتطبعها بطابعه الخاص وشكلها المتميز[4] مما جعل الأثرية EMILY VERMEULE تقول بأنها أرض تتكون من

---

(1) Hammond, op. cit., p. 4.

(2) Ibid., P. 5.

(3) Odysseia, IV : 83, "Kypron, Phoiníken te kai Aigyptíous epalétheis ..."

(4) Hammond, op. cit., p. 9.

دول كثيرة منفصلة[1] .

أما المطر فيسقط بغزارة فوق غرب اليونان عنه فى جنوبها وشرقها بسبب هبوب الرياح الغربية مما نتج عنه إنتشار المراعى والغابات فى أوديته وسهوله وشيوع تربية الحيوانات كالجاموس الذى كان يستخدم فى حرث الأرض والاعتماد على الخيول والحمير والبغال فى الإنتقال وحمل الأثقال نظراً لصعوبة السير على التربة الصخرية والمرتفعات الحجرية التى تتكون فى غالبيتها من الحجر الجيرى أو الصخر البركانى[2] .

وعمومًا فإن اليونان القديمة كانت تتألف من إثنتى عشرة مقاطعة خلقتها الطبيعة بنفسها ، وغدت كل مقاطعة أو إقليم وحدة طبيعية قائمة بذاتها مكتفية على الأقل فى تزويد نفسها بأسباب العيش الأساسية وتختلف كل واحدة عن الأخرى قلبًا وقالبًا من العصر الكلاسيكى وحتى يومنا هذا ، وهذه المقاطعات كالتالى (من الشمال إلى الجنوب ثم الجزر بعد ذلك) :

(1) مقدونيا (Makedonía) أقصى الشمال .

(2) ثساليا (Thessalia) فى وسط شمال اليونان .

(3) إبيروس (Epiros) شمال غرب اليونان .

(4) فوكيس (Phokís) وسط اليونان .

(5) وڤيوتيا (Boiotia) وسط اليونان .

(6) أتيكى (Attike) وميجارا (Mégara) والخليج السارونيكى ، ويمثلون وسط شبه جزيرة اليونان الساحلى .

(7) كورنثيا (Korinthia) وأرغوليس (Argolís) وتريزينيا (Troizínia) فتقع جميعها فى شرق البلوبونيز (Pelopónnesos) .

(8) لاكونيا (Lakonia) ومسّينيا (Messenia) فى جنوب وجنوب غرب البلوبونيز .

(9) أركاذيا (Arkadía) فى وسط البلوبونيز .

(10) أخاييّا (Akhaia) فى غربها .

---

(1) Greece in the Bronze Age, Chicago and London, 1972, p. 1.

(2) Hammond, op. cit., p. 9.

(11) الكيكلاذيس (Kykládes) وتوجد فى وسط البحر الإيجى (To Aigaion) .

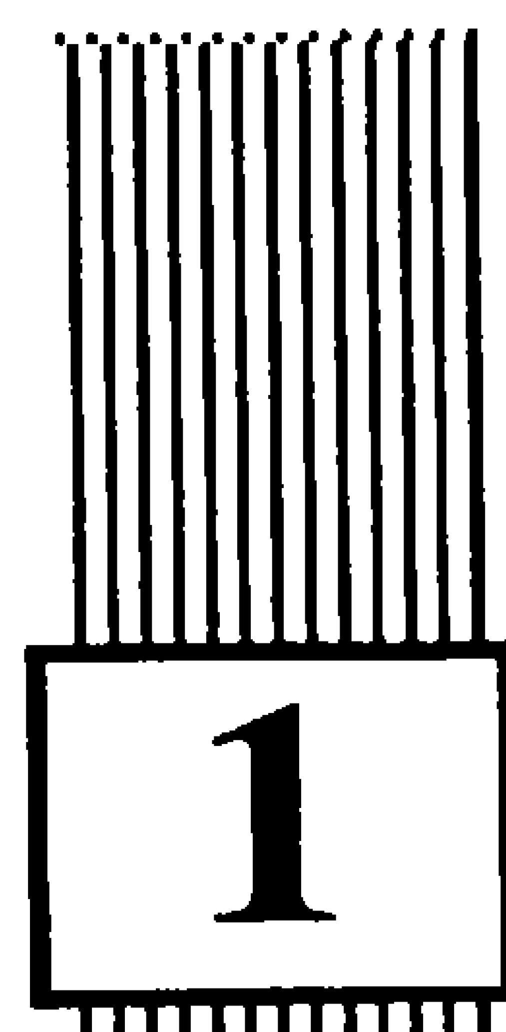
(12) فهى الجزر اليونانية الشرقية فى الجنوب الشرقى من بحر إيجة والتى تسمى باسم ذوذيكانسى[1] (Dodekánnesoi) .

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن الطبيعة لم تحرم اليونان أيضًا من وجود بعض الأنهار الصغيرة والتى من أشهرها نهر ألفيوس (Alphios) فى مقاطعة أركاذيا مما ساعد على تربية الماشية والأغنام والخيول ، والبغال والحمير ، وكذلك الخنازير فضلاً عن نهر أخيلووس (Akhilous) ونهر إڤينوس (Eúenos) وغيرهما الكثير .

وإذا كانت اليونان القديمة لم تعتبر أبدًا من البلدان الخصبة الجيدة التربة كأودية الأنهر فى آسيا وأفريقية ، إلا أنها كانت أكثر خضرة وأغنى مياهاً ، مما هى عليه اليوم. فكان إنسان ماقبل التاريخ فى اليونان يزرع القمح والبقول ، وتنمو من حوله أشجار التين والكمثرى والزيتون وقام برعى الأغنام والماعز ، بينما أدخل فيما بعد الحصان الذى كان رمزاً للفروسية والجاه والسلطان ، إذ كان مكلفًا ، وانتشر وجوده أثناء العصر الميكينى كما إنتشرت مراعيه فى مناطق ڤيوتيا ، وأرجوليس ، ولاكونيا (أنظر الخريطة شكل / 1) .

(1) Vermeule, E., Greece in the Bronge Age, Chicago and London, 1972, (5th imperession), p. 1.





الباب الأول

[عصور ما قبل التاريخ]

الفصل الأول

(أ) مصادر معلوماتنا عن هذه الفترة

(ب) أصل العنصر اليوناني

الفصل الثانى

الحضارات المبكرة والهجرات الكبرى

الفصل الأول

مصادر معلوماتنا عن هذه الفترة وأصل العنصر اليونانى

(أ) مصادر معلوماتنا عن هذه الفترة :

إن مصادرنا عن فترة ماقبل التاريخ اليونانى هى بالدرجة الأولى أثرية . وترجع للحفائر الأثرية أهمية مانعرضه الآن عن الإنسان اليونانى القديم منذ العصر المينوى الكريتى ، مروراً بالعصر الميكينى ، وحتى فترة الهجرات الكبرى . تلك الإكتشافات الأثرية التى ألبست الأسطورة والحكايات الشعبية اليونانية ثوباً من الحقيقة والتى لولاها لظلت أساطير القدماء ، وماتتناقله الأجيال فى العالم اليونانى ضرباً من الخيال الجامح ، وإرهاصات العقل البشرى الشارد فى دياجير الماضى السحيق بحثًا عن حقائق تائهة ، ضائعة .. وهكذا أماط معول الأثرى اللثام عن حقائق ملموسة ، ووقائع لايتطرق إليها الشك وإن إختلفت الآراء عند الإجتهاد .

ولما كان التراث الشعبى والأسطورى اليونانى القديم ، الضارب بجذوره فى أعماق الماضى ، يتردد صداه فى الإنتاج الأدبى وكتابات عمالقة الفكر اليونانى المبكر فى ماقبل العصر الكلاسيكى من أمثال هوميروس فى ملحمتيه الرائعتين : الإلياذة والأوديسيا وعند مؤرخى العصر الكلاسيكى أمثال هيرودوت وثوكيديديس فإن هؤلاء أضاءوا الطريق أمام الحفائر الأثرية ، لتخرج إلى الضوء ماطمسه الزمان وتعاقبت عليه الأحداث والقرون .. وهنا فقط أمكن تصديق بعض ماجاء عند شعراء ومؤرخى اليونان القديمة .

لقد لعبت الأقدار دورها ، وساهمت عبقرية التاجر والأثرى الألمانى شليمان[1]

---

(١) حول قصة حياة هذا الأثرى ذى الطباع الغريبة والتجارب الحياتية الفريدة أنظر «ذهب طروادة» وترجمته العربية لصاحبها/رشدى السيسى ومراجعة مصطفى حبيب سلسلة الألف كتاب (550): ثم مجموعة الكتب والمراجع الأخرى التي تم نشرها عن حفائره مثل :

Schliemann, H.; Tiryns (The prehistoric palace of the king of Tiryns), with chapters by Dr. Dörpfeld, New York, 1885.

Jebb, R.C., : The Homeric House in Relation to the Remains at Tiryns" JHS, VII (1886).

Dörpfeld, W : Troja, 1893 (Bericht uber die in jahre 1893 in Troja veranstalten Ausgrabungen), Leipzig 1894. =

H. Schleimann (1822 - 1890) فى إثبات أن الشاعر الملحمى هوميروس قد قدم لنا أقدم نص تاريخى . فباكتشافاته الكثيرة فى كل من طروادة وايثاكى وميكينى وتيرنس وأورخومينوس ، أصبح «أبو الآثار اليونانية فى ماقبل التاريخ» حيث كشف عن حقائق حضارات عظيمة سادت حوض البحر المتوسط فى الألف الثانية ق.م وكانت على علاقات قوية مع حضارات الشرق القديم المعاصرة لها .

ولم يمض وقت طويل حتى أفلح سير آرثر إيڤانس SIR ARTHUR EVANS [1] فى الكشف عن حضارة كريت القديمة . وكان ذلك فى عام 1899 والذى ألقى ضوءاً كافياً على علاقات تلك الحضارات المينوية القديمة بحضارة البحر الإيجى (حضارة الكيكلاذيس) ، وبالحضارات الشرقية المعاصرة ، وبالذات حضارة مصر القديمة التى أثرت تأثيراً كبيراً فى الحضارة المينوية مما دفع إيڤانس إلى القول بوجود قرابة دم فى أصل بناء تلك الحضارتين [2] .

ومنذ ذلك التاريخ والحفائر مستمرة على قدم وساق فى جميع أنحاء اليونان سواء على يد بعثات أجنبية مثل معهد الآثار الفرنسى والإنجليزى والبعثة الأمريكية والألمانية والسويدية أو على يد هيئة الآثار اليونانية ذاتها التى تتابع أعمال البعثات الأجنبية من ناحية وتقوم هى أيضاً بالحفر لحسابها وتنشر كل عام حفائرها فى دورية أسمتها : «أعمال الحفائر السنوية» :

(To érgon tes en Athénais Archaiologikés Etaireías)

وبالإضافة إلى التراث الملحمى الأدبى الذى خلفه لنا شاعر الخلود هوميروس فإن حفائر إيڤانس فى كريت ومن خلفه الذين أكملوا حفائر تيرنس وبيلوس ، قصر الملك نستور ، على وجه الخصوص ، قد أماطوا اللثام عن كتابة رمزية ، هى أقدم شكل من أشكال الكتابة التى عرفها ساكنو اليونان القديم ، وهى ما أسماها إيڤانس باسم:

«الكتابة الخطية الأولى : Linear A» .

«والكتابة الخطية الثانية : Linear B» .

=Dörpfeld, W : "Die Ausgrabungen in Troja, 1984", AM xix (1894), p. 380.
Tsountas, chr.-Manatt, J.I., The Mycenaean Age, Boston and New York 1897.

(1) Evans, S.A., The Palace of Minos at Knosos, London 1921-1935 and Index to the Palace of Minos, London 1936, pp. 44-45 : Egypt.

(2) حول الحصول على بيليوجرافيا حديثة لهذه العلاقات ومراحلها ، أنظر رسالتى للدكتوراة :
ELSAADANI, M., The Graeco-Egyptian Relations : 945-525 B.C. (In Modern Greek), Athens 1982, pp. 21-37.

وهما نوعان مختلفان من الكتابة على هيئة رموز وعلامات كان إيڤانس قد عثر على مايقرب من (3) ثلاثة آلاف لوح منها فى القصر الملكى بكنوسوس .

ويعتبر دارسو اللغة وعلماؤها هذا النوع الأخير من الكتابة[1] كما أثبتت الحفائر كذلك ، مرحلة متطورة من كتابة أقدم ، على شكل رموز هيروغليفية تصويرية ، مثل الهيروغليفية المصرية القديمة ، كان الكريتيون القدماء يستخدمونها من القرن التاسع عشر ق.م كما هو معروف من قرص قصر فيستوس أحد قصور كريت القديمة وهو أقدم أثر تاريخى فى اليونان يحمل كتابة ما ، على هيئة لوح مستدير من الطين . وفى عام 1953 [2] قام المهندس الإنجليزى مايكل ڤينتريس (VENTRIS) بحل رموز الكتابة الخطية الثانية (B) وأثبت أنها كانت كتابة مختصرة ، أو بمعنى أحدث «لغة إختزال» للغة يونانية مكتوبة .

وأخيراً ، فإن مصادرنا للتعرف على خصائص وماهية العصر اليونانى فى عصر البرونز ماقبل التاريخ ، تقتصر على :

أولاً : القراءات الحديثة والدراسات المتخصصة لنصوص ألواح الكتابة الخطية الثانية.

ثانيًا : ماتخرجه لنا معاول الأثريين من إكتشافات تلقى مزيداً من الضوء على الحياة الخاصة والعامة ليونانى تلك الفترات المبكرة من حضارة هذا الجزء من العالم القديم .

ثالثًا : ماكتبه مؤرخو اليونان من القدماء مشيرين بذلك إلى تلك الفترة البعيدة من تاريخهم وبداية حضارتهم ، بالإضافة إلى إشارات ملحمتى هوميروس الخالدتين إلى الآخيين ، وهم الميكينيين ، الذين بنوا حضارة عظيمة نافست حضارة كريت ، بل وقضت عليها وأخذت مكانتها ، وكانت على علاقة طيبة مع ملوك حضارات الشرق القديم ، كما سنرى فيما بعد .

• التأريخ ومشاكله :

إن تأريخ تلك الفترة ، عصر البرونز بصفة خاصة ، وفيما يتعلق بحضارة بحر

---

(1) هذا بالإضافة إلى المصادر الأخرى – غير الأدبية – مثل النقوش (Epigraphiké) والعملات الأجنبية القديمة (Nomísmata) وأوراق البردى (Pápyroi) التى تمدنا بمعلومات عن تاريخ اليونان فى الفترة الأخيرة وحتى الفترة الرومانية من تاريخ اليونان ومصر كذلك .
راجع د. عبداللطيف أحمد على ، التاريخ اليونانى ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1963م ص 123 - 135 .

(2) Ventris, M - Chadwick, J., The Decipherment of Linear "B" tablets, 1957.

إيجة ، يتم عادة بوضع تاريخ الحضارة المصرية القديمة فى الإعتبار وبالنظر إلى تقسيمات الأسرات لفترات التاريخ المصرى فيما قبل التاريخ ، ذلك لأن مصر تعتمد فى تأريخ فتراتها على سجلات مكتوبة من نوع ما منذ الدولة القديمة فى الألف الثالثة ق.م ومابعد ذلك . فأقدم فترة فى حضارة اليونان إبان عصر البرونز تتفق بشكل ما مع الفترة التاريخية التى شغلتها الدولة القديمة وحتى الفترة الانتقالية الأولى، «أى حوالى من 3000 - 2000 ق.م تقريباً» وعصر البرونز الوسيط فى البحر الإيجى يتفق مع الدولة الوسطى فى مصر ، أى حوالى من «2000 - 1500 ق.م تقريباً» ، بينما تتفق الفترة المتأخرة مع عصر الدولة الحديثة «عصر الإمبراطورية الجديدة» فى مصر ، أى حوالى من «1570 - 1000ق.م تقريباً» .

وجدير بالذكر أن التأريخ يتم بالوسائل العلمية الحديثة ، وفى الغالب عن طريق إستخدام أسلوب «راديو كاربون 14» بأخذ عينات من الخشب أو العظم من الحفائر . هذا فضلاً عن إستخدام الإشعاع الحرارى لآنية الفخار من العصر البرونزى أو حتى النيوليثى من البحر الإيجى ، وكلها وسائل ليست دقيقة بدرجة كافية ، إذا قورنت بالتأريخ المقارن مع الآثار المصرية وتاريخها الثابت إلى حد كبير .

إن ما نقدمه من تأريخ ليس إلا محاولة تقريبية ، فى غياب الإجماع العالمى على تأريخ محدد لما قبل التاريخ ، فضلاً عن توقع إمكانية تغيير كل شئ فى ضوء إكتشافات جديدة أكثر تحديداً وأبعد عن الشك . كما أن الفترات التاريخية الأثرية ومسمياتها ، ليست إلا صيغ تقليدية للتسهيل على الدارس ، على أساس إختلاف الأشكال الفنية للآنية ونوع زخارفها ، وإن كان قد سبب نوعًا من الفوضى فى إستخدام مصطلحات عديدة ، وهى نفسها التى تميز بها فترات التاريخ وطراز الآنية على السواء . **ولكن أفضل إستخدام لأسماء الفترات وللدلالة على المراحل الحضارية ، هو قولنا «مينوى» لحضارة كريت ، و«هيللادى» لحضارة البلد الأم (اليونان ذاتها) و «كيكلاذى» لحضارة البحر الإيجى وجزره ، مع إستخدامنا طبعًا للتقسيمات الفرعية الثانوية لهذه الفترات الحضارية .**

وإذا أمعنا النظر بعيداً عن هذا الإطار القريب ، نجد أمامنا إطاراً آخر أكثر تقليدية وأكثر شمولاً وعمومية .. فهناك العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث ، ثم البرونز – وهذا ماتكلمنا عنه – وبعد ذلك يأتى عصر الحديد . جميعها سميت بالمادة التى إكتشفت فيها وشاع إستخدامها حينئذ والتى كانت أسلحة الإنسان البدائى تصنع منها : فكان الحجر أولاً ، ثم عرف الإنسان البرونز ، وتلى ذلك إكتشافه

للحديد . ولكن هذه العصور ، بصفة عامة ليس لها حدود تاريخية ثابتة ، سارية المفعول عالميًا ،كما قلنا من قبل – فالأسلحة البرونزية ، مثلاً أستخدمت فى أوقات مختلفة فى أماكن مختلفة . كما أن هناك – حتى يومنا هذا – بعض القبائل ، مازالت تستخدم أدوات حجرية .

ولهذا كله ، فإن الربط بين حضارات الشرق القديم ، وبالذات مصر التى عرفت آثارها قوائم بفترات حكم بعض ملوكها ، مثل الفرعون أمنحوتب الثالث الذى حكم مصر (*)من 1412 - 1376 ق.م وزوجته الملكة «تى» التى عثر لها على خاتم وجعران فى كريت مع فخار من الفترة المينوية المتأخرة ، وكذلك فى منطقة «موكيناى» (أو/ميكينز) مع فخار من الفترة الهيللادية المتأخرة (Y. E.III)(1) أمكننا أن نحدد الفترة الانتقالية من Y.M.II إلى Y.M.III(2) وكذلك من Y.E.II إلى Y.E.III بحوالى سنة 1400 ق.م وإذا ماوضع ماتم إكتشافه من آثار يونانية فى بلدان الشرق القديم ، فى الاعتبار فإن مؤرخى وأثريى العصر الحديث يبدون أكثر إطمئناناً إلى تأريخهم لأحداث وأشياء الماضى مع التحقق والتأكد من النتائج التى توصل إليها العمل الحديث بوسائله المختلفة كتلك التى تحدثنا عنها من قبل ، وهى طريقة ("C.14" الكاربون 14) .

(ب) أصل العنصر اليونانى :

إننا إذا عرضنا للحضارة اليونانية القديمة والفكر اليونانى القديم كان لزاماً علينا أولاً ، أن نطرح سؤالاً ، هو : **من هم هؤلاء اليونانيون القدماء ؟** .

وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نرجع بذاكرتنا التاريخية إلى المراحل التاريخية الأولى ، بل وتلك التى شهدتها ذات المنطقة التى عاش فوقها الإنسان اليونانى فى فترات ما قبل التاريخ أيضاً ، ذلك لأنه عند دراستنا لتاريخ أى فكر ونتاج هذا الفكر وهو مانسميه بحضارة شعب ما ، لايمكننا أن نضع حدوداً فاصلة وتقسيمات لاتقبل النقاش لتأريخ هذه الحضارة أو تلك ، فالتفكير الإنسانى ، لشعب من الشعوب ،

(*) فى أحدث دراسة للأثرية الإنجليزية Bryan, B. ، قدمتها مساء الأثنين الموافق 2007/2/5 ، فى المجلس الأعلى للآثار بالزمالك ، أكدت على أن هذا الفرعون كان إلهًا ، أيضًا، إلى جانب كونه ملكاً وفرعونًا ، وهوأنه ليس فوق الشبهات والشك (!!!) .

(1)(Ysteré Elladiké) = (-ENGLISH : L.H.).

(2) (Ysteré Minoïké) = (-ENGLISH : L.M.).

الأولى تعنى : الفترة الهيللادية المتأخرة ، والثانية تعنى : الفترة المينوية المتأخرة (أى خاصة بحضارة كريت) .

لايعرف أمثال تلك الحدود والفواصل ، والتطور الحضارى لايعرف التقسيمات الفرعية والمتشابكة لأننا نحن الذين وضعنا هذه التقسيمات والتسميات حتى نسهل على أنفسنا معرفة أنماط حضارية فى أوقات زمنية محدودة .

ولهذا كله ، فنحن نرى فى حضارة تساليا إبان العصر النيوليثى الحديث ، وحضارة الكيكلاذيس وكلك الحضارة المينوية الكريتية كل هذه المراحل المتتالية والمتتابعة دون انفصام ، والتى توارثت الواحدة منها الأخرى ، نراها جميعاً كمقدمات أثرت العقلية اليونانية والفكر اليونانى الذى بدأ يتبلور وتتحدد معالم شخصيته إبان العصر الميكينى . **إن تطور العقلية اليونانية «كان تطوراً طبيعيًا» شأنه فى ذلك شأن تطور العقلية الإنسانية فى أى بقاع من أرض المعمورة فى تاريخ سيرتها الأولى وحتى عصور إزدهارها ومروراً بمراحل ضعفها وانهيارها .**

أولاً : فإذا كان الإنسان الأول – على الأرض اليونانية – كان يعيش حياة الجمع والإلتقاط والصيد ، ويحيا حياة التنقل والارتحال سعياً وراء رزقه إبان العصر الباليولثى (600.000 - 8.000 ق.م) عندما كان يعيش فى ظروف مناخية قاسية وبين أحضان الطبيعة المتوحشة – وإتخذ من المغارات والكهوف بيوتاً ، أوى إليها لتحميه من البرد القارس والأمطار الغزيرة ، فإنه كغيره من بنى البشر فى هذه الحقبة الأولى من تاريخ تطوره ، عرف الصيد والقنص ، صيد الأسماك من البحر الذى يحوط بلاده من كل جانب ، ومن البحيرات والأنهار وقنص الحيوانات البرية والاستفادة من منتجاتها (أصواف وألبان وجلود) فى مقاومة ظروف الحياة الصعبة . كما أنه إستطاع ، بفكره الصائب ، الذى منه له خالقه ، ككل المخلوقات من بنى البشر ، أن يصنع لنفسه أدوات وأسلحة مفيدة فى حياته العملية ، وذلك من الأحجار ، التى كانت المادة الأولية الوحيدة التى إستغلها فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ فكره .

كما هداه تفكيره ، بوحى من الله ، إلى استخدام النار ، وذلك بهدف التدفئة والإنارة والطهى ، فضلاً عن إستخدامها كوسيلة لإخافة الحيوانات المفترسة وإبعادها عن تواجده .

هنا نذكر الأسطورة اليونانية القديمة حول بروميثيوس[1] الذى سرق النار من الآلهة وأعطاها لبنى البشر كى ينعموا بفوائدها ، وكيف عاقبته الآلهة على

(1) أنظر الأسطورة اليونانية – مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق 1966 ، ص ص 91 - 92 .

فعلته تلك . وهى أسطورة روتها الأجيال فيما بعد مسجلة أن إختراع النار كان أمراً هاماً فى حياة الأقدمين من بنى البشر .

وتزودنا حفائر علم الكهوف والمغارات بأدوات حجرية كثيرة تعد بالمئات، تم الكشف عنها فى مغارات كثيرة فى إقليم مقدونيا بشمال اليونان ، وإقليم ثساليا بشمال شرق هذه البلاد ، وكذلك فى كل من إبيروس وشبه جزيرة البلوبونيز فضلاً عن الجزر الغربية باليونان .

ثانيًا : ولكن الإنسان اليونانى ، طور من مداركه ومعارفه بدرجة كبيرة ، فنراه فى الحقبة التالية أى فى العصر النيوليثى (8.000 - 2.800 ق.م) يهذب من أدواته العملية اليومية ، التى تعينه على القيام بمهام حياته . وعرف فى هذه الحقبة من حياته . كيف يزرع الأرض ويفلحها . وكان لزامًا عليه ، إذن بعد هذا التطور الحياتى أن ينتظر حتى يحصد ما زرع . ولهذا كان إستقراره على شكل جماعات فى أماكن ثابتة : أى داخل منازل وأكواخ ، تجمعت فغدت قرى صغيرة ، بالقرب من مصبات الأنهار الكبرى ، أو العيون .

هنا تزودنا حفائر علم الآثار بمعلومات عن مدينتين أو قريتين يونانيتين قديمتين ، يؤرخ لهما بالعصر النيوليثى الحديث وهما ذيمنى وسيسكلو [1] .

عندئذ ، تحول الصيادون إلى فلاحين مزارعين للأرض ومربين للخنازير والماشية . كما ربى بعضهم الأغنام والماعز واهتموا بالخيل اهتماماً خاصاً كما عرف سكان هذه القرى غزل صوف الأغنام وصناعة الأوانى الفخارية ، وذلك لتخزين وتجميع مايحتاجونه من منتجات بيئتهم أو لحفظ السوائل والشراب . وجدير بالذكر أن آنيتهم كانت فى بداية أمرها فظة خشنة ، مصنوعة بالأيدى وليس فيها أى أثر للجمال أو للذوق ، ولكنها فى نهاية العصر الحجرى الحديث أى حوالى 2800 ق.م ، بدأت تأخذ أشكالاً متنوعة ، وعليها زخارف هندسية جميلة وبسيطة كذلك ، يغلب عليها استخدام الألوان الغامقة كأرضية ثم زخارف باللون الأبيض على هيئة خطوط ممتدة.

وقد جادت الأرض اليونانية بما حفظت من آثار صانعى حضارة تلك الفترة فى كل من منطقة ثساليا ، فى الشمال ، وآرغوليذا وكورنثيا فى شمال البلوبونيز .

ثالثًا : ولايبدأ عصر البرونز[2] (2800 - 1100ق.م) حتى نرى أنفسنا أمام تطور

---

(1) أنظر الفصل الثاني ، ص 40 وما بعدها .

(2) وهو مايعرف باللغة اليونانية :(Epoché tou Khalkoú) عندما شاع إستخدام هذا المعدن (خليط من النحاس والقصدير) .

هائل شمل جميع نواحى الحياة اليونانية القديمة وازدهرت خلاله مراكز حضارية كبيرة كانت بمثابة إشعاع حضارى من نوع خاص لكل من حولها وماحولها أو إتصل بها .

هذا التطور الحضارى الهائل ، هو تطور طبيعى تلقائى بحكم دوران عجلة التاريخ إلى الأمام ، وإزدياد المعارف البشرية من وقت لآخر ، ومن عصر إلى عصر، بالإضافة إلى دخول عنصرٍ جديد فى صياغة حضارة سكان اليونان وهو إختلاط عناصر بشرية مهاجرة ، قَدمت من الشرق ، من آسيا الصغرى ، وعاشت جنبًا إلى جنب مع السكان الأصليين . وبقدر ماكان هذا الإختلاط والتجانس ، بقدر مانجد الأثر الشرقى فى فكر وحضارة اليونان القديم فالشعب اليونانى القديم تلك الحقبة من الأزمان لم يكن شعباً واحداً متجانساً بل كان مجموعة من ا لقبائل المتفرقة هنا وهناك، على أرض بلاد اليونان الأصلية أو فوق الجزر المنتشرة فى حوض البحر الإيجى . وكان لطبيعة تضاريس هذا البلد نصيب الأسد فى تفريق وشتات هذا الشعب منذ بداية تواجده على هذه الأرض . ولهذا فإنهم لم يعرفوا الوحدة السياسية أبداً إلا فى عصورهم الكلاسيكية (أى القرنين الخامس والرابع ق.م) ، وإن كان ذلك أيضًا لم يأخذ إلا شكل الأحلاف العسكرية بين المدن بعضها البعض .

نعود مرة ثانية ، فنقول أن عصر البرونز شهد نماذج حضارية مختلفة الشخصية والمعالم ، كان كل منها ذا خصائص ومظاهر محددة واصطبغت جميعها بصبغة يونانية وإن تفاوتت فى مدى تأثرها بحضارات الشرق القديم الذى كان بالنسبة لهم النجم الحضارى الساطع الذى إهتدت بهديه ونوره فى ظلمات الجهل الذى كانت تعيشه منطقتها آنذاك . فبفضل موقعها الجغرافى القريب من مناطق الإشعاع الحضارى القديم ، كانت اليونان أسبق دول أوربا قاطبة فى التأثر بهذه الحضارات ، التى نقلت عنها وأضافت إليها ، بل وسبقت هذه الأصول فى ميادين عديدة مما جعل منها نموذجاً يحتذى فيما بعد .

ولنبدأ القصة من أولها لنصحح معًا أبواب التاريخ اليونانى

(1) تاريخ ظهور آثار الإنسان في اليونان :

إنه إذا كان أقدم أثر لإنسان ، وُجِدَ فى مصر ، كان على شكلٍ جمجمة وبالتحديد تلك التى تم الكشف عنها فى صحراء الفيوم فى نوفمبر 1965 يؤرخ لها 28 مليون سنة وأن البعثة الأمريكية المكتشفة لهذه الجمجمة تعتقد أن مصر كانت موطن

الإنسان الأول[1] فإن اليونان لم تعرف سوى إنسان نياندرتال وهو الإنسان العاقل الذى سكن الكهوف [2] .

إن المشكلة الحقيقية فى التاريخ اليونانى القديم ، ليست متمثلة فى السؤال السابق الذى عرضناه وهو «من كان أولئك اليونانيون القدماء» ؟ ، ولكنها تتلخص فى السؤال التالى : من كان قبل أولئك الذين سكنوا اليونان فى عصورها التاريخية ؟ ، أى قبل 1000 ق.م ، وبألفاظ أخرى ، من هم أصحاب التراث اليونانى فيما قبل التاريخ اليونانى ، أولئك الذين : **أسسوا حضارة النبيذ ، الحلو المذاق وتعلموا قوانين الحب ، والإبحار فوق مياه البحر الإيجي الهادئة** .

إن المشكلة كما وصفها ستيوارت بيجوت (S. Piggott) [3] . ليست كذلك ، فى كيفية تعلم اليونانيين للغة اليونانية وأصلها – أى علاقتهما بلغة الفينيقيين ولكن فى أهمية تلك الحضارة التى عرفتها تلك المنطقة ، فيما قبل التاريخ اليونانى والتى ترجع إلى دلالتها الحضارية وليست فقط الجغرافية لتلك البقعة من العالم بين عالم متحضر فى الشرق القديم وشعوب بربرية فى الغرب .

ويَخلُص الأثرى الإنجليزى هود [4] إلى أن اللغة التى عرفها اليونانيون القدماء، فى نهايات عصر البرونز 2800 - 1100 ق.م ، تلك اللغة التى كانت مكتوبة على ألواح فى صورة كتابة خطية والمعروفة باسم (LINEAR B) لم تكن لغة يونانية خالصة ، ولكنها نوع من الكتابة الإيجية السابقة على اللغة اليونانية التى نعرفها بدايةً من القرن الثامن ق.م ومابعده .

والجدير بالذكر أن اليونانيين أنفسهم عند تدريسهم لتاريخ حضارتهم فى مدارسهم يسمون الفترة التاريخية التى تبدأ مباشرة بعد الغزو الدورى (حوالى 1200 أو 1150 أو حتى حوالى 1100 ق.م) كما إعتدنا أن نقرأ كل هذه التواريخ لدخول

---

(1) فاروق كامل عز الدين : دراسات فى جغرافية الإنسان ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة، 1980م ، ص297 ومابعدها ، وانظر كذلك عزت السعدنى : خطوات الإنسان الأول على أرض مصر ، مطابع الأهرام ، القاهرة فى1978 ، ص ص 24 - 40 .

(2) أنظر / فاروق كامل ، المرجع السابق ص 238 - 240 وكذلك الأثرى اليونانى (زوييس) :
(Zwes, A., Mathémata Archaiologias, Athenai 1980, pp. 127-157)

(3) Hood, S. : The Home of the Heroes : The Aegean before the Greeks, London, 1974, p. 7.

(4) Ibid, p. 8.

الدوريين اليونان باسم : «بداية تاريخنا» . وفى هذا ، من وجهة نظرى الشخصية تأكيد على حقيقتين :

أولاهمـا : المغزى السياسى ، الذى يراد به توضيح الأصل الأوروبى لحضارة اليونان القديمة ، إذ أن الغزاة الدوريين كانوا قبائل آتية من الشمال الأوروبى .

ثانيهـما : المغزى الحضارى ، حيث نجد أن مصادرنا الوحيدة حول الماضى القريب والمجيد لهذا الشعب ، يتمثل فى أجمل صورة فى أقدم عملين خالدين من الملاحم الأدبيـة ، وهما الإلياذة والأوديسيا وفيهما ينتصر العنصر اليونانى الغربى على اليونانى الشرقى ويسطر أعظم أمجاد البطولة والفخار ، فى ظل قيادة سياسية وعسكرية واحدة – لأول مرة فى تاريخ هذا الشعب المتألف أصلاً من قبائل وعشائر متفرقة ، عادت إلى سيرتها الأولى بمجرد إنتهاء هذه الحروب الطروادية المشهورة (!!!) وهكذا بدأ التحيُّز الغربى لذاته وعنصره(!!!) .

إن كثيراً من المؤرخين المتخصصين فى الحضارة اليونانية لايعتبرون المراحل الحضارية السابقة على حضارة الألف الأولى ق.م من تاريخ اليونان ، من صميم حضارة ذلك الشعب وذلك نظراً لاعتبارات الأصل العرقى واللغوى ، وتميز تلك الحضارات الأولى عن مظاهر الحضارة اليونانية المعروفة فيما بعد .

ولهذا ، يجمع مؤرخو الحضارة على أن الشرارة الحضارية الأولى وصلت إلى اليونان «البلد الأم» : (MAINLAND) كما يسميها الغربيون ، أو حتى الجزر ، عن طريق آسيا الصغرى (تركيا الحالية) قادمة من حضارات الشرق القديم ، فى بابل ومصر. وكان من الطبيعى ، إذن ، أن تسمى منطقة الأناضول (ANATOLIA) باسم : «الطريق الملكى إلى بحر إيجة» [1] .

وهنا ، فى هذا المقام ، كتب مؤرخان كبيران [2] لحضارات ماقبل التاريخ يقولان :

«وقد ظهر فى بحر إيجة محلات تجارية مشابهة (أى مشابهة لما كان معروفاً

(1) وولى ، ل : أضواء على العصر الحجرى الحديث ، (ترجمة د. يسرى الجوهرى) بيروت 1963 ، ص61 .

(2) Hawkes, K. - Wooley, S.L. : Prehistory and the Beginnings of Civilization, 1963.

أما ترجمة د. يسرى الجوهرى ، فكانت لثلاثة فصول من هذا الكتاب .

فى الأناضول آنذاك مثل حصارليك وطروادة وغيرهما تنتمى إلى بداية عصر المعدن، وتركزت فى كيكلاذيس ، تلك الجزر التى تكون بقايا الممر البحرى الذى كان يصل الأناضول باليونان والذى عن طريقه إنتقلت الحضارات من آسيا إلى أوروبا»[1] .

ولكن ، هل يمكننا اليوم أن نؤرخ للفكر اليونانى القديم ؟ .. والحق أنه يمكن ذلك بالتقريب ، ومع ذلك يظل السؤال : لأية فترة ؟ إذ أن مادة هذا الموضوع «تاريخ الفكر اليونانى القديم» جديدة تماماً على القارىء العربى من ناحية ، كما أن تفاصيل وأبواب هذا التاريخ ، فى مرحلة ماقبل التاريخ (أى قبل 1000 ق.م تقريبًا) ليست سوى نتاج الحفائر الأثرية ، التى كشفت النقاب عن معالم ذلك التاريخ القديم لليونان ، والتى إكتملت صورتها فى السنوات الأخيرة فقط [2] من ناحية أخرى . فإنه ينبغى أن نعطى فكرة ، ولو سريعة ، عن مراحل تطور الفكر اليونانى ، مروراً بالأشكال الحضارية المختلفة ، التى مر بها عبر آلاف السنين [3] إلى أن وصل إلى قمة إزدهارها فى العصر الكلاسيكى ، العصر الذهبى (القرنين الخامس والرابع ق.م) كما شاع وصف هذين القرنين ، **ذلك العصر الذى كان ولايزال بحق مفخرة الفكر الإنسانى فى كل مكان ، وإن كان قد ترك آثاره المباشرة والواضحة - بفضل الجوار الجغرافى - على أوربا ، التى لاتنفك ترفع عقيرتها بالفخار بالانتساب إلى هذا التراث، بعد أن قامت حضارتنا العربية بحفظ هذا التراث اليونانى ، فترجمت أهم نتاج هذا الفكر القديم فى العلوم والآداب ، أثناء غياب أوربا الحضارى ، وأهدته لها فيما بعد جاهزاً ، بعد إلقاء الضوء على عيونه وذخائره** [4] .

وإذا أردنا أن نواصل حديثنا عن الجنس اليونانى ، فهم شعب ينتمى إلى أجناس البحر المتوسط ، التى عاشت فوق الأرض اليونانية ، وكانت على صلة مستمرة ودائمة

(1) وولى : المرجع السابق ، ص65 .

(2) فعلى سبيل المثال - لا الحصر - لانجد أية إشارة إلى حضارة اليونان فيما قبل التاريخ عند وول ديورانت ، صاحب الموسوعة الشهيرة «قصة الحضارة منذ عام 1935 (ترجمة لجنة التأليف والترجمة والنشر تحت إشراف الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية) إلا فى صورة فقرات مختصرة عن يونانى العصور التاريخية أمثال الفريجيين والليديين ، وغيرهم فى صفحات من 300 - 308 ، من الجزء الثانى من المجلد الأول ، ترجمة محمد بدران .

(3) ويشاركنا فى منهجنا ، ڤولتير ، حين قال يوما : «أحب أن أعلم الخطوات التى سارها الإنسان فى طريقه من الهمجية إلى المدنية» :

Buckle, H.T., History of civilization, 1, p. 581.

(4) عبدالرحمن بدوى ، التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، القاهرة (الطبعة الثالثة) دار النهضة العربية 1965 ، وهى عبارة عن مجموعة من الدراسات المتخصصة لكبار المستشرقين، ألف بينها وترجمها د. بدوى .

مع شعوب الشرق ، سواء بسبب الغارات والهجرات والغزوات القادمة من الشرق لتدخل بلاد اليونان ، أو عن طريق الإحتكاك التجارى منذ الألف الثانية ق.م .

إن علاقات اليونان القديم ببلاد الشرق القديم ، كانت دائماً وأبداً على أساس المصلحة المتبادلة والاحترام المتبادل بين حكام وملوك الجانبين . وقد تأكد هذا كله بفضل الكشف عن آثار مصرية وغيرها من مخلفات الحضارات الشرقية ، داخل طبقات الأراضى اليونانية ، والعكس ، بداية من أوائل الألف الثانية ق.م ومابعدها[1] **وجدير بالذكر أن تلك العلاقات لم تكن عدوانية أبداً طيلة تاريخها الطويل ، إلا مرة واحدة ، عندما هاجمت إحدى جماعات القراصنة من اليونانين «أكاواشا» أو أهياوا «كما جاء ذكرهم فى النصوص المصرية الفرعونية» - فى القرن الثالث عشر ق.م بالهجوم، مع جماعات أخرى ، على الساحل المصرى ، وكان إنتصار مرنبتاح عليهم وتأمين حدود مصر منهم .**

وبينما كان يونانيو العصور القديمة ، فيما قبل التاريخ اليونانى ، من مواطنى القبائل والعشائر ، تنتمى إلى الجنس الآرى وتختلف إختلافاً كبيراً فى لهجاتها ولغاتها، بدأ يونانيو العصور التاريخية فى المشاركة عن قرب فى تكوين الذاكرة التاريخية والتراث المتشابه لهذا الشعب بعد أن تقاربت الفوارق الاجتماعية وعاش المجتمع اليونانى يتمتع معظم أبنائه بخيرات الإستعمار والاستيطان الخارجى إبان القرنين الثامن والسابع ق.م ، وبدأت ملامح المدن - الدول فى التكوين والوضوح وتتحدد العلاقات الاجتماعية بين أفرادها ، بفعل الاستقرار والأمان الذى بدأ يسود المجتمعات الجديدة بطبقاتها المختلفة والتى بدأت تشارك مشاركة فعالة فى إختيارات أشكال النظام السياسى الذى يتحكم فى مقدراتها ومستقبلها فى إطار معاملاتها مع جيرانها .

لقد كان لإختراع الحروف الهجائية اليونانية - المشتقة عن الفينيقية - أكبر الأثر فى توحيد صور التفكير اليونانى منذ بدايات القرن الثامن ق.م . ولقد لعبت الإلياذة والأوديسيا دوراً كبيراً كذلك فى توحيد شكل التراث البطولى الملحمى لهذا الشعب ، باعتبارهما أقدم مصادرنا التاريخية ، ذات الشكل الأدبى الفنى ، واللتان كانت تنشدان لتسلية أهل القرى والقبائل المختلفة فى أنحاء اليونان على مدى أربعة

---

(1) إقرأ ملخصاً لهذه العلاقات فى الموسوعة اليونانية الحديثة : (Pápyros - Larousse - Britan-nica, Vol. 106/ 7, p.280) . أو أنظر / أول بحث لى بالعربية ، عقب عودتى من اليونان عام 1984، وذلك بعنوان «العلاقات المصرية - اليونانية القديمة» ، في ندوة : «مصر وعالم البحر المتوسط» أقامها قسم التاريخ بآداب القاهرة عام 1986 ، ونشرها عام 1988 ، فى كتاب بالعنوان ذاته ، وتحرير أ. د. / رؤوف عباس ، عن دار الفكر .

قـرون تقـريبًـا ، وصلت قـمـتـهـا فى القـرن الثـامن ق.م ، عندمـا بدأ اليـونانيـون (Héllenes)، الهيللينيون ، كإسم لإحدى قبائلهم فى جنوب ثساليا [1] . ويقــول د. محمد غلاب[2] فى وصفه لخصائص الشعب اليونانى :

«يمتاز الشعب الهيلينى بالذكاء النادر ، والدقة العميقة ، والتفكير المتزن ، والخيال الخصب ، والحيوية والنشاط ، والانعطاف نحو سرعة العمل» .

كما يستشهد بقول أرسطو فى «السياسة» [3] .

«إن الشعوب الشمالية قد وُهبَت نصيبًا من الحيوية ، ولكن حظها من الذكاء قليل، والشعوب الآسيوية مُنحَت شيئًا من الحيوية ، ولكنها سُلبَت قوة الإرادة . أما الإغريق فقد جمعوا القوة المعنَوية إلى الذكاء» .

ويقول د. محمد صقر خفاجة [4] :

«كان للمناخ المعتدل وتلك المناظر الخلابة تأثير كبير فى حياة اليونان الفكرية، فكان يحبون التأمل ويتصفون بعمق التفكير ويتميزون بالإعتدال ولايميلون إلى المبالغة، فكانوا يرددون هذه العبارة دائمًا (**إياك والتطرف**) [5] واتخذوا هذه الحكمة (**إعرف نفسك**) [6] شعاراً لهم ونقشوها على معابدهم» وإن كان هذا الشعار الأخير لايعبر فى حقيقة الأمر عن خاصية عامة يوصف بها كل اليونانيين والقدماء .. **فلايمكن أن نتخذ من موقف واحد ورأى واحد لعبقرية فريدة ، وهو سقراط ، معياراً لكل الشعب اليونانى القديم ذلك لأن الماضى ليس كلامًا فحسب ، بل هو أفعال وآثار ملموسة لذلك الكلام أو تلك الآراء والنظريات التى آمن بها زعماء وقيادات تلك الشعوب القدماء ، الذين كانت بيدهم دفة الأمور.** وصدق توينبى (Toynbee) حينما قال :

«تراث الماضى فِعْل .... Heritage is Karma» [7] .

---

(1) يذكر هوميروس الإسم فى الإلياذة ومابعدها ، وكانت هذه القبيلة مشهورة بجمال نسائها .

(2) الفكر اليونانى أو الأدب الهيللينى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، 1952 ، ص15 .

(3) Perí Politikés, L, VII : 7.

(4) تاريخ الأدب اليونانى ، سلسلة الألف كتاب (61) ، القاهرة 1956 ، ص7 .

(5) فمثلاً عند هيسيود : (Theogonia, I. 335 : Méden ágan !) .

(6) هذه حكمة سقراط أصلاً : (Gnóthi s'autón) .

(7) The Greeks and their Heritages, Oxford 1981, p. 1.

الفصل الثانى

الحضارات المبكرة والهجرات الكبرى

آثار الإنسان الأول فى اليونان :

إنه خلافًا لما هو معروف فى فروع التاريخ الأخرى ، مثل التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث والمعاصر ، يجب أن نضع فى إعتبارنا عندما نتعامل مع التاريخ القديم ، بصفة عامة ، والتاريخ اليونانى القديم بصفة خاصة ، عدة عوامل لايجب أن ننساها فى خضم التفاصيل الجزئية التى نتعرف عليها عبر مسيرتنا الطويلة فى دياجير ذلك الماضى البعيد .

أولاً : ضرورة إعتبار المراحل الحضارية السابقة على عام 1600 ق.م (أى على البداية الحقيقية لحضارة العنصر اليونانى الميكينى الذى أسلم الراية لهجرات أخرى جديدة أكدت مشواره الحضارى فى ظروف أفضل تاريخيًا ، وخرجت على العالم بشكل حضارى جديد) جزء لايتجزأ من ماضى اليونان البعيد .

ثانيًا : أهمية التعرف على آثار ذلك الرجل اليونانى الأول – فى أصغر وأفقر وأقدم ، جماعة سكنت تلك البقعة من شمال حوض البحر المتوسط ، ذلك لأن الإنسان هو المعيار الأول والأخير لكل شئ سواء فى الماضى أم فى الحاضر . ولاسيما فى غياب الكشف عن لغة مكتوبة أو سجلات محفوظة بلغة مفهومة ، لنا اليوم ، مما يلزمنا محاولة فهم متعلقات ذلك الإنسان الأول وصولاً إلى تاريخه المكتوب. وهنا نذكر المؤرخ الكبير أرنولد توينبى الذى يقول :

"Man may be the measure of all things, but literature certainly is not"(1)

ولما كان من غير الممكن وفى عداد المستحيل ، أن نَفْصِلَ أو أن نغفل المراحل الحضارية التى عاشها سكان بلاد اليونان فى بداية عهدهم بهذه المنطقة سواء فى البلد الأم أم فى جزر البحر الإيجى ، فإن التأريخ لوجود آثار للإنسان على الأرض اليونانية، ليجعلنا ننظر إلى الوراء بعيداً فى غياهب الماضى السحيق ، حيث يمكننا أن

---

(1) Toynbee, A., The Greeks and their Heritages, Oxford 1981, p. VIII.

نجد آثاراً قليلة ، لاتتعدى أدوات الإنسان الأول الحجرية ، والتى احتفظ بها داخل مسكنه البدائى فى جوف الكهوف والمغارات الطبيعية ، التى اتخذ منها مسكناً يأويه ويحميه ، أو ربما بعض بقاياه هو نفسه ، على شكل هياكل عظمية وجماجم .

ولمزيد من الفائدة . فإننا نرى أن نستعرض ، تلك الآثار البسيطة فى جولة سريعة ، مروراً بمراحل الحضارات المبكرة للإنسان الأول فى اليونان[1] .

أولاً : العصر الپاليوليثى :

(الحجرى القديم : 10.500 - 9.00 ق.م) :

إنه وحتى الحرب العالمية الثانية ، لم يكن الإنسان اليونانى الحديث يعرف تاريخ وآثار الإنسان الأول على أرضه والذى كان يحترف الصيد – قبل أن يستقر ويمارس مهنة الزراعة . فقبل حوالى نصف قرن من الزمان ، عثر أثرى نمساوى يدعى ماركوفيتش (MARKOVITS) فى كهف بشمال البلوبونيز على آثار يرجع تاريخها إلى العصر الباليوليثى . لكن هذا الكشف لم يتم نشره بصورة كاملة ، كما أنه أُهمل فيما بعد . أما فى سنة 1941 ، وأثناء الاحتلال الألمانى لليونان ، تم العثور على آثار تؤرخ بحوالى10.000 سنة ق.م ، فى كهف «سيذى» بالقرب من بلدة «أليارتوس» بمحافظة ڤيوتيا شمال غرب أثينا . وفى سنة 1958 كان هناك كشف آخر فى ثساليا وكذلك فإنه فى عام 1960 ، تم إكتشاف آثار يرجع تاريخها إلى هذا العصر فى منطقة «إليس» شمال غرب البلوبونيز .

وفى عام 1961 ، تم الاكتشاف الأكبر ، فقد أخرجت معاول الحفر إلى النور جمجمة أقدم إنسان نعرفه من اليونان . كان ذلك فى كهف بمنطقة خاليكيذكى بمقدونيا وكان لهذا الكشف أهمية خاصة عظيمة ، فى تغيير خريطة التاريخ لحضارة ماقبل التاريخ فى بلاد الإغريق[2] ذلك لأنها لإنسان «نياندرتال»

---

(1) يذهب الأثرى اليونانى باپاثناسوبولوس إلى أبعد من هذا ويطالب بإلغاء تعبيرات مثل : ماقبل التاريخ وآثار ماقبل التاريخ وغيرها ، لأنها ليست سوى مصطلحات تقليدية لا أساس لها من *الواقع الحضارى المتصل دائمًا* .

(2) هذه التسمية فى العربية اشتقت من اللغة اللاتينية "GRAECI" وهو إسم فى الأصل كان قد أُطلق على قبيلة ما . أما التسمية اليونانية البحتة فهى المشتقة من إسم البلد الأم والذى أطلق عليها ، فقط ، أثناء العصر الكلاسيكى ليعنى كل البلد الأم «وليس جزءاً» واحداً منها . كما كان عند هوميروس أو هيسيود ، أنظر :

Liddle and Scott' Greek-English Lexicon (Intermediate), Oxford 1968, p. 251, s.v. "Hellenes".

وأيضًا قاموس الاشتقاقات اليونانية : = HOFFMAN

(NEANDERTAL) مما جعل التاريخ اليونانى يزداد قدماً ، ويمد جذوره إلى أعماق بعيدة فى تربة الماضى السحيق [1] ، لأنه كان المعتقد لفترة طويلة ، وحتى لحظة الاكتشاف السابق ، أن اليونان تعتبر واحدة من دول البحر المتوسط القديم ، والتى لم يعمرها ويسكنها الإنسان قبل العصر النيوليثى المتقدم (المبكر) أى قبل حوالى 6500 ق.م . هنا تجدر الإشارة إلى أنه لم يتم العثور على آثار حضارية لإنسان «نياندرتال» فى مناطق عديدة من أوروبا وأناتوليا (بلاد الأناضول) ، وفلسطين ، وإيران . ولكنه من المؤكد أن أناساً متجولين (رحل) ، كانوا ينتقلون داخل اليونان ذاتها، البلد الأم ، إبان العصور الباليوليثية الوسيطة ، ربما قبل 7000 ق.م .

والجدير بالذكر أن أدوات حرفية لهؤلاء الرحل قد تم العثور عليها فى منطقة «بانتاناسا» (PANTANASSA) فى محافظة إيبيروس شمال غرب اليونان .

وتجدر الإشارة إلى أنه إبان العصور الباليوليثية العليا (أى الأقدم) كان قد وصل إلى داخل اليونان (البلد الأم) جماعات متجولة ، استقرت فى سهول ثساليا ، وڤيوتيا الخصيبة ، حيث الأنهار الكبيرة ، والبحيرات الداخلية ، مما شجعها على الاستقرار والإقامة فيها . بعض من هذه الجماعات وصل إلى منطقة «أرجوليذا فى شرق شبه جزيرة البلوبونيز ، وكذلك إلى السهل الساحلى فى محافظة إليس شمال غرب نفس شبه الجزيرة . وقد استمد المؤرخون تلك المعلومات اعتماداً على اكتشاف أدوات حجرية يرجع تاريخها إلى العصور سالفة الذكر ، فى أكثر من عشرين منطقة بحذاء شاطئ «نهر بنيوس بثِساليا وفى كهف بجانب بحيرة كوپايس (Kopais) بمحافظة ڤيوتيا . وبالمثل فقد عثِر على أدوات حجرية أخرى بالقرب من أوليمپيا ، وفى منطقة أرجوليذا (Argolida) .

ثانيًا : العصر المسوليثى :

وهى فترة الأزمنة الحجرية الوسيطة (9500 - 6500 ق.م) وفيها كشفت الحفائر عن وجود صناعات للأدوات الحجرية الصوان ، كانت منتشرة على شواطئ الجزر اليونانية الغربية مثل جزيرة كيفالليينيا وزاكينثوس وكذلك فى جزر البحر الإيجى، وبصفة خاصة فى كهف بجزيرة سكيروس وجزيرة ميلوس . وهناك احتمال كبير ، يصل إلى اليقين ، بأن صانعى تلك الأدوات الحجرية المدببة كانوا صيادين

= فضلاً عن الموسوعة الألمانية :

GRIECHENLAND-PAWLY WISOWA, s.v. HELLAS.

(1) Vermeule, E., Greece in the Bronze Age, p. 5.

مهرة متجولين فى وقت ما فى الفترة الواقعة بين 10.000 و 7000 ق.م ، أى قبل الاستقرار ، وممارسة الزراعة كحرفة لسكان تلك المناطق .

كما تم العثور على أدوات حجرية مشابهة فى مناطق أخرى مثل كهف كاكى سكالا فى المنطقة الصخرية الواقعة بين ميجارا ، وكورينثوس كان العالم ماركوفيتش قد إكتشفها عام 1930 وجميعها يرجع إلى نفس العصر الحجرى الوسيط (1) .

ثالثا : العصر النيوليثى (العصر الحجرى الحديث) :

وتؤرخ هذه الفترة عادة فما بين 6500 - 3000 ق.م ، وقد قالت عنها المؤرخة ڤيرميول فى معرض حديثها عن سكان ومعاصرى تلك الفترة .

"They cannot be thought of as a united group, or even as sober proprietors of a cleany defined sagment of centuries" (2).

وهكذا ، فإننا لايمكننا أن ننظر إلى حقائق ماقبل التاريخ فى عصوره الحجرية الأولى التى شهدت مولد الوجود الإنسانى ونشاطه البدائى فوق سطح هذا الجزء من العالم ، كحقائق عامة لكل قاطنى شبه جزيرة اليونان فى ذاك الماضى السحيق من تاريخهم ، ولكن ماكان ينطبق على بعضهم فى منطقة من المناطق ، لايسرى على أناس آخرين أو جماعات أخرى فى منطقة أخرى . وعلى هذا الأساس فإننا نلاحظ أن العادات الحضارية فى العصر الحجرى القديم لبعض المناطق قد استمر دون إنقطاع حتى العصر البرونزى الوسيط وإن نفس العنصر السكانى وبصفة خاصة هؤلاء الذين كانوا يسكنون القرى الشمالية قد ظهر إلى الوجود من جديد كعنصر أساسى وكسلالة عريقة ، حتى بعد أن تعلموا إستخدامات الأدوات البرونزية أو الحديدية المتأخرة .

* حضارة ثساليا :

إنه منذ عام 1958 فقط ، إستطاع دارسو الحضارة اليونانية القديمة إبان ماقبل التاريخ ، أن يتعرفوا على وجه التحديد على كيفية حياة يونانى العصر الحجرى الحديث ، وكيف كانت متنوعة مهاراتهم الكثيرة التى تعلموها آنذاك .

وهكذا ، وبفضل علم الآثار إستطاع علماء التاريخ والأجناس أن يضيفوا إلى معلوماتهم أن أقدم قرية عرفوها فى اليونان هى قرية «نيانيكوميديا» فى إقليم مقدونيا بشمال اليونان . وعند تأريخ آثار تلك القرية من عينات فخارها توصل العلماء إلى أن

---

(1) Hood, op. cit., p. 16 .

(2) Vermeule, op. cit., p. 5ff.

صناعة الأوانى بها كانت معروفة حوالى سنة 6475 ق.م[1] .

ولكن أقدم مركز حضارى نيوليثى فى اليونان هو مدينة سيسكلو (Sesklo) والتى تم الكشف عنها ، فوق تل صغير ، إرتفاعه 18.50 متراً ، وتحتل موقعاً مسطحاً، يصل طوله إلى حوالى 100 متر ، وعرضه حوالى 40 متراً . إن هذا الموقع ليس مدينة بالمعنى الشائع لدينا الآن ولكن مجرد تجمع سكانى لفلاحين استقروا فى هذه المنطقة، وكانوا يحصلون على المياه اللازمة لهم من بئر جوفية غنية[2] .

وتجدر الإشارة إلى أن من يزور متحف ڤولوس فى شمال اليونان (وسط ثساليا) يستطيع أن يرى آثار تلك المنطقة ، وعلى وجه التحديد ، قطع الفخار وبالأخص ، ذلك النموذج لبيت صغير من الفخار ، ومزخرف بخطوط طولية وأخرى عرضية متقاطعة ، باللون الأحمر على أرضية بيضاء . هذا فضلاً عن وجود أنماط زخرفية ، تتسم بالطباع الهندسى ، فتأخذ شكل المثلثات ، المعتدلة أو المعكوسة ، نراها تتكرر باستمرار كطرز جمالية خلابة .

ومما يلفت النظر فى إكتشافات تلك الفترة المبكرة من مشوار الحضارة اليونانية القديمة فوق أرض هذه المنطقة ، والتى يرجع تاريخها إلى العصر النيوليثى ، أن لكل قرية أو تجمع بشرى أسلوبه الخاص فى زخرفة آنيته وهذا مايتضح كل الوضوح فى آثار منطقة ذمينى (Dimeni) والتى تمثل تاريخيًا – فترة لاحقة لآثار سيسكلو ، السالفة الذكر .

لقد كشفت الحفائر التى تمت فى هذه المنطقة ، أى فى ذمينى ، أن شعباً جديداً كان قد غزا الوديان الشرقية لتلك المحافظة ثساليا ، وأن بعض القرى قد إحترقت ، والعديد منها كان قد تم الإستيلاء عليه على أيدى جماعات بشرية ، غريبة الخصائص، وإن كانت تتصل بجذور الحضارة نفسها . حدث هذا على الأرجح ، مع بدايات الألف الرابعة ق.م واحتكاماً إلى آثار تلك البقعة ، فإن سكان ذمينى ، أظهروا أنهم كانوا أقل تقدمًا من أسلافهم الذين كانوا يقيمون فى منطقة سيسكلو ، وإن كانوا

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه القرية أنظر : Vermeule, op. cit., pp. 7-9, 331, No. 1.
وكذلك الأثرى هود : Hood, S., op. cit., pp. 21-22
هذا ، فضلاً ... عن أحدث كتاب عن هذه الفترة وهو باليونانية الحديثة ، ويعنى أنه تم العثور على حجرات واسعة ، مربعة الشكل ، مصنوعة الحوائط من الطين ، وقائمة على أرض صلبة ثابتة : Papathanasópoulos, Neolithiká - Kykladiká, Athena 1981, p. 35.
(2)Ibid., p. 36 .

أكثر حذراً وطموحاً . لقد أصبح من المؤكد أن أهل ذمينى كان لديهم قدرات حربية وسياسية مكنتهم من السيطرة على السهل الساحلى لشرق تساليا . وبالإضافة إلى ذلك فقد أضافوا من عندهم عنصراً جديداً فى بناء قراهم بأن بنوا أسواراً حولها حماية لها وأمناً ضد أى عدوان خارجى . وكان هذا العنصر المعمارى الجديد ، فضلاً عن بناء صالة طويلة مستطيلة الشكل ، والتى تسمى باسم (مغارون) ، مظهران من مظاهر إرتباطهم وإتصالهم بحضارة أناتوليا (ANATOLIA) فى الشرق . كما توجد هناك مظاهر حضارية أخرى تنتمى إلى مجال التعبير الفنى لهؤلاء مثل زخارفهم اللولبية أو الحلزونية مما يؤكد ، مرة ثانية ، على إتصال هؤلاء وعلاقاتهم بحضارة أناتوليا .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان لسكان ذمينى روابط تربهم مع جماعات من فلاحين ومزارعين من أوروبا النيوليثية ، تلك الجماعات التى كانت تستخدم أنماطاً زخرفية جيومترية ، بما فى ذلك من الأشكال اللولبية والهرمية والمياندروس ، وبالذات النوع المعقد منه [1] وكانت كل العناصر الزخرفية هذه ترسم داخل إطار أيضاً، ويأخذ شكلاً جيومترياً ، وكلها ملون باللون البنى أو الأسود على أرضية ذات لون أصفر برتقالى .

ومن الواضح أن سكان ذمينى لم يكونوا كثيرين فى عددهم ولكنهم كانوا منظمين إلى حد كبير . كما أنه من غير المعروف يقيناً ، من أين جاءوا إلى تساليا [2] . وعموماً فإنهم قد دخلوا إلى تلك المنطقة من شمال اليونان عن أحد الطريقين التاليين أو عن كليهما معاً :

أولاً : عن طريق السهول المفتوحة لشرق مقدونيا وثراكى (Thráke) .

ثانياً : أو عن طريق البحر من أناتوليا الغربية ، أو حتى من القوقاز .

وبعد هذا العرض السريع للإجابة عن سؤال : من أين جاءت تلك الهجرات الأولى للمرحلة الأولى لأقدم حضارة عرفتها اليونان ، يجب أيضاً أن نلم ببعض ملامح الحضارة الأخرى للفترة نفسها ، وهى العصر النيوليثى الحديث ومنها :

*** اللـــغة :**

وهى واحدة من العناصر الثلاثة الأساسية (الإثنان الآخران هما : الأصل وقد تكلمنا عنه سابقاً ، والديانة وسنسير إليها بعد ذلك) التى تبلورت من خلالها الحضارة

---

(1) Vermeule, E., op. cit., pp. 14-15, ff.

(2) Gimbutas, Prehistory of Eastern Europe, I, pp. 51, 99, 114.

النيوليثية بصفة خاصة ، والحضارة اليونانية بصفة عامة . ولكن معلوماتنا عن تلك المظاهر الحضارية الثلاثة لتلك المرحلة القديمة فى مشوار الحضارة اليونانية المبكر ، تدخل فى عداد المعلومات غير المؤكدة وكل مانعرفه عن تلك العناصر لايخرج عن كونه مجموعة إحتمالات تقريبية وليست حقائق تؤكدها أو تنفيها ، الاكتشافات الأثرية الخاصة بها .

نحن نعرف ، فى حالة سكان ثساليا أن هجرات عديدة جاءت إلى تلك المنطقة بعضها عن طريق البحر من الشرق والبعض الآخر عن طريق البر من الشمال ولهذا فإن هناك صلات قرابة حضارية مع أناتوليا وبلاد الشام الشمالية ، من جهة ، وذلك خلال المراحل المبكرة لتلك الهجرات ، ومن ناحية أخرى مع الشعوب البلقانية وذلك إبان المراحل التالية لها . وقد ظلت هذه الأفواج الأولى من الهجرات تسود هذه البقعة من الأرض ... كأول مالك لها ولمدة طويلة من تاريخ اليونان القديم ولابد أن لغة هؤلاء كانت قد تأثرت بلهجة محلية . كما أنه كانت هناك فرصة ممتازة لانتشارها فى الأماكن التى لم يصلها غزاة أو مهاجرون .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ، أن هيرودت أبا التاريخ كان على علم بوجود جماعات غريبة أجنبية – أى غير يونانية – تتحدث لغة قديمة أو عدة لغات ، تلك التى سماها – دون تدقيق – «البلاسجين» [1] ، ولم تكن هذه اللغات البلاسجية متشابهة على الإطلاق ، بل ربما كانت خليطاً عجيباً ، وضخماً وعتيقاً ، ومختلفاً تماماً للغتين أو أكثر ، يؤرخ لها بفترة سابقة على ظهور اللغة اليونانية ذاتها .

لقد كان هوميروس الشاعر الملحمى الخالد ، هو أول من ذكر اسم [2] (Pelasgoí) كقبيلة حليفة للطرواديين واصفاً إياهم بأنهم «**القادمين من لاريسا ، من بعيد**» أى من تراكى بشمال اليونان .

وخلاصة القول أن البلاسجين ، ربما كانوا سكان البحر الإيجى الشماليين الذين هاجروا إلى مناطق عديدة طوال آلاف السنين للعصر النيوليثى الحجرى الحديث[3] . وأن منطقة ثساليا القديمة ، بسبب طول فترات تاريخها القديم كانت أقدم مركز عبادة فى اليونان كله ، وبالتحديد فى ذوذنى بمنطقة إبيروس فى شمال غرب اليونان ، وكانت ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالعنصر التاريخى من جنس هؤلاء البلاسجين أى أولئك

---

(1) Herodotus, 1.57. (Loeb Classical Library).

(2) Iliad, 2.840; 17.301 (Loeb Classical Library).

(3) Oxofrd Classical Dictionary, op. cit., p. 794, sub verbo : "Pelasgians" .

الذين يسكنون ذات المنطقة لاريسا ، فى ثساليا ، عندما كانت تسمى كلها باسم (Lárissa) [1] .

*** الديانة :**

إن طبيعة الديانة اليونانية فى العصر الحجرى الحديث أوضح بكثير من طبيعة اللغة فى الفترة نفسها من تاريخ اليونان . لقد كانت ذات طابع متميز تمامًا عن الحضارات النيوليثية لكل العالم الأوروبى ولشعوب البحر المتوسط عامة . ذلك لأنها عبرت عن نفسها ، وبصورة أساسية ، عن طريق إستخدامها لتماثيل وثنية لمعبودات أنثوية وفى إستخدام الكهوف كأماكن لتلك العبادة . وكان من المعتاد صناعة تلك التماثيل الصغيرة الحجم مِن الطين والتى تتكون من كرات صغيرة أو بتشكيل الأطراف منفصلة ، وقد أُصقِت ببعض عند وسط الشكل المراد تصويره . أما إذا تم تشكيل هذه التماثيل من حجَارة أفضل مثل حجر السربنتين (SERPENTINE) أو الرخام ، أو الحجر الجيرى ، فإنها تكون أكثر جاذبية لنا الآن (!!!) .

وعمومًا فإننا نستطيع القول بأن الإنسان اليونانى القديم ، آنذاك لم يختلف كثيراً فى تصوره لآلهته البدائية عن تصور الرجل الشرقى لها نظراً لتقارب وتشابه البيئة المحيطة بكل منهما من سهول منبسطة من سهل وماء وفير وخير عميم تجود به الأرض الخصبة التى يحيا فوقها الإنسان الشرقى حول مصاب الأنهار واليونانى فى سهول ثساليا الممتدة الخصبة ولكن لماذا التشابه رغم عدم الإتصال بينهما ؟

ومع مرور الزمن ، ومع كثرة العناصر البشرية التى إختلط بها إنسان العصر النيوليثى اليونانى ، فإننا نلاحظ إتجاهين . الأول : هو الرغبة فى التعقيد فى أشكال التماثيل وزخرفتها ، والثانى : هو الهبوط بمستوى صناعة تلك التماثيل . إنه بمقارنة المجموعة الجميلة لتماثيل أناتوليا والتى تم الكشف عنها ، بصفة خاصة فى مدينة (Hacilar) فإننا نتأكد من درجة الجمال والروعة التى يمكن أن تصل إليها صناعة الإنسان النيوليثى المبكر . ولكن تماثيل سيسكلو النيوليثية لم تصل إلى هذا المستوى الراقى ، كما كان فى الشرق القديم .

إن القيمة الحقيقية والفعلية لتماثيل سيسكلو لاترجع إلى قيمتها الفنية ولكن لكونها أقدم ماخلفته يد إنسان يونانى ، فى بلده الأم تعبيراً عن شكل المعبود (الربة أو الرب) ، ذلك المعبود الذى لم يأخذ أى شكل آخر من أشكال الكائنات ، ولاحتى شكلاً

---

(1) نفس المرجع السابق . ولمزيد من التفاصيل ، راجع : Kitto, The Greeks. pp. 12-28.
وأيضًا : Finley, Y, The Ancient Greeks, pp. 15-18 : "Who Were Greeks?".

زخرفياً ، بل أخذ شكل الإنسان نفسه وهنا يتمثل جوهر الإختلاف بين نظرة اليونانى القديم ونظرة الشرقى ، وتخيل كل منهما لشكل آلهته .

وتأخذ تماثيل سيسكلو عادة شكلاً معروفًا جداً يوصف بأنه (STEATOPY-GOUS) [1] أى أنها كانت تتميز بالإمتلاء والانتفاخ والسمنة . وكانت تصور ، فى معظم الأحوال ، تماثيلاً أنثوية لـ (الربة / الأم) وكانت تنحت فى أشكال عدة ، تتفاوت تفاصيلها قليلاً ، وإن إتفقت دائماً فى خاصية مميزة لها وهى السمنة . فعادة يكون لها رأس طويل بيضوى ، ورقبة مماثلة فضلاً عن صدر بارز ممتلئ ، وأكتاف وأرجل نحيفة ، مع التركيز على إيضاح وإبراز منطقة العانة المثلثة الشكل . أما الأذرع فإنها تكون مضغوطة إلى الصدر أو ممددة فى إتجاه الرحم وعادة إما أن تكون واقفة [2] وإما أن تكون جالسة[3] . وشعرها إما يكون قصيراً ملموماً ، أو طويلاً فى شكل ضفيرات عدة ، أو ضفيرة صغيرة واحدة طويلة ومربوطة . كما أنه يمكن أن نرى عقداً فى صدرها .

أما مع نهايات العصر النيوليثى ، فإننا ندرك مدى التطور والتقدم فى نحت أشكال تماثيل «الربة / الأم» فغدت تلك التماثيل تلوّن ويضاف إلى أنماطها شكل «الربة المرضعة» التى تطعم طفلاً . والجدير بالذكر أنه قد وجد ، بين تماثيل الربة/ الأم ، بعض أشكال التماثيل الذكور وهى ليست فى حقيقة أمرها سوى بدائل لتماثيل النساء وعادة ماتكون تلك التماثيل الذكور عارية . وبالرغم من وجود مثل هذه التماثيل فى ذلك العصر المبكر من التاريخ اليونانى ، إلا أننا لانستطيع أن نجزم بأن وجود تلك التماثيل معناه تغيير فى العبادة والديانة وتحول عن عبادة «الربة / الأم» إلى عبادة «الإله الذكر» أو ما إذا كانت تماثيل الرجال تلك ، ماهى إلا محاولات فنية ، تشكيلية

---

(1) أولى معانى هذا الإصطلاح اللغوى هو : «الممتلئة الأطراف» والمعنى الإشتقاقى جاء أصلاً من تلك الكلمة المركبة اليونانية بمعنى «الممتلئة العجز» وهى مشتقة من كلمة (Stéar) «دهن» «شحم» «بدانة» ، وكلمة (Pyge) العجز أو الرف . وعليه فإن صورة المصطلح اليونانى هى صفة مركبة للمذكر أو المؤنث ولهذا نجد كل تماثيل الربة / الأم تبرز ضخامة وانتفاخ البطن والعجز ، وهى بذلك تثير حقداً شديداً فى نفوس كل من يراها ، من ناحية ، كما تبعث ، من ناحية أخرى الأمل الكبير فى داخل تلك النفوس ذاتها لأن تنال من الخير العميم بعضاً من هذا النعيم الذى تتمتع به الربة وتظهر آثاره واضحة جلية فى سمنتها . كانت تلك الربة تبارك المحاصيل ، فتزداد إنتاجيتها وتبارك الحوامل حتى يلدن أطفالاً كثيرين ، يكونوا فلاحى المستقبل الذين يفلحون الأرض ، رمز الخصوبة والنماء ويخرجون كنوزها .

(2) Vermeule, op. cit., plate II.D.

(3) Ibid.

نحتية وذلك من أجل التخفيف من حدة الملل السائد بسبب إستمرار وجود الأنثى الخالدة [1] .

ومع نهايات العصر الحجرى الحديث ذاته (أى النيوليثى) يلاحظ أنه قد كثرت صناعة تماثيل الحيوانات المصنوعة من الطين . كما تم الكشف عن العديد من الأشكال التشكيلية ونماذج لمعابد صغيرة ، وكذلك كثير من كراسى العرش .

وإنه لمن أهم معالم الحضارة اليونانية إبان فترة العصر النيوليثى : أن الإنسان اليونانى وقتئذ لم يهتم بالنحت العملاق فى مقاييسه أى النحت الضخم (يقصد به النحت الذى يفوق حجم الإنسان) . ولهذا لم تمدنا الحفائر حتى الآن إلا بنموذج واحد فقط لتمثال عمودى حجرى "STONE PILLAR FIGURE" إشتهر باسم "MENHIR" «منهير» وهو تمثال مستوى السطح تقريباً وليس مجسمًا مع وجود زخرفة خطية تم العثور عليه فى منطقة «سوفلى» بثساليا شمال شرق اليونان .

فإذا كان صحيحاً ، أن هذا التمثال [2] يمكن تأريخه بالعصر النيوليثى ، من وجهة النظر التأريخية ولايرجع إلى العصور الأخرى التالية مثل العصر الميكينى أو حتى العصور الوسطى الميلادية ، **فإنه لايمكننا الاعتماد على نموذج واحد فقط وندّعى إستناداً إلى هذه الحالة الفريدة فى حجمها والمشكوك أصلاً فى تاريخها ، أن اليونان عرفت نحت التماثيل الأكبر من الحجم الطبيعى منذ العصر النيوليثى (!!!)** .

إن إكتشاف هذا التمثال ، وغيره من التماثيل صغيرة الحجم «للربة / الأم» يجعلنا نتأكد من أن اليونان القدماء فى عصرهم الحجرى الحديث كانوا قد عبدوا تلك الربة ، ربة الخصوبتين : خصوبة الأرض وخصوبة المرأة مستخدمين فى عبادتهم لها تماثيل متشابهة وربما أيضًا طقوسًا دينية متشابهة بما فيها أضحيات (قرابين) وترانيم . وهنا تجدر الإشارة إلى أن تلك الطقوس ، بغض النظر عن الاختلافات اللغوية للشعوب ، كانت معروفة للزائرين والقادمين ، على السواء من سوريا وأناتوليا والعراق القديم فضلاً عن أولئك النازحين من الجزر وبلغاريا والمجر ، قاصدين بلاد اليونان القديمة .

---

(1) لمزيد من الدراسات والتفسيرات حول تماثيل العصر النيوليثى . أنظر :
(A) Khourmouziádes, G., To Neolithikó Dimeni, Vólos, 1979, .
(B) Hansen, H., Early civilization in Thessaly, 1933.
(C) Evans, J., I.L.N., 8 (1961); JHS, 1961; BSA., (1964) .

(2) هذا التمثال لامرأة واقفة ، ترتدى قميصًا طويلاً حتى القدمين ، على قاعدة كبيرة متصلة بنفس التمثال . وهو الآن معروض فى متحف لاريسا بمحافظة ثساليا . وكان قد تم تثبيته داخل محراب صلاة تركى ، يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر الميلادى (!!!) .

لقـد كـان لعبـادة الربة «الأم» قـوتهـا وجـذورها العمـيـقـة فى نفوس الفـلاحين اليـونانيين القدمـاء ، وحياتهم الزراعيـة آنذاك إلى درجـة أنها لـم تمت قط ولم تفن أبداً من بلاد اليونان . إنهـا ربما بمرور القرون تكون قد تعرضت لتغيير فى ملامحها أو ضاقت مساحة إنتشارها ، أو حتى أصبحت عبادة محلية غير رسمية واضطهدت ، فسايرت الأحوال السياسية من حولهـا وإنزوت أمام التيار الجامح للديانات الجديدة عليها ، كـأحد الينابيع ، والمصـادر الأولية والمبدئية للحضارة النيوليثيـة ، وكـهدايا لأحـفـادهـا فـى اليـونـان والشـرق القـديم ، عـاكسـةً قـدر الإيمـان الفطرى الحنيـفى القـديم (!!!) .

ولكن من السمات العامة ، والأساسية لتلك العبادة أنها لم تكن محلية ذلك لأن «الربة / الأم» كانت واحدة ، هى هى نفسها فى كل المناطق المختلفة بجميع أنحاء اليونانية القديمة ، إبان العصر النيوليثى . ولكنها مع ذلك كانت تصطبغ بصبغة محلية – فى التفاصيل – فى كل منطقة تعبد فيها وتستمد قوتها وتأثيرها من السكان المحليين الذين يعبدونها ودليلنا على ذلك هو ذلك الكم الهائل من التماثيل الفخارية المكسورة لهذه الربة والتى تم الكشف عنها فى كـهف الإله «بان» فى منطقـة ماراثون أو كـهف إليثيا وبالقرب من منطقة أمنيسوس فى كريت . وهذا يحملنا على الإعتقاد بأن هذه التماثيل جاءت مع أناس قـدموا من مناطق مـختلفة وذلك أثناء إحـتـفالات سنوية بخصوص بذر المحاصيل أو حصادها[1] .

وختاماً للحديث عن حضارة اليونانى القديم ، إبان العصر النيوليثى فإننا نذكر للمؤرخة الأثرية VERMEULE قولها :

The Greek Neolithic Age, which endured in some parts as long as four thousand years, may not be really well known yet, but it is surely of extreme and controlling importance".

ولقد كان للأثريين اليونانين الفضل الحقيقى فى إلقاء مزيد من الضوء على المراحل البدائية الأولى لحضارتهم وكان خريستوس تسونداس أقدم الأثريين اليونان هو أول من لفت الأنظار – منذ أوائل القرن العشرين إلى أهمية العثور على آثار نيوليثية فى اليونان وبالتحديد فى شمالها ، فى مدينتى ذمينى وسيسكلو . ومنذ ذلك التاريخ يزداد كل يوم عدد المتخصصين والدارسين لهذه الحضارة .

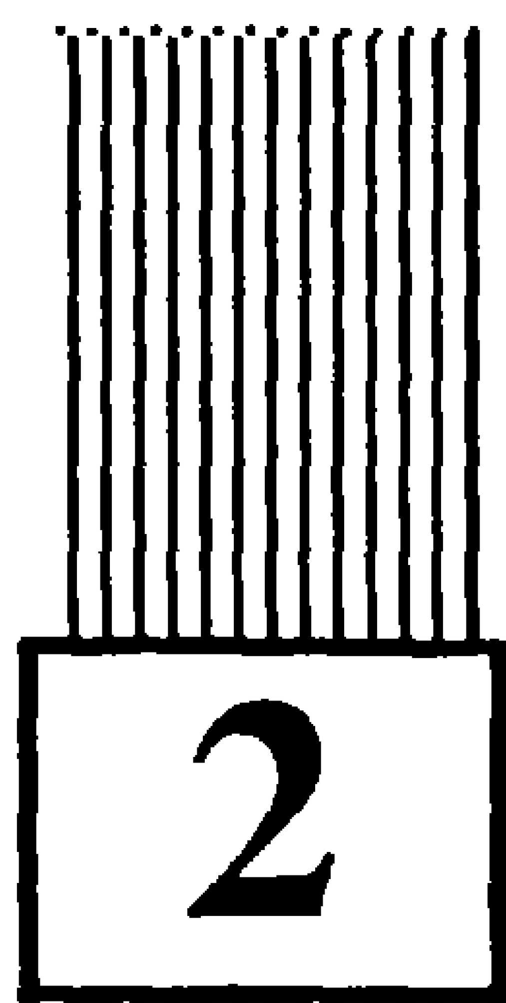
---

(1) أنظر تفاصيل الأثر على يدى علم الآثار الكريتى ، ماريناتوس (Marinátos, Spyridon.) Praktiká tés en Athenais Archaeologikés Etairecías, 1929, p. 94 .

وإنه تسهيلاً على الدارسين العرب لهذه الفترة وُجِدَ من الأفضل عَمَلُ لوحة تأريخية تفصيلية للمراحل المختلفة التى مرت بها الحضارة اليونانية القديمة منذ البداية وحتى نهاية العصر النيوليثى . كل هذا مع ذكر المراحل النيوليثية كذلك التى مرت بها كريت ، كما إتضح ذلك من آثار مدينة كنوسوس بوجه خاص (شكل 4) .

هذا فضلاً عن مقارنات مع الحضارات المعاصرة لها ، فى كل من جزر الكيكلاذيس (اليونانية وسط البحر الإيجى) ، وفى داخل البلد الأم (Hellas) ، وكذلك مع السجلات المصرية المؤكدة لكل مملكة ولكل أسرة مصرية حاكمة ، فرضت مصادرها الأقدم ، بأسماء ملوكها الفراعنة ومدد حكمهم ، أن تصبح أمام الأثريين ، وفى كل حين ، معياراً أو مقياساً تأريخياً لاغنى عنه .

وهكذا ، عاشت المنطقة كلها - دونما أدنى إتصال مباشر بينها ، فى شرق وشمال حوض البحر المتوسط الشرقى ، بوحى من السماء ، ورب العالم أجمعين ، تتعبد إلى الربة / الأم (كرمز للخصوبتين : خصوبة الأرض ، وخصوبة النوع) بملامح تقريبًا واحدة ، مما يعكس إيمانًا فطريًا واحدًا ، من إله واحد أحد ، بيده كل شىء . وهكذا ، أيضًا ، نجد نحن ، كشرقيين مؤمنين حقًا ، أننا - وهذا هو على الأقل يقينى أنا الشخصى - أمام أقدم دليل أثرى إيمانى لكل بنى الإنسان ، فى شرق المتوسط ، التى هى أقدم بقعة لسكنى الإنسان الأول على كوكب الأرض بيقين أثرى مؤكد ، ولايمكن أن يكون ذاك التشابه إلا دليلاً حاسمًا على وحدة الخلق ووحدة الخالق، فسبحان الله ، العلى القدير .



الباب الثانى
أهم حضارات ماقبل التاريخ اليونانى

الفصل الأول
حضارات الجزر اليونانية

(أ) حضارة الكيكلاذيس وثيرا
(ب) حضارة كريت المينوية

الفصل الثاني
حضارات البلد الأم

(أ) الحضارة الهيللادية

(ب) الحضارة الميكينية

الفصل الثالث
دراسة فى المصادر الأدبية والأثرية وحجم المشكلة التاريخية للبلوبونيز وأبعادها الحضارية

أولاً : الدليل الأدبى .

ثانياً : الدليل الأثرى .

ثالثاً : حجم المشكلة التاريخية للپلوپونيز وأبعادها الحضارية .

الباب الثانى
أهم حضارات ماقبل التاريخ اليونانى

عرفت بلاد اليونان القديمة ، عبر العصور ، منذ عصر البرونز وحتى بداية عصر الحديد أى منذ حوالى 2600 ق.م وحتى عام 1100 ق.م . تقريباً عدة مراحل حضارية ، كان لكل منها إسم مميز يخص منطقة نشأتها وازدهارها حتى أفولها .

ففى حوالى 2600 ق.م بدأ استخدام اليونانى القديم لمعدن النحاس أولاً ، وبصورته النقية . واستمر ذلك الوضع لما يقرب من 200 سنة ، ثم شاع هذا الاستخدام، حتى سميت هذه المرحلة المبكرة من ذلك العصر باسم المرحلة النحاسية الحجرية ، ذلك لأن الناس ، طيلة تلك الفترة ، كانوا لا يزالون يستخدمون الأدوات المصنوعة من الحجارة كذلك .

ولكن عندما تمكن اليونانى من استخدام ذلك المعدن مخلوطاً بالقصدير فإنه تعلم كيفية صنع أدواته لاستخدامه اليومى من معدن أكثر صلابة ، هو البرونز الناجم عن عملية المزج والخلط تلك .

وقد ظهرت فى تلك الأثناء حضارة هامة جداً فى جزيرة كريت ، وبصفة خاصة فى النصف الشرقى منها بساحليه الشمالى والجنوبى ، بينما أخذت تنجلى معالم حضارة أخرى ، ذات طابع خاص ، فوق جزر البحر الإيجى ، فى وسطه ، حيث تمتد جزر الكيكلاذيس ولكن فوق الأراضى اليونانية ذاتها ، أى فوق سطح البلد الأم ، فكان هناك حضارة هيللادية تنمو وتزدهر . ومما هو جدير بالذكر أن كل هذا كان يحدث -تقريباً- فى آن واحد ، مع إختلاف ظروف نشأة كل حضارة على حدة ، وإن اتصلت جميعها ببعض -كما أثبتت الحفائر الأثرية ذلك.

الفصل الأول

حضــارات الجــزر

(أ) حضارة الكيكلاذيس[1] وثيرا :

وهى من أقدم صور الحضارة اليونانية القديمة ، على الإطلاق ، تلك التى خلّفت آثاراً لها قيمتها الفنية ، ودلالتها الاجتماعية الحضارية كمؤشر على تطور الفكر اليونانى القديم والذى سبق حضارة الجنس اليونانى الذى قطن البلد الأم وتحدث بلغة هى أقرب الأشكال جميعها إلى لغة العصر الذهبى الكلاسيكى (القرنين الخامس والرابع ق.م) .

شهدت تلك الحضارة انتشار استخدام المعادن ، مما أعطى سكان تلك الجزر الفرصة فى القيام بعمليات تجارية دائمة مع أقرب الجزر اليونانية إليهم ومنها جزيرة كريت وكذلك مع البلد الأم غرباً ، وجزيرة قبرص شرقاً ، والشاطىء الأفريقى جنوباً.

وتتميز المرحلة الأولى من تلك الحضارة بطابعها الخاص الذى تصبغه روح الجزر اليونانية بصبغة خاصة فريدة وأصيلة .

وإذا ما أرّخنا لهذه الفترة فإن المؤرخين المتخصصين ودارسى آثار تلك الحقبة يضعونها فيما بين 3200 و 2000 ق.م وذلك على أساس تاريخهم لمخلفات ذلك العصر من أدوات للاستخدام اليومى من أسلحة وآنية حجرية وأدوات منزلية وحلى وتماثيل صغيرة رخامية وجميعها يشير إلى مستوى معيشى مرتفع وذوق فنى مقبول (انظر مثال : تمثال عازف موسيقى جالس)[2]وتعتبر أمثال هذه التماثيل الصغيرة ،

---

(1) سُمِّيت هكذا نسبةً إلى شكل المكان الذى نشأت فيه وازدهرت بين ربوعه وهى مجموعة جزر وسط البحر الإيجى والتى تسمى - باليونانية (Kykládes) نظراً لأنها تأخذ فى مجموعها شكل الدائرة. ومن أهم جزر الكيلاذيس ، جزيرة ناكسوس ، وجزيرة ثيرا (أو ساندوريني) وكذلك جزيرة ديلوس وغيرها مثل جزيرة ميلوس ، جزيرة كيَا وجزيرة باروس التى إشتهرت بجودة رخامها ، وانتشرت سمعته فى جميع أنحاء اليونان القديم الذى كان يستورد مايزين بها مبانيه وينحت منه تماثيله الخالدة على مر العصور . كانت تتكون قديماً من (15) جزيرة ، ولكنها اليوم تتكون من حـــوالى (30) جزيرة تدخل جميعًا فى نطاق محافظة الكيكلانون (Nomós Kykládon) .

(2)Higgins, R., Minoan and Mycenaean Art, London-Thames and Hudson-1967 (Rep. 1974) fig. 64.

فضلاً عن الأحجام الكبيرة منها ، دليلاً قوياً على حساسية ودقة الفنان الكيكلاذى فى مثل هذا التاريخ المبكر من حضارته ، عند نحته لملامح معينة بعينها من أجزاء تماثيلها لآلهته أو لأقرانه من بنى البشر ، مثل عازف الناى ، ذلك التمثال الضخم الموجود فى المتحف القومى للآثار فى أثينا ، فى مدخل قاعة الحضارة الكيكلاذية وتجدر بنا الإشارة إلى بساطة هذا النوع من التماثيل وانسياب خطوطه العامة ، الأمر الذى جعله أقرب أنواع الفنون القديمة إلى ما يسمى اليوم بالفن التجريدى وأكثرها جذباً للسائح الأجنبى عند زيارته لليونان .

وفى نهاية الألف الثالثة ق.م ، نلاحظ ظهور قوة بحرية تجارية جديدة فى الميدان ، وهى النشاط البحرى الزائد للأسطول الكريتى القديم ، الذى نسميه العصر المينوى[1] وأنه بالرغم من تدهور القوة البحرية الكيكلاذية إبان العصر الكيكلاذيى الوسيط (حوالى 2000 - 1550ق.م) ، إذ أن آثار تلك الفترة من حياة حضارة الكيكلاذيس كما هى واضحة للعيان إثر القيام بحفائر فى جزيرة ميلوس ، وبالتحديد فى منطقة «فيلاكوپى» وفى جزيرة پاروس وأيضاً «كيا» فى منطقة «أغيا إيرينى» حيث تم الكشف عن مناطق سكنية قديمة ذات حجرات ضيقة ، ومبنية من الطوب اللبن والحجارة . هنا لابد من الاشارة إلى أن آثار تلك المدن تعطى انطباعاً عن تأثير حضارة البلد / الأم، اليونان ذاته وكذلك كريت على المعالم الحضارية لسكان تلك المناطق من جزر ، اليونان الكيكلاذيس .

وفى الجزء الأخير من العصر البرونزى أى فى الفترة الواقعة من حوالى 1550ق.م إلى 1100 ق.م كانت قد إكتملت عناصر قوة جديدة أخذت مقدرات جزر البحر المتوسط فى أيديها طيلة أربعة قرون ونصف تقريباً . إنها قوة الآخيين أو الميكينين[2] الذين كانوا يتخذون من مدينة وقلعة ميكينى (Mykénai) ، عاصمة لهم، أو موكيناى الكثيرة الذهب ، كما وصفها هوميروس فى الإلياذة[3] .

وكشف خريستوس تسونداس ، فى نهايات القرن التاسع عشر عن حضارة لها طابع خاص ومميز بين حضارات البحر الإيجى ، وهى الحضارة الكيكلاذية فى جنوب ذلك البحر .

---

(1) نسبة إلى أقوى ملوك كريت فى ذاك الوقت ، ويدعى مينوس : (Minos) .

(2) لم يفصل المؤرخون – حتى الآن – فى أصل هؤلاء القادمين إلى اليونان . أنظر مقالة لى بهذا الخصوص وعلاقتهم بمصر ، فى المؤتمر المحلى بمحافظة (أخايا) فى يونيو 1983 .

(3) هكذا هى باليونانية القديمة :(Pol´ykhresos Mykénai)

وكان قد أرخ لها تسونداس فى الفترة الواقعة من 2600 - 2000 ق.م ، كما أنه هو الذى أسماها كذلك ، أى حضارةكيكلاذية . ومنذ ذلك الحين ، وما زالت الحفائر مستمرة ، حتى يومنا هذا ، وتكشف عن الكثير من أنشطة سكان وأهل تلك الحضارة ، للتعرف على المراحل الحضارية المختلفة التي مرت بها الحضارة اليونانية القديمة ، وصولاً إلى العصر الذهبى الكلاسيكى الذى خلف تراثاً إنسانياً خالداً .

كان الكيكلاذيون بحارة مهرة ، فهم أول من أوجد السفن كوسيلة سفر وانتقال من جزيرة لأخرى ، بهدف الإتجار مع سكان تلك الجزر القريبة منهم فى كل اتجاه .

كما كانت تلك الجزر التى نسميها بالكيكلاذيس ، غنية بمعادنها الطبيعية الخام، مثل الذهب والفضة فى جزيرة سفنوس (Sifnos) والرخام الممتاز والكثير فى جزيرتى ناكسوس (Naxos)وباروس (Páros) . وتجدر الإشارة إلى أن أهم ما يميز المرحلة الأولى من تلك الحضارة هو شيوع استخدام الرخام ، بشكل رائع وبطريقة فريدة فى صناعة تماثيل مميزة للانسان الكيكلاذى العادى ، لحظة ممارسته لبعض نشاطه اليومى .

ولاننسى -فى هذا الصدد- أن نذكر ةجزيرة ميلوس (Mélos) التى كانت فى مفترق الطرق للتجارة بين الحضارتين المينوية الكريتية وحضارة البلد الأم منذ أقدم مراحل تطورها فى العصور الهيللادية الأولى ، وكانت تقدم لهما دائماً حجر الأوبسيديان الصلب والذى كانت تصنع منه الأدوات والأسلحة وحتى الآنية كما عرفنا فى كريت القديمة .

ولم يقتصر نشاط أهل الكيكلاذيس على إستغلال الموارد الطبيعية من أحجار ، بل إنهم أثبتوا تمكنهم وقدرتهم الفائقة فى صناعة المعادن التى تميزت بالدقة المتناهية لأصغر الأحجام . وتسجل الآثار لسكان الكيكلاذيس عادة إجتماعية ، تكررت في أكثر من مكان ، وهى عادة وضع تماثيل صغيرة -غالباً ما تكون من الرخام وكانت تصور أناساً-فى المقابر إلى جانب الموتى ، وذلك إعتقاداً منهم أن هذه التماثيل تقوم بنوع من حماية الميت . مما؟ لا نعرف (!!!) . **ومن المرجح أنها كانت تقوم مقام التماثيل المصرية شاوابتى (أو شابتى) التى كانت ، هى الأخرى توضع -بالمئات- فى قبر الميت حتى تساعده على القيام بواجباته فى العالم الآخر . ولكننا فى حقيقة الأمر لا نستطيع أن نجزم بشيء للإختلاف البيّن بين الحالتين** (!!!) .

أما صناعة الفخار والأوانى فقد سبقتها صناعة العديد من تلك الآنية من الرخام المنتشر فى تلك الجزر -كما ذكرنا آنفاً- ويؤرّخ معظم انتاجه فى الفترة الأولى من

الحضارة الكيكلاذية ، فيما بين 2600 و 2000 ق.م.

وكانت أشكال الفخار الكيكلاذى متميزة ، ومصنوعة من طين -ذى لون بنى غامق- وعليها زخارف خطية بسيطة ، وتكثر نماذج شكل معين ، هو ما يشبه الطاسة.

ولسوف نقدم هنا نموذجاً فريداً من نماذج انتاج إحدى تلك الجزر الكيكلاذية ، وهى جزيرة ثيرا ، لما لها من ذوق خاص ، من ناحية ، ولما تم اكتشافه بالفعل من آثار تؤكد ما سبق الحديث عنه ، من شخصية متفردة ، ومميزة لفن تلك الجزر ، وروحها وذوقها الخاص بها .

ثيرا ولوحاتها الجدارية

كان للعلامة (سبيريذون مارينا‌ترس) الفضل فى إكتشاف أهم المعالم الحضارية لجزيرة ثيرا [1] ، وكأن القدر على موعد معه ، فلقى حتفه بين آثارها[2] .

كانت ثيرا قد تدمرت بالكامل عقب بركان رهيب فى وسط الجزيرة ، فغاص نصفها الغربى فى البحر ولم يتبق منه سوى فوهة البركان نفسه ، وقطع من الصخور البازلتية ، الشديدة السواد ، والضخمة الحجم والتى تصل أوزانها إلى عدة أطنان ، تراها اليوم تحيط بذلك المكان الموحش ، والذى ، يسميه أهل الجزيرة «المحروقة» (e kaméne) .

ويؤرخ معظم الدارسين ، الأثريون منهم وعلماء التاريخ ، بوقوع ذلك البركان حوالى 1450ق.م ، أو قبل ذلك بقليل . وقد غطت الحمم والأتربة ، الناجمة عن البركان كل الجزيرة . وقد رأينا ، بأعيننا ، قطاعاً رأسياً فى تربة الجزيرة حيث تغطى الأتربة البيضاء الناعمة طبقة لاتقل عن 30 سم فوق التلال ! [3].

وبفضل الحفائر التى تمت -وما تزال جارية إلى الآن تحت إشراف أحد

---

(1) تُعْرَف أيضًا باسم ساندوريني (Sandoríne) وهو الإسم الأكثر شهرة الآن .

(2) إنزلقت قدماه من فوق «سقالة» عند تنظيف إحدى الحجرات داخل القصر الذى تم إكتشافه فى منطقة أكروتيرى حوالى منتصف القرن العشرين . هكذا لقى مارينا‌توس حتفه ، وتم دفنه فى نفس المكان تكريمًا له .

(3) وذلك خلال رحلة علمية مع أستاذى ڤاسيلي لابرينوذاكيس وطلبة القسم ، صيف 1976 .

الأساتذة لكرسى آثار ما قبل التاريخ في جامعة أثينا ، وهو خريستوس دوماس- خرجت إلى النور مبانى عظيمة ذات أدوار من طابقين أو ثلاثة ولكنها ليست من الأحجار الصلبة ، بل مبنية من الأحجار المشذبة ، مع وجود بعض الأعمدة الحجرية والمناور والشبابيك ، فضلاً عن استخدام العروق الخشبية لتدعيم حوائط تلك المبانى ، وهى الطريقة نفسها التى كان يتبعها أجدادنا فى بناء منازلهم فى الريف المصرى . ويرى الأثرى اليونانى أن هذا العنصر المعمارى فى البناء لهو دليل على تأثير كريتى مينوى على حضارة الكيكلاذيس والذى هو ، فى حقيقة أمره ، تأثير مصرى مؤكد على حضارة كريت ذاتها ، كان أهل الكيكلاذيس قد نقلوه منها إليهم .

(أ) اللوحات الجدارية :

ومما هو جدير بالذكر ذلك الذوق الرفيع ، والألوان البديعة ، المتعددة والتى إستخدمها الفنان الكيكلاذى القديم -فى جزيرة ثيرا- أروع استخدام ، فرسم بها مناظر جدارية[1] رقيقة ، تنم عن إحساس مرهف فنشاهد مثلاً لوحة : «ملاكمة غلامين»[2] ولوحة «الثعالب» ولوحة «القرود الزرقاء» ، وهى لوحة بالحجم الطبيعى لهذه القرود بينما تتحرك بخفة وسط أحراش . فضلاً عن لوحة «العصافير» التى تطير فى السماء ويتابع كل منها الآخر . وأخيراً لوحة «الربيع» حيث نرى المياه التى تتدفق عبر الصخور المكنونة ، و«الصيادين» الذين يحملون صيدهم البحرى بين أيديهم ، من سمك قد أحسن تصويره ، وتلوينه كذلك .

ومن أهم اللوحات ، وأكثرها شهرة ، نظراً لقيمتها الفنية ودلالتها التاريخية لوحة «الحملة البحرية» وهى عبارة عن تصوير جدارى صغير الحجم ، مما تستدعى تسميته «مينياتورا» ، وتسجل لنا موضوعاً فريداً كما يتضح من أسمها ، إذ نجد الفنان قد سجل لنا موضوعاً مليئاً بالأشياء والأشخاص على حد سواء : فهناك مراكب ،

---

(1) كل هذه اللوحات توجد الآن فى القاعة العلوية ، بالدور الثانى من المتحف القومى اليونانى للآثار فى أثينا .

(2) وهى لوحة ، بالحجم الطبيعي ، لغلامين شبه عاريين ، إلا من إزار عند الوسط يخفى عورتهما ، ولكن الطريف أنهما :

(أ) يلبسان قفازين .

(ب) يسجلان نشاطًا رياضيًا فريداً فى زمانهما ، منذ القرن 15 ق . م .

(جـ) يؤكدان ترف ولياقة الشباب الإيجي ، واهتمام القصر الملكى ذاته بمثل هذه المنافسات الشريفة .

ومع ذلك فإن آثار بنى حسن ، فى مصر ، أسبق إلى رياضات أخرى ، مثل المصارعة ، منذ مطلع الألف الثانية ق.م ، حوالى 1990 ق.م .

تحمل ركاباً عليها ، وفى خلف اللوحة مدينة يوجد بها مرتفع عالى ، وفوق قمة ذلك المرتفع تبحر سفن أخرى إحداها قد أفرد شراعه بينما نلحظ السفن الأخرى وفيها أشخاص يجدفون . إنه على الأرجح أن يكون الفنان قد أراد تصوير قصة ، ربما تاريخية المضمون ، ولم يستطع التاريخ حتى الآن تحديد هويتها أو تعريفها لنا .

وفى لوحة جدارية ، أخرى بالحجم الطبيعى تقريباً -لأشخاصها- نشاهد سيدات ، واقفات بعضهن يتحركن بحيوية ، والبعض الآخر منهن يلتفتن لينظرن شيئاً ما ، وبينما واحدة منهن تحاول إخراج شوكة ، كانت قد دخلت فى إحدى رجليها .

(ب) نشاط السكان :

أما إذا تناولنا نشاط السكان ، لأهل جزيرة ثيرا ، فإننا يمكننا القول بأن هؤلاء -قبل وقوع إنفجار البركان- كانوا يمارسون حرفتى الزراعة والصيد ، فكانوا يزرعون المحاصيل الزراعية وعلى رأسها الغلال ، من قمح وشعير ، فضلاً عن البقول ، كما كانوا يستخرجون الزيت من الزيتون ويرعون الأغنام والماعز . كما كانوا يصطادون الأسماك من البحر بالشباك ، ولم يلههم ذلك كله عن مزاولة صناعة المعادن ، وإن كانت على نطاق ضيق ، وصناعة الأوانى الفخارية والحجرية الجميلة . كما لاننسى إنشغال سيدات المجتمع الكيكلاذى – شأنهن فى ذلك شأن كل النساء فى المجتمع اليونانى القديم – بممارسة التطريز وشغل الإبرة فى المنسوجات الصوفية ، طيلة وقت فراغهن .

وفى نهاية حديثنا عن آثار جزيرة ثيرا (ساندورينى) لابد لنا من وقفة عند تلك الحقيقة المذهلة ، وهى أنه لم يتم حتى الآن – وبعد مضى أكثر من 24 عاماً من الحفر – العثور على أى شئ ذو قيمة مادية كبيرة ، مثل المصوغات أو الحلى والجواهر الثمينة . ومما يثير الدهشة ، أكثر وأكثر هو عدم العثور على أية بقايا لأموات، كهياكل عظمية أو غيرها مما يمكن أن يفسر كالتالى (حول المصير الغريب لذاك الموقع) :

لابد أنه قبل الإنفجار النهائى للبركان ، أن كانت هناك بعض الظواهر المنذرة للسكان ، وكان أمامهم وقت كافى حتى أنهم تمكنوا من أن يحملوا معهم أغلى ممتلكاتهم والتى كانت فى نفس الوقت أسهل حملاً ، وأخذوها معهم، تاركين المكان كله ، ومهاجرين إلى مكان بعيد ، فى مأمن من هذه الحمم الملتهبة ، قبل أن تقع الكارثة الكبرى ، المروعة ، ومن ثم لم يشاهد سكان القصر الملكى – على الأقل – الفصل الأخير من غضبة البركان المدمرة .

(ب) حضارة كريت المينوية

فى بداية القرن العشرين ، وبالتحديد فى صيف سنة 1900 ، قام العلامة السير آرثر إيفانز بحفائر فى كنوسوس ، قصر الحكم ، فكشف النقاب عن حضارة ملكية ، يحكمها ملك يدعى مينوس . كان ذلك الملك يعيش فى قصر متعدد الأدوار وفسيح الأرجاء ، يتوه بداخله المرء من كثرة حجراته وتداخلها ، وعرف فى المصادر الأدبية التاريخية [1] المتأخرة باسم لابيرانث (Labyrinth)[2] .

أولاً : المكان والسكان :

جزيرة كريت تقع فى وسط الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، ذات تربة خصبة قليلة المساحة ، بينما تحتل التلال والهضاب العالية مساحة أكبر ، كما توجد المياه بوفرة فى بعض أماكن بهذه الجزيرة ، وكان أهم ماتنتج - فى تاريخها القديم - الزيت ، (زيت الزيتون) ، والخمر ، أى النبيذ من أنواع العنب الكثيرة بها .

ولقد كان من حسن طالع هذه الجزيرة أن تكون على مرمى البصر من الساحل الأفريقى [3]حيث تتربع الحضارة المصرية القديمة على عرش التمدين والتحضر فى تلك المنطقة .. فضلاً عن سهولة الإتصال بالحضارات الشرقية الأخرى ، الرائدة فى نفس ذات المنطقة ، فى سوريا والأناضول وأرض العراق القديم . وكنتيجة طبيعية لمثل تلك الإتصالات كانت التأثيرات الشرقية على الحضارة الكريتية القديمة من خلال عمليات التبادل التجارى السلعى آنذاك ، فكانت كريت تصدر لهم منتجاتها الشهيرة - كما ذكرنا من قبل - فضلاً عن بعض صناعاتها البدائية من منسوجات صوفية ، وتستورد منهم أهم منتجاتهم وثرواتهم الطبيعية كذلك ، فتأخذ الذهب وبعض المحاصيل البقولية ومادة الفيانس [4]

---

(1) أمثال هوميروس ، وهيرودوت ، وثوكيديذيس . وتعتبر المصادر المصرية باللغة الهيروغليفية هي أقدم المصادر التى ذكرت بعض مدن كريت القديمة أمثال كنوسوس ، وأمنيسوس .

(2) يستخدم يونانيو العصر الحديث تعبير (Eínai Labyrinthos !) للدلالة علي أن مكانًا ما فى غاية التعقيد فى عمارته واحتمال التيه بداخله .

(3) كثيراً ما يقول أهل كريت الجنوبيين أنهم يرون الساحل الليبى بالعين المجردة عندما يصفو الجو، وخاصة فى الصيف ، وتقل الشبورة فوق سطح الماء .

(4) كانت تلك المادة تسمى حتى عهد قريب بالقيشانى (Porcelain) ولكن المصطلح الأحدث للدلالة عليها هو الفيانس ، راجع :

Webb, V. , Archaic Greek Faience, Warminster, England 1978.

والنحاس ، والمنسوجات الكتانية والأحجار الكريمة من مصر .

لقد أعطيت لهم الفرصة كاملة ليروا شعوباً غيرهم ، وحضارات تختلف كل الاختلاف عنهم ، فعرفوا أشياء كثيرة وتعلموا من الحضارات الشرقية الشئ الكثير ، ولكونهم شعبًا ذكيًا ، نشيطاً . فقد أخذ الكريتيون يقلدون مارأوا ويطبقون ماتعلموا من الشرق ، صابغين ماعملوا بصبغتهم هم ، ووفقاً لذوقهم الخاص ، وتبعاً لاستخداماتهم هم .

ومن أهم المشكلات التى تواجه الدارس حقًا ، هى مشكلة أصل هذا الشعب الكريتى المينوى ، والإجابة عن سؤال : من أين أتى هذا العنصر السكانى الذى سكن كريت القديمة ، وحقق تلك الإنجازات الحضارية الرائعة ، على أرض تلك الجزيرة ، ومخلفًا من الآثار ماهو جدير بالتقدير والإعجاب الصادقين ؟ .. ولقد كان العالم الإنجليزى ، السير آرثر إيڤانس (S.A.Evans) ، هو أول من سمى تلك الحضارة الفذة باسم «الحضارة المينوية» نسبة إلى ملكها الأسطورى مينوس[1] .

ثانيًا : تاريخ كريت منذ القدم :

سكن الإنسان الأول الكهوف فى كريت . ففى ضوء الحفائر الأثرية ، تم الكشف عن آثار لتواجد آدمى ، فى شكل أسر ، كبيرة الأعداد تعيش سوياً ، داخل تلك الكهوف وذلك فى الفترة من 6000 - 5000 ق.م ، كما أثبتت لنا طريقة الكربون 14 ، التى أرّخت لآثار الكريتى الأول ، فى كنوسوس وأماكن إقامته بحوالى 5000 ق.م .

وكان أموات أولئك يتم دفنهم داخل تلك الكهوف وخارجها[2]، وكان ساكنوها يعبدون الربة المشهورة (ربة الخصوبة) كما كان يحدث فى اليونان – البلد الأم– وكذلك فى المشرق القديم آنذاك . يؤكد ذلك ماتم العثور عليه من مجموعات كبيرة لتماثيل أنثوية ، سمينة الأطراف وممتلئة الجسد .

كما كانت بعض أدوات ساكنى الكهوف هؤلاء مصنوعة من الأحجار ، وتأخذ أشكال البلطة ويصنع بعضها الآخر من العظم ، والآنية من الطين الغامق ، المزين

---

(1) يقول ثوكيديديس (التاريخ ، الكتاب الأول فقرة 8) : «ولكن عندما حصل مينوس على أسطول ، أصبح الإتصال البحرى سهلاً ، لأنه هو الذى قضى على الأشرار الموجودين فى الجزر والتى كان أغلبها يرسل مستعمرين خارج كريت ، وبدأ من كان ساكنًا بالقرب من البحر فى إيجاد وسيلة أفضل للعيش بطرق مشروعة ، والبعض يبنى أسواراً حول تجمعاتهم عندما بدت عليهم بوادر ثراء أكبر عن ذى قبل . ولما كان الجميع يتمنون الثراء والربح فقد صبر الفقراء أو (الطبقات الدنيا) على العمل عند الأغنياء (الأقوياء) .

(2) Burn, A.R., The Pelican History of Greece, G. Britian 1965 (Rep. 1979), p. 22.

بزخرفة خطية بسيطة . كما تم العثور على أماكن للسكنى من هذه الفترة فى كل من كنوسوس وفِسْتوس وسيتيا وأماكن أخرى .

وينتهى العصر الحجرى الحديث فى منطقة حوض البحر المتوسط – بالنسبة للحضارة اليونانية – حوالى 2600 ق.م ، وعندما وصلت إلى الجزء الشرقى من كريت قبيلة جديدة وغريبة على أهل البلاد الأصليين ، ربما جاءت من شمال سوريا أو من آسيا الصغرى ودخلت كريت فى صورة موجات متلاحقة .

*** الفترة الأولى المينوية المبكرة (2600 - 2000 ق.م)[1] :**

يذكر أن عصر البرونز ، فى حوض البحر ، بدأ حوالى عام 2900 ق.م – كما تؤرخ له طريقة الكربون 14 (وهى الفترة التى تواكب وجود الأسرة الأولى فى مصر) وأنه حــوالى 2500 ق.م ، كان قد وصل إلى كريت شعب ذو حضارة جديدة على الجزيرة ، ربما أتوا من ليبيا [2]. ولقد قامت تجمعات بشرية كثيرة فى أماكن عدة ، وبصفة خاصة على الساحل الشرقى للجزيرة ، فى البداية ، ثم أعقب ذلك الاتجاه صوب وسط كريت .

وكانت أهم الملامح الشخصية لطبيعة الجنس الذى وصل إلى كريت حينئذ هى أنه كان شعبًا مسالمًا محبًا للتقدم ، عرف فن الإبحار وركوب البحار جيداً وتميز بمواهب فنية راقية ، وأظهر مقدرة فائقة فى إستغلال مقومات الجزيرة الطبيعية . كما أختار أفضل المواقع لإقامة مراكز حضارية متمدينة وموانئ آمنة مستخدماً ، لتحقيق ذلك ، حتى أصغر الجزر الملائمة لوجود السفن ولإزدهار النشاط التجارى البحرى .

ولم يمض وقت طويل ، حتى إزدادت قوة كريت البحرية ونمت أكبر قوة فى حوض البحر الإيجى ، بل وشرق البحر المتوسط كله .

لقد كان أهم مايميز العنصر الكريتى المينوى آنذاك ، وبعد ذلك أيضًا ، هو الإحساس بالذوق الجميل وحب الطبيعة والتى منها استقى الفنان الكريتى أجمل أعماله الفنية العديدة . كما كان يميز هذا الشعب إنه – كما يتضح من آثاره – لم يلوث روحه إحساسه بالحزن ولم يعكر صفو حياته خوف لا من الآلهة ولا من الموت ، ولاحتى من جيرانه من بنى البشر .

---

(1) وهى المعروفة باسم (Protominoïke) ويرمز لها إختصاراً فى المراجع الإنجليزية E.M. وهو التى تقابل «مرحلة ماقبل الملَكية» عند الأثرى اليونانى : (N. Pláton) .

(2) Burn, op. cit., p. 26.

ومن وجهة النظر الإدارية ، فلم تعرف كريت فى تلك الفترة حياة الدولة الواحدة ، بل كانت كل مدينة ، وكل تجمع بشرى واحد ، يمثل قوة منفصلة ومستقلة بذاتها ، وعلى رأسها حاكم ، ملك أو أمير .

*** الفترة المينوية الوسيطة (2000 - 1580 ق.م) :**

إنه بمجرد أن بدأت الألف الثانية ق.م ، حوالى عام 2000 ق.م ... نلاحظ تحولاً سياسياً فى نظام حكم ذات المجتمع الكريتى ، فيمسك الملوك بزمام الأمور فى حياة أولئك الناس ويبنون لأنفسهم قصوراً فخمة ، مترامية الأبعاد ، قوية البنيان ، كما أكد لنا ذلك الدليل الأثرى من مدينة كنوسوس ومدينة فايْستوس[1] وكذلك مدينة ماليا وزاكروس فى شرق كريت .

وكان الملك الكريتى يمثل نائب الإله المعبود ، وكان ذلك يؤهله لأن ينظم حياة مجتمعه كما يرى هو بحيث يحقق مصلحة الناس وأمن وإستقرار الجماعة من حوله .

وفى ضوء الإكتشافات الأثرية التى تمت فى موقع تلك القصور الملكية ، ثبت أنه كانت هناك أماكن خاصة لعبادة الإله الحامى أو الربة الحامية للمملكة ، فضلاً عن وجود مخازن كبيرة لتخزين محاصيل ومنتجات إقليم المملكة من زيوت وغلال .

وفى داخل القصور الملكية ، كذلك تم العثور على عدد من المحلات الحرفية حيث كان يقيم ويعمل أولئك الصناع المهرة ، الذين كانوا يقومون بتصنيع المواد الأولية التى تصلهم ، ثم يقوم القصر بتصدير بعضها إلى الخارج فى عمليات مقايضة تجارية .

وفى حوالى عام 1700 ق.م ، تعرضت كريت لزلازل مدمرة والتى بسببها تدمرت وبالتالى كل القصور الملكية فى القسم الشرقى من هذه الجزيرة ، ومعها إنهارت البيوت الكبيرة وكل مبانى العمران فى التجمعات المحيطة بتلك القصور . ولكن بفضل نشاط ومجهود السكان الخارق ، لم يمر وقت طويل ، حتى رأينا من جديد قصوراً أخرى أكثر فخامة ، وأعظم بكثير عن ذى قبل فقد وجدنا مبانى تلك القصور الجديدة مكونة من عدة طوابق ، وفيها كل أنواع الراحة والإستجمام (شكل / 7) .

وجدير بالذكر أن الزائر لهذه المناطق ، حيث بقايا تلك القصور الكبرى (شكل/ 4) يزداد إعجاباً بعبقرية أولئك الكريتيين ، الذين شيدوا تلك المبانى العظيمة على

---

(1) وفق النطق اليونانى القديم الأكثر شيوعاً (Phaïstos) . وحول أحدث دراسة لهذا النص الفريد ، Goleman, J. E. and Walz, C. A., Greeks and Barbarians, CDL Press, Bethesda, Maryland, U.S.A., 1997, pp. 42 - 43, fig. 4.

درجة عالية من الإتقان المعمارى فى استخدام الأعمدة وبناء طوابق عدة وفى طرق تلوين الجدران والأعمدة واستغلال المساحات الكبيرة للحوائط الداخلية فى رسومات وعمل لوحات جدارية رائعة الألوان ، تنم عن ذوق راقى وحب كبير للطبيعة (شكل/7) .

*** العصر المينوى المتأخر (1580 - 1100 ق.م) :**

إن أهم مايميز تلك الفترة هو ذلك النشاط التجارى الواسع للقصور الملكية الكريتية ، حينما كان الأسطول الكريتى أقوى قوة فى حوض البحر المتوسط ولاسيما قبل حدوث البركان المدمر الذى تسبب فى دمار شامل لكل مظاهر الحضارة فى كريت حوالى 1450 ق.م .

وتجدر الإشارة إلى أن تجارة كريت ، فى ذاك الوقت ، كانت قد إزدهرت إزدهاراً عظيماً ، كانت المنتجات الكريتية تصل إلى سواحل آسيا الصغرى ، ومصر وصقلية ، وحتى إلى أسبانيا فى الغرب .

وفجأة يسجل التاريخ ، فى ضوء الاكتشافات الأثرية ، وقوع ذلك الدمار الشامل فى منتصف القرن الخامس عشر ق.م كما ذكرنا من قبل . وقد لاحظ الأثريون أن صورة هذا الدمار تمثلت فى الخراب المفاجئ الذى حل بالجزيرة واشتعال الحرائق فى المساكن وأن النيران ، التى تلت البركان ، أتت على كل شئ . ولذلك ، ظن بعض المؤرخين أن سبب الدمار يرجع إلى إعتداء خارجى بربرى ، عاث فى الجزيرة فساداً وأتى على كل صور الحضارة والتمدين فيها ، وإن كان المعتدون هم أولئك الآخيون ، أى الميكينيون أقوى القوى الخارجية فى تلك الفترة الزمنية والذين كانوا قد أقاموا عاصمة مملكتهم فى موكيناى [1] (أو ميكينز Mykenes) .

ولكن السير آرثر إيڤانز (S.A. Evans) لم يعتقد ذلك أبداً وأرجع دمار كريت الأخير إلى حدوث موجة جديدة من الزلازل القوية الرهيبة التى أعقبت البركان الهائل الذى وقع فى جزيرة ثيرا .

وأكمل الأثرى اليونانى مارينانوس نظرية إيڤانز ، التى كان قد أعلنها فى أوائل القرن العشرين ، عندما كشف عن قصر كنوسوس الملكى وذلك بفضل ماقام به مارينانوس من حفائر فى جزيرة ثيرا ، وبالتحديد فى منطقة أكروتيرى [2] .

---

(1) موكيناى (Mykenai) ، كما جاءت فى نصوص الإلياذة ، أما الثانية فهى وفق قواعد اليونانى الحديث .

(2) جدير بالذكر أن هذا الأثرى مدفون الآن فى نفس المكان الذى وقع فيه ففارقت روحه الحياة ، فتم دفنه داخل المنطقة الأثرية التى قضى فيها معظم سنوات عمره ، كما سبق أن ذكرنا .

ويبدو من نتائج تلك الحفائر فى جزيرة ثيرا أن البركان المدمر الذى وقع فى تلك الجزيرة وأدى إلى غرق سطحها الغربى تحت مياه البحر ، كان قد ترتب عليه حدوث موجات متلاحقة من الأمواج العالية جداً التى ألحقت الدمار بالمدن الساحلية الكريتية ، فضلاً عن تطاير المواد البركانية الكثيرة فى الهواء لمسافات بعيدة تقدر بكيلو مترات عديدة .

وفى حوالى عام 1400ق.م سجلت الدراسات الأثرية لهذه المناطق وصول جماعات بشرية فى صورة هجرات جماعية متتالية ، من الآخيين الميكينيين فى البلوبونيز إلى كريت ومراكزها الحضارية . وقد أصبحوا أسياداً وأمراء فى هذه الجزيرة، ولاسيما فى كنوسوس ، العاصمة الأساسية لكريت القديمة .

ومنذ ذلك التاريخ ، لم نر قصوراً أخرى تُشيّد ، وقد غدت السيادة الكريتية البحرية فى طى النسيان وانزوت التجارة الكريتية ، بل وانتقلت إلى أيدى آخرين .

ولكن حوالى عام 1300 ق.م (أوائل القرن الثالث عشر ق.م) يسجل علم الآثار مجموعة من المبانى الضخمة ، والتى تشبه إلى حد كبير تلك المبانى الميكينية والبيوت الهيللادية ، داخل بلاد اليونان الأم .

وتستمر مظاهر التدهور العام فى كل مراكز الحضارة الميكينية ، بعد أن تضعف سيطرة الملوك والأمراء الآخيين ويلجأون إلى أعمال القرصنة والاعتداء على الممالك الأخرى بأنفسهم ، ويباركونها للأقوياء منهم ، فتكثر الإغارات ، وتعم الفوضى وتزداد مظاهر القلق وتتقوض دعائم الاستقرار فى الزمن الماضى . وينتهى كل ذلك بغزوة خارجية من قوى بربرية حوالى 1100 ق.م فتصل إلى اليونان فى الشمال جماعات بشرية غاية فى القوة والخشونة والتنظيم ، هم الدوريون الذين يواصلون مسيرتهم حتى يصلوا إلى أسبرطة فيستقرون بها ويتخذون منها عاصمة لهم، ثم يواصلون إنتشارهم خارج البلوبونيز ، فنجدهم فى كريت حيث يسيطرون عليها بدون مقاومة من أهلها ، ومن لم يساير منهم الوضع الجديد ويرضخ لنظام أولئك الدوريين ، اضطر إلى الهرب وسط المروج الجبلية والمناطق المرتفعة ، كأماكن إيواء آمنة بعيدة عن سطوة الغازى الجديد .

ثالثاً : الحياة الكريتية :

(أ) ملامح عادية :

كان الملك الكريتى هو أعلى سلطة فى كل المجتمعات المينوية (بدءاً من الفترة المينوية الوسيطة) . كما كان هو المسئول الأول والأخير عن تنظيم كافة أمور مملكته ،

سواء الداخلية منها أو الخارجية . ولكنه ليس صاحب سلطة مطلقة فى تصريف شئون تلك المملكة ، كما نعرف عن الملك المصرى أو الفرعون فى مصر القديمة مثلاً ، ودول الشرق القديم . ولقد كان ممثلاً للربة المعبودة فى المملكة ويوجد حوله لفيف من الأمراء الذين كانوا جميعاً محبين للسلام .

أما الشعب الكريتى فكان شعباً عاملاً ، نشيطاً ، ومحباً للتقدم ، يعشق الحركة ، ويكره الخمول والدعة والراحة الزائدة ، يمارس التجارة ، ويهوى البحر ولايخشى المغامرة . كما برز منه حرفيون كثيرون على درجة كبيرة من المهارة والدقة .

(ب) مكانة المرأة :

لقد صورت لنا الرسومات الجدارية فى القصور الملكية الكريتية (أنظر لوحة 10) المرأة أروع تصوير وفى أجمل صورها فنراها ترتدى أفخر الثياب وأزهاها ألواناً، وقد تزينت بأغلى أدوات الزينة ، وغدت فى أبهى حالاتها ، لدرجة جعلت بعض الأثريين يظنون أن بعض الرسومات والأعمال الفنية الرائعة ، ربما تكون من صنع بعض الفنانات الكريتيات من ذوات الذوق الرفيع ، بل دفع البعض الآخر إلى أبعد من ذلك ، فنرى Evans نفسه ، ذلك الأثرى الإنجليزى الذى كشف النقاب عن حضارة كريت ، قد ذهل عندما رأى تلك اللوحة الجدارية المشهورة لسيدة قد أخذت زينتها مستخدمةً (وياله من مؤشر ممتاز يوضح أعلى درجات الترف والبذخ والذوق) أحمر الشفاة مما حدى به إلى تسمية تلك اللوحة باسم «المرأة الباريسية» (La Parisienne) (شكل / 11) .

هنا تجدر الإشارة إلى معلومة هامة بالنسبة لنا نحن الشرقيون – أصحاب الحضارة القديمة التى كان لها يوماً ما المكانة العالية والسبق فى مجالات عدة تلك المعلومة هى إدعاء اليونانيين (الهيللينيين) ، اليوم بأن حضارة كريت القديمة هى:

«الحضارة المينوية هى أولى الحضارات فى العالم التى أعطت للمرأة المكانة العظيمة» (1) ، وهى بنص كلماتها اليونانية الحديثة :

"O minoïkós Politismós einai o Protos ston Kósmo pou édose megále thése stis gynaíkes."

وتضيف كذلك ، وأنهن كن يحيين حياتهن بحرية ويتحركن بحرية ،

---

(1)Kalogeropoúlou, A., Istoria ton Archaíon Khrónon os ta 146 p. ch., Athena 1978, p. 99 .

كالرجال، ولقد وصلن إلى درجة الإشتراك فى تأدية وممارسة ألعاب خطرة مثل مصارعة الثيران !!! (أنظر شكل / 5 ، 12) .

وهذه معلومة فى غاية الخطورة لما فيها من تعميم خاطئ ، أقدمت عليه المؤلفة بدافع الوطنية العمياء ، التى كما يبدو ، لاتعرف عن حضارات الشرق القديم الشئ الكثير . إنها المبالغة والتضخيم اللذان عرفا بهما اليونانى ، فضلاً عن البعد عن الموضوعية وعدم توخى الحقيقة ، وإطلاق الأحكام العامة فى التاريخ القديم من منظور معاصر ومعايير حديثة ، هى وليدة أيامنا هذه وتاريخ العالم الغربى الحديث وهانحن نسأل المؤلفة :

هل التحضر فى العالم القديم هو فى خروج المرأة ومشاركتها فى الألعاب التى يقوم بها الرجال ؟ وهل المكانة العظيمة التى أعطاها المجتمع الكريتى لها هى فى أن تمارس الرياضة الخطرة وتتحرك بسهولة وحرية خارج بيتها ؟ .

إن لكل مجتمع تقاليده ، وهذا ينطبق على المجتمعات القديمة والحديثة المعاصرة على السواء ، فالمجتمع المصرى القديم ، حينما رفع من قدر المرأة وأحاطها بالإحترام والتقدير وحفظها من المهانة وأعطاها حقوقها فى الميراث والملكية وحفظ لها كرامتها ، إنما أعطاها بذلك أعلى درجات التبجيل والمكانة العظيمة[1] كما أن الكريتى حينما سمح للمرأة بالخروج من بيتها ، وممارستها للرياضة ، ربما (نقول ذلك لأننا لانعرف ظروف الحياة الاجتماعية ونظام الأسرة ، وليست لدينا أية وثائق مدونة عن تلك الفترة ولم يتوصل العلماء بعد إلى فك رموز الكتابة الخطية الأولى ، وبالتالى لانعرف شيئاً يقينياً مؤكداً عن أحوال المرأة الكريتية ، والدوافع التى جعلت الرجل الكريتى يسمح بذلك) كان ذلك مقصوراً على نساء القصر وأميرات البيت الحاكم - ولم يكن شائعاً بين كل نساء كريت آنذاك ، بل ربما كان ذلك ضرورة من ضروريات إستكمال الطقوس الدينية من جانب كاهنات المعابد الكريتية حيث كانت رياضة القفز فوق الثيران وليس مصارعتها كما نفهم من المصطلح اليونانى ومدلوله المعاصر ، جزءاً من الطقوس الدينية .

---

(1) أنظر كتاب وليم نظير : «المرأة فى المجتمع المصرى القديم» . كانت مكانة المرأة المصرية واحترام زوجها لها مثار إعجاب كثير من العلماء المختصين لدرجة أن بعضهم حاول إساءة تفسير علاقة إخناتون بأمه وحبه لها واحترامه وتقديره إياها ، أنظر الكتاب المترجم لصاحبه إيمانويل فليكوفسكي : «أوديب وإخناتون» ، ترجمة فاروق فريد ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (بدون تاريخ) . وكذلك انظر / عبد الحليم نور الدين ، المرأة المصرية القديمة ، القاهرة (د . ت) . وهى دراسة أثرية من خلال المصادر الهيروغليفية واكتشافات الحفائر على مدى عقود طويلة .

هذا الموضوع يجرنا إلى موضوع أكثر خطورة وحساسية بالنسبة للمواطن اليونانى الهيللينى اليوم ، إذا ما قسنا مظاهر الحضارات القديمة بمعايير حديثة ، وهذا عين الخطأ . إنه موضوع تقديم القرابين البشرية للآلهة عند الملمات والشدائد ، طمعاً فى عون الآلهة واسترضاءً لهم . فهل هذا من التحضر فى شئ ؟ هل يعتبر ذلك - فى عصرنا اليوم - دليل تحضر أم دليل تخلف ؟ .

إن الأمانة العلمية والموضوعية تفرض علينا - نحن المؤرخين ودارسى التاريخ أن ننظر إلى كل مايصل إلينا من معلومات عن المجتمعات القديمة فى مراحل تطورها الأولى ، سواء فى فترات ماقبل التاريخ ، أو فى عصورها التاريخية نظرة محايدة فى ضوء ملابسات نفس الفترة لتلك الحضارات ، لعلنا نتعرف على البواعث الحقيقية وراء تصرف أو سلوك اجتماعى ما . كما لايجب إطلاق الأحكام أو تعميمها ، فربما تكون المعلومات التى بين أيدينا قاصرة على الأثر المكتشف الآن ، ولربما يظهر - فيما بعد - مايخالف ذلك ، ولاسيما أن كل ماوصلنا عن الحضارات القديمة ، ليس بالحقيقة المجردة الواقعية ، ولكنه تراث أرقى الطبقات الاجتماعية فى تلك الحضارات، وأقدرها على البقاء ، باعتبارها ملوكاً أو حكاماً بأيديهم الحَوْل والطَّول فى أيامها وماكان ينطبق على هؤلاء لاينطبق بالضرورة على عامة الناس ، الذين لم يكونوا يملكون مقدرات حياتهم ، ولم يكن لهم من مطمع فى الحياة إلا إرضاء ملكهم ، الذى كان أيضًا إلههم . ولهذا فالتاريخ القديم ولاسيما فى فترات ماقبل التاريخ لأى حضارة ما ، ليس إلا صوراً عن الحكام وبالتالى فإن معلوماتنا عن عامة الشعب عادة ماتكون ناقصة ، مبتورة ، أو هى مجرد إجتهادات وإحتمالات .

ولكن ماهى حكاية تقديم القرابين البشرية فى الديانة الكريتية ؟ .

(جـ) الديانة الكريتية :

أولاً ـ ملامح عامة :

عبد الكريتيون القدماء - فى الحضارة المينوية - إلهة أنثى هى «الأم الطبيعة» وكانت رمزاً للإخصاب ، إخصاب الأنثى ، وإخصاب الأرض وجودتها وكثرة خيراتها . وكان لهذه الربة رموز هى الثعبان [1] واليمامة (أو الحمامة) [2] .

ومع مرور الزمن ، أدرك الكريتيون - كما هو معروف فى حضارة ثساليا وكل الحضارات القديمة - دور الرجل فى عملية الإخصاب وإتمام الخصوبة والإنتاج ،

(1) Daváras, K., To Anáktoron tes Knosoú, Athena 1989, plate 1.
(2) Higgins, op. cit., p. 168 fig. 208.

فبدأوا فى عبادة إله ذكر ، إلى جانب الإلهة الأم . ولكن رموز هذا الإله تختلف عن مثيلاتها الخاصة بالإلهة الأم ، فكانت الثور[1] ، والبلطة ذات الرأسين[2] .

وفي ضوء الدليل الأثرى المتاح لنا ، نستطيع أن نرى على المساحات الضيقة للأختام الأسطوانية وغيرها ، مناظر دينية كتقديم قرابين فى حضرة الإلهة الأم فضلاً عن وجود أشكال فى صورة حيوانات أو طيور أو حتى جان تعرف باسم «الجان المينوى» (Minoan Genius)[3] .

وتجدر الإشارة إلى أن الكريتيين القدماء لم يبنوا معابد ، ولكنهم عبدوا آلهتهم فوق قمم الجبال وداخل أماكن مخصصة لذلك فى القصور الملكية ، وفى أفنية المسارح والمدرجات داخل تلك القصور كما فى قصور كنوسوس . وكان ذلك يتم بمصاحبة الموسيقى والقيام بطقوس معينة يستغرق وقتًا طويلاً . ويعتقد المؤرخون والأثريون على السواء بأن رياضة القفز فوق الثيران (كما كان كذلك الرقص ، ومن الطبيعى أن تكون هناك جماعة كبيرة من الكهنة والكاهنات والتى كانت تشرف على الشئون الدينية وعلى رأسها الملك الحاكم ، وأسرته فى داخل القصر الملكى) كانت جزءاً من طقوس دينية مقدسة تتم داخل القصر المينوى .

نعود ، أخيراً ، بعد العرض السريع عن الديانة الكريتية ، إلى السؤال الذى طرحناه من قبل ، حول تقديم القرابين البشرية ، وحقيقة هذه القضية الخطيرة .

ثانياً : تقديم القرابين البشرية :

فى عام 1980 مساء أحد أيام شهر يناير ، إهتزت الهيئات العلمية الأثرية فى أثينا لإعلان الأستاذ الدكتور / يانى ساكيللاراكيس ، الأثرى اليونانى المسئول عن حفائر هيئة الآثار فى منطقة أرخانيس بجزيرة كريت . جاء هذا الإعلان فى محاضرة له فى قاعة الهيئة وفى حضور مئات الشخصيات والعلماء البارزين فى حقل الآثار اليونانية على الصعيدين اليونانى والأجنبى . لقد كان يوماً مشهوداً ، اكتظت فيه قاعة الاحتفالات والمحاضرات بالهيئة عن آخرها لدرجة إضطر فيها المسئولون إلى الإعلان عن إغلاق أبواب المبنى رغم تواجد المئات خارج المبنى تمامًا وتدخل البوليس لتنظيم تواجدهم على الرصيف الخارجى لهيئة الآثار .

---

(1) كان الثور فى مصر الفرعونية وحضارة بلاد الرافدين من رموز القوة والصولجان : قارن / .Davára, op. cit., plate 29, 41

(2) Higgins, op. cit., p. 142, fig. 174.

(2) علاقتها بالإلهة المصرية تاورت (Tawrt) ، أنظر صفحات 182 - 183 من طبعة القاهرة 1990 .

لقد قدم ساكيللاراكيس موضوعه فى ضوء العديد من الشرائح الملونة التى تعضد نظريته الجديدة فى أن الكريتيين القدماء كانوا يمارسون عادة تقديم القرابين فى صورة بشر يذبحونهم إسترضاءً للآلهة وحرصًا على مباركتها . بعدها مباشرة إنقسم الحاضرون إلى مؤيد ومعارض لهذه النظرية والشك فى النتائج التى توصل إليها الباحث ، شكاً لايرقى إلى درجة الرأى العلمى الموضوعى ، البعيد عن الهوى والحقد .

وخلاصة النظرية ، كما جاءت فى المحاضرة المذكورة آنفًا ، هى أن ظاهرة تقديم قربان بشرى للآلهة فى بلاد اليونان القديم ، ليست وقفًا على العصور الميثولوجية ، والأسطورية ، فيما قبل التاريخ ، بل كانت تمارس كذلك فى العصور التاريخية من حضارة ذلك الشعب .

وبتفصيل نرى إيجاز تلك النظرية فى عدة نقاط ، كما جاءت عند نشرها بعد ذلك مباشرة [1] (انظر شكل 13 كما رسمناه نحن من واقع الكشف) .

ليس الدليل الأخير الذى عثر عليه الأثرى ساكيللاراكيس فى أرخانيس فى كريت هو الأول من نوعه للتدليل على هذه الظاهرة ، ولكن هناك مظاهر أخرى لهذا السلوك الدينى ، فى حوض البحر المتوسط القريب ، مثل ماكان معروفًا فى حضارة سومر العراقية وكذلك حضارة مصر الفرعونية عن أمنحوتب الثانى [1] .

إن تاريخ اليونان القديم به العديد من حالات تقديم قرابين بشرية قام بالكشف عنها أثريون يونان وأجانب . فنبدأ مثلاً بالأمثلة القديمة فنجد أنه :

(1) كشف تسونداس الأثرى اليونانى الكبير عن مكانين إثنين فى منطقة موكيناى (ميكينز) حيث تمت فيهما عمليات كثيرة لتقديم طقوس قرابين بشرية .

(2) وكذلك أشار الأثريان (Blegen, Wace) إلى أماكن شبيهة فى كل من ميكينز وبروسمنا من شبه جزيرة البلوبونيز . كما ذكر إتمام طقوس قرابين بشرية فى أرجوس ، وغيرها .

(3) أما عن كريت وعن ممارسة هذا الطقس الدينى فيها ، فكان الأثرى (P. Warren) هو أول من أشار لوجود آثار فى داخل مكان مقدس لتقديم قرابين بشرية ، حوالى الألف الثالثة ق.م فى منطقة مِرتْوس (Myrtós) بإقليم «يرابِترا» بجنوب كريت الشرقى .

---

(1)Sakellarákes., I., Efe S., "e istoría poú dén mathainoume", Tachydrómos, Nr. 9 (28-2-1980), pp. 8-9 .

(2) راجع /عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى من القديم ، ط4 ، القاهرة 1984 ، ص ص414-415 .

(4) حتى كبار علماء الآثار الكلاسيكية ، فقد قبلوا فكرة حدوث تقديم قرابين بشرية فى التاريخ اليونانى القديم ، لاسبيل إلى إنكارها ، فهاهو العلامة (Schweitzer, B.) يؤكد على أن الأثريين اليوم لابد أن يتوقعوا مثل هذه الآثار . كما أن الأثرى اليونانى الشهير مانوليس أندرونيكوس قد إقتنع تمامًا بالنظرية الجديدة فى ضوء الكشف الأثرى الجديد ، لدرجة أنه يعتقد اعتقاداً شبه جازم بأن الميكينيين هم الذين نقلوا هذه العادة فى تقديم قرابين بشرية إلى قبرص .

(5) وقبل هذا وذلك فإن (J. Chadwick; M. Ventris) لم يترددوا لحظة فى تفسير لوح من ألواح الكتابة الخطية الثانية ، بأنها إشارة إلى الموضوع ذاته .

(6) إن أقدم لوحات أثرية لتصوير الموضوع ، نراها على أحد الآنية حيث تصور لنا تقديم بوليكسينى قرباناً على قبر باتروكلوس ، نقلاً عن روايات الإلياذة .

(7) قامت رسالتان للدكتوراة بدراسة الموضوع وخرجتا بنتيجة تؤكدان بها إنتشار هذا الطقس القاسى ، فى أماكن عدة من اليونان القديم كما كان فى ثساليا (شمال شرق اليونان) وفى جزيرة رودس ، وأثينا ومسينيا وأليارتوس ، وليفكاذا ، وأسبرطة ، وأرْخومينوس .

(8) إنه لابد أن نحكم على مانعرفه فقط من الأساطير اليونانية كقصة تقديم إفيجينيا قرباناً لإله البحر بوسيدون (Poseidon) ولكن كذلك الانسى أقدم إشارة جاءت عند هوميروس – فى الإلياذة – بخصوص تقديم إثنى عشر أسيراً من الطرواديين كقرابين بشرية فوق مقبرة باتروكلوس بأمر من آخيليوس حيث سجلت الآثار – خارج اليونان هذا الموضوع – على جدران مقبرة إتروسكيه (من القرن السادس ق.م) تم إكتشافه فى إقليم إترووريا (Etruria) فى إيطاليا ، شمال روما .

(9) هناك ماهو أخطر من هذا وذاك ، وهو تواجد هذه العادة الدينية مع مطلع العصر الكلاسيكى ، وبالتحديد عشية معركة سلاميس البحرية ضد الفرس عام 480 ق.م. هنا يذكر لنا پلوتارخوس الأحداث كما يلى : **«وبينما كان ثميستوكليس يقدم القرابين بالقرب من المكان الذى رست عنده قوته البحرية ، سيق أمامه ثلاثة أسرى ، كانوا فى غاية الجمال . وقد إرتدوا أفخر الثياب وفى كامل زينتهم ، متقلدين حليًا ذهبية ، كما يقولون ، كانوا غالبًا أبناء ساناذاكى ، أخت ملك الفرس. وبمجرد أن رآهم العراف (الكاهن) أفرانتيذيس لمع – فى نفس الوقت واللحظة – لهب كبير وساطع من المذبح المقدس ، وهفهفة عن يمينه ، أظهرت للكاهن رغبة الآلهة . عندئذ أمسك هذا العراف بيمين ثميستوكليس ، القائد**

الآثينى، وأشار عليه – بعد أن إنتهى من صلواته – بأن يبدأ تقديم القرابين من هؤلاء الأسرى الثلاثة الشباب – مضحين بهم تقرباً إلى الإله » ، ولما كانت هذه الأضحية تهدف إلى ضمان تحقيق النصر على الفرس ، وكذلك الخلاص منهم نهائيًا (كما أشاع بذلك العراف بالطبع) ، ولما كان لهذه النبوء من أهمية وخطورة ، ورهبة كذلك ، فإن ثميستوكليس عندئذ قد ملأه الرعب والفزع .

ولكن غالبية الناس ، العامة ، وكما يحدث عادة فى مثل هذه الظروف الصعبة التى يواجهونها ، مثل ظروف الحرب والصراعات الخارجية أمام عدو أجنبى ، فإنهم يأملون ويطمعون فى مساندة السماء والخلاص مما هم فيه ، حتى ولو بالقيام بأى إجراء لايقره العقل . **«عندئذ بدأ جمع غفير ، فى صوت رجل واحد ، يدعون إلى السماء ، ويتضرعون إلى الإله . وبمجرد أن أحضروا الأسرى الثلاثة الشبان بالقرب من المذبح المقدس ، صمم العامة على ضرورة تقديمهم كقربان إلى الإله ، بالضبط كما أمر العراف»** ، ويواصل ساكيللاراكيس حديثه قائلاً [(1)] : كل هذا يذكره لنا فانياس من جزيرة ليسبوس [(2)] – كما يقول بلوتارخوس[(3)] – وهو رجل فيلسوف وعلى علم بالأحداث التاريخية ، وعاش فى القرن الرابع ق.م .

ومما هو جدير بالذكر – كذلك – أن الآثينيين قد إستعانوا بعراف كريتى هو إبيمنيذيس فى أواخر القرن السابع ق.م ليخلصهم من آثار لعنة حاقت بهم ، وأنه ، أى هذا العراف ، لجأ إلى تقديم قرابين بشرية – كما يخبرنا بذلك بلوتارخوس ، قائلاً : **«وقد طهّر إبيمينذيس إقليم أتيكا مستخدماً الدم البشرى»** [(4)] .

لقد كانت كريت (بالإضافة إلى مانعرفه من أساطير حول تقديم الشبان الآثينيين والفتيات الآثينيات – سبعة لكل منهم – كقرابين لثور مينوس كل عام ، كجزية سنوية على أثينا ، ومانعرفه عن قيام البطل الكريتى إذومينياس الذى قدم إبنه قرباناً ، بمجرد عودته من الحرب الطروادية ، بسببِ حدوث مجاعة) تحتفل بأعياد ، فى منطقة ليكتو (Lekto) فى تاكرونيا حيث كانت تقدم قرابين بشرية (!!!) منذ ذاك التاريخ المبكر بشهادة هوميروس وبلوتارخوس .

---

(1) المرجع السابق ، حيث يذكر الأثرى قول بلوتارخوس : كما في هامش (4) هنا .

(2) أقصى جزيرة يونانية عند الطرف الشمالى من شرق البحر الإيجى .

(3) Pultarchus, cf. O.C.D., op. cit., pp. 848-850. حول شخصه وعمله ومصادره .

(4) “Epimenídou kathaírontos tén Attiken anthropiou aímati .”

الخلاصــــة

وفى ضوء ماتقدم ، فإن ظاهرة تقديم القرابين البشرية - كما هو واضح - لم تكن إلا فى ظروف بالغة الخطورة بالنسبة للجماعة البشرية ، فيما قبل التاريخ وكانت عادة منتشرة ، ولكنها كانت تستخدم فى أضيق نطاق عند الضرورة القصوى فى العصور التاريخية ، كما حدث فى أثينا إذ وافقت المدينة على تقديم القرابين البشرية من أبنائها حتى تنقذ شعبها القديم كله .

وهذا مايؤكده نيلسون (Nilsson) ، أعلم علماء الديانة القديمة : **«إن القربان الآدمى لهو أغلى أنواع القرابين ، ولاتدانيه أى صور لقرابين من الحيوانات ولهذا لجأ إليه اليونانيون القدماء عند الشدة ، أو عند إتخاذ أخطر القرارات المصيرية والصعبة»**[1] .

(د) نشاط السكان :

لم يتقصر نشاط السكان فى كريت القديمة على الزراعة ، «حيث الأرض خصبة» - فى كثير من السهول الضيقة - ولكن الكريتى القديم كان بحاراً ماهراً إستغل قدراته وجسارته وركب البحر وحقق لنفسه ومدينته ثراءً ملحوظاً عاد عليه بالنفع الكبير ، فكان يتاجر بمنتجات جزيرته ويحمل إليها منتجات البلدان الأخرى التى يزورها ، أو على الأقل يحمل إليها المواد الأولية التى يصنعها فى جزيرته صناع مهرة ، مثل المعادن والأحجار الكريمة ، والأخشاب . كان طبيعيًا فى المراحل الحضارية الأولى أن يتعامل الكريتى فى تجارته بنظام المقايضة ولكنه سرعان ماتوصل إلى شكل من أشكال التعامل بالنقد فى صورة قطع كبيرة من النحاس ، فى أحجام معينة ، وشكل معين ، وذات وزن محدد هو مانعرفه باسم «تالنتا» . وقد تم العثور على بعض منها فى منطقتى أغياترياذا وزاكروس .

ولكن لم يمر وقت طويل ، حتى إستطاع الكريتى أن يستخدم - كما كان شائعاً فى بلاد الرافدين - عملة معدنية بدائية من الذهب والفضة والنحاس فى شكل ووزن محددين .

وكان إنتاجه من الزيت (زيت الزيتون) والخمر يعبئه فى آنية كبيرة خاصة ، وهى مانعرفه باسم : أمفورا ، ويغلقها بقطعة من الطين ويختمها بخاتم خاص بكل

(1) Sakellarákes, op. cit., p. 9 .

منتج ، عليه علامة مميزة له . وقد أفادتنا الألواح الطينية ، الخطية الثانية ، بأن الكريتيين القدماء شأنهم شأن الميكينين فى بلاد اليونان نفسها كانوا يستخدمون طريقة حسابية فى إحصاء وعد وتسجيل مايملكون وكانوا يحتفظون بدفاتر حسابية ، وهى نفسها تلك الألواح الطينية كما تشير المصادر المصرية القديمة فى عهد تحتموس الثالث (1500 - 1450 ق.م) بأن الكريتيين كانوا يقومون بعمليات نقل البضائع ، كما حدث مع مصر ، آنذاك ، فقاموا بالإتفاق معها على نقل أخشاب لبنان وربما يمكن ربط ذلك بزيارات الـ (Kefti) [1] أو (Keftiu) لمصر وتقديم هدايا لأكبر الشخصيات المصرية فى عهد ذاك الملك ، كما هو مسجل على جدران بعض المقابر المصرية من الأسرة الثامنة عشر كما فى مقبرة سنموت[2] (1500 ق.م) .

(هـ) الفن الكريتى :

إنه بفضل الحفائر الأثرية فى جزيرة كريت ، أمكننا التعرف على الذوق العام لشعب تلك الجزيرة ، حيث كان يحب الطبيعة ومابها من ألوان غنية كثيرة ولهذا فقد صورها فى أحلى صورها : البحر وعالمه الخاص به من أسماك ونباتات بحرية ودرافيل والأرض وما عليها من أزهار وطيور وحيوانات (قارن أشكال ، 7 ، 9) .

بدأ الفن الكريتى فأثبت جدارته وتمكُّنه من تقليد للآنية المصرية الحجرية[3] (شكل / 8) فضلاً عن أصالته فى صنع أوانى أخرى كثيرة الأشكال والأحجام (شكل / 9 أ ، ب ، جـ) ومن أجملها آنية كامارِيْكا (Kamaraïka)[4] .

ثم إنتقل إلى إيجاد عناصر زخرفية نباتية – بالدرجة الأولى فضلاً عن صناعة الأوانى الضخمة المعروفة باسم (Amphorae) ، أوبيثويْ (Pithoi)وذلك لتخزين الغلال والحبوب [5] (شكل / 10) .

أما صناعة المعادن ، فقد تميز فيها الفنان والصانع الكريتى تميزاً واضحاً صنع بأيديه أدق النماذج الجميلة ، ومنها على سبيل مثال القلادة التى تأخذ شكل النحلتين المتقابلتين وقد تعامل مع كل من الذهب والفضة ، والأحجار الكريمة مثل لابس لازولى (Lapis - Lazouli) كما تعامل مع الأخشاب والعاج ، فأنتج أعمالاً دقيقة .

---

(1) محمد السيد عبدالحميد ، العلاقات المصرية – اليونانية فى الدولة الحديثة – (دراسة لمشكلة الكفيتو) الزقازيق 1996 . وهى رسالة دكتوراة بإشرافى وغير منشورة حتى الآن .

(2) Higgins, op. cit., fig. 187.

(3) Cf. Higgins, op. cit., fig. 198, 201.

(4) Ibid., fig. 16.

(5) Ibid., fig. 122, 123.

أما العمارة الكريتية ، فكانت أفضل نموذج حى مازال باقياً إلى اليوم فى نفس مكانه ، كما هو الحال فى كنوسوس ، حيث نرى مئات الحجرات المزدانة من الداخل باللوحات الجدارية الرائعة وتشاهد الأفنية الواسعة ، والطرقات العديدة ، والسلالم ، كما وصلت إلى ثلاثة طوابق . وأهم مايسجل للعقلية المينوية المعمارية أنها لم تغفل دور الصرف الصحى والمجارى بطريقة محكمة حتى أن حجرات القصر الملكى لم تخل من قاعات خاصة للإستحمام فى بانيوهات[1] من الفخار المحروق .

لقد كان الكريتيون يحبون الأشياء فى أحجام عادية ، وربما الصغير منها ، وليس لما هو فوق العادة من تماثيل عملاقة كما كان الحال فى مصر مثلاً ، طالما أن كريت ليس لها إمكانات الدول والممالك العظمى القديمة فى الشرق القديم . **وإذا كان الفن ومظاهره هو أحد المقاييس الهامة لدى تحضر شعب من الشعوب ، فإن الفن الكريتى ، فى كل تعبيراته ومجالاته الفنية ، يعكس حياة الكريتيين القدماء بما فيها من بهجة ودقة** (لاحظ الملامح الإنسانية الراقية الدقيقة للأشكال الآدمية[2] ، ويرجعان إلى العصر المينوى المتأخر قبل حوالى 1450 ق.م وهى مرحلة متقدمة فى حياة النحت المينوى الكريتى ، بعد أن قطع شوطاً لابأس به إستمر حوالى خمسة قرون حوالى 2000 ق.م . لقد حاول الفنان الكريتى أن يحدد الملامح البشرية الآدمية لوجود أشخاص فى لوحاته التى تركها لنا ، وكانت محاولاته أفضل بكثير من محاولات الرجل اليونانى داخل اليونان نفسها .

وإذا كان البعض يقوم بدراسة حضارة كريت فى ضوء ماقدمته حضارات الشرق الأخرى المعاصرة لها ، ويعقد المقارنات ويفاضل بينها جميعاً فهذا أسلوب خاطئ فى دراسة الحضارات . ولكن علينا أن ننظر إلى كل حضارة من خلال منظارها هى ، وفى ضوء مفاهيمها هى ، وماتم من نقل وتقليد على يد الكريتيين لعناصر حضارية شرقية ، مصرية أو بابلية فإنه لم يتعد الخطوط العامة أو البدايات لممارسات عامة ، ولم يلبث الكريتيون أن أخرجوا كل هذا بأسلوبهم هم ، وبطريقتهم وطبقاً لذوقهم هم .

- **كلمة أخيرة :**

وفى ختام الحديث عن كريت ، كحضارة يونانية قديمة متميزة ومتفردة ، سبّاقة ، وليس لها مثيل فى مشوار أقدم الحضارات الغربية جميعها ، يهمنا أن نؤكد

---

(1) "Daváras, K., op. cit., Fig. Mégaro tes Basilissas".

(2) Higgins, op. cit., fig. 22, 23.

على بعض المظاهر الحضارية الهامة عبر تاريخها الطويل :

(أ) أثبتت الآثار عدم مصداقية الأساطير التراثية فى كل تفاصيلها :

(1) صحيح ، كان هناك ثور ، ولكن ليس كوحش آدمى ، مينوتاوروس (Minótauros) ، بل فقط كحيوان مقدس ، وكرمز ملكى من رموز القوة الجسدية ، كما كان فى الشرق القديم .

(2) وصحيح أنه كان هناك قرابين بشرية (أضاحى) تقدم لبعض الآلهة ، فى حوالى مطلع القرن17 ق.م ، أوقات الشدة والزلازل وانتشار الأوبئة ، ولكن ليس لتقديمها لثور مينوس ! .

(3) وصحيح أن ملوك كريت القدامى كانوا أقوياء وأشداء ، بدليل روعة وضخامة البنيان على هيئة القصور الفخمة ورفاهة العيش ، ولكن ذلك لم يكن فى كل الأحوال ، بل فى الفترة الأخيرة ، فقط ، من عمرها الحضارى 1700 - 1450 ق.م ، كمملكة مستقلة ، قبل الغزو الميكينى لها.

(ب) هناك تأثيرات مصرية عديدة ، فى الديانة ورموزها ، والإدارة الملكية ورموزها، وكذلك فى كثير من المجالات الفنية : العمارة والنحت والرسم . هذا فضلاً عن البدايات الأولى للغة كريت الأقدم (Pictographic) .

(ج) روح كريت الرقيقة ودقة رسوماتها ولوحاتها ، وذوقها الراقى فى رسم مناظر الطبيعة وتفاصيل الإنسان بحيوية شديدة ، ليس لها مثيل فى نتاج الشرق الحضارى كله ، إلا فى الحضارة المصرية الأسبق عليها (!!!) .

- **الرد على نظرية إيڤانس حول أصل الكريتيين القدماء :**

عندما كان إيڤانس قد إستند (فى نظريته القائلة بأصل ليبى لسكان كريت القديمة وأن هناك صلة دم وقربى بين المصريين القدماء وبين الكريتيين القدماء) على أساس وجود عدة متشابهات ومظاهر حضارية تم الكشف عنها ومعرفتها فى ضوء الدليل الأثرى من حفائره فى كنوسوس ومنها :

(1) الكتابة التصويرية .

(2) بناء المقابر القبابية الدائرية .

(3) وجود تأثيرات فنية عديدة مثل :

(أ) الآنية الحجرية .

(ب) البناء بالحجر .

(جـ) الرسوم الجدارية .

(د) بعض الموضوعات الدينية الجنائزية .

وعندئذٍ وجد إيفانس نفسه مضطراً لأن يبرر وجود تلك المظاهر الحضارية المتشابهة فى كريت القديمة مع مثيلاتها فى مصر القديمة وقال بنظريته التى ترجح هجرة جماعات من المصريين القدماء من الدلتا صوب الشمال وذلك عند توحيد القطرين أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد ،حوالى 3200 قبل الميلاد، خوفاً من بطش الملك مينا فنزحوا مضطرين إلى جزيرة كريت ومن ثم كانوا هم أصل البدايات الأولى للحضارة الكريتية القديمة .

ولكننا مع ذلك وبالرغم من منطقية النظرية واحتمالاتها الواردة إلا أن الموضوعية التاريخية والأمانة البحثية والأدلة العديدة تعطينا الحق فى رفض النظرية جملة وتفصيلاً. وذلك عن طريق منهجنا وتحليلنا وردنا على كل جزئية من جزئيات النظرية ومحاولة إيجاد المبررات لكل عنصر من عناصر المظاهر الحضارية المتشابهة حتى نتيقن فى النهاية من أننا أمام تشابه ظاهرى سطحى هو بفعل تأثير الحضارة المصرية المزدهرة آنذاك على جزيرة كريت وأهلها وليس بالضرورة نتيجة لانتقال مهاجرين مصريين إليها . وتتمثل عناصر الرفض والرد على هذه النظرية فيما يلى :

أولاً : حول القول بهجرة سكان مصريين :

لهذه الجزئية جانبان :

(أ) الجانب السياسى :

وهو القائل بوصول الملك مينا من الجنوب إلى الشمال وخوف بعض أهالى الشمال من بطشه وهجرتهم إلى كريت فإنه ينتفى هنا الجانب إذا عرفنا أن بعض النظريات الحديثة حول العمليات المؤثرة لتوحيد شطرى مصر الشمالى والجنوبى لم تكن واحدة بل مرت بمراحل عديدة . كما أن الملك مينا هذا بدأ حملته الوحدوية المقصودة من الشمال إلى الجنوب وليس العكس مما ينتفى معه السبب المباشر لهجرة أهل الشمال . وكذلك لم يكن مينا وحده ، بل هناك آخرون غيره ، وحدوا الشمال مع الجنوب ، وبعضهم إنطلق من الشمال صوب الجنوب (!!!) .

(ب) الجانب الحضارى ويتمثل فى عدة نقاط :

(أ) ليس من طبع المصرى القديم ترك الوطن بفضل قناعته الدائمة بخيرات بلده وبساطة أسلوب معيشته اليومية فضلاً عن ارتباطه الوثيق بالأرض وأسرته وأهل قريته . ولم يسجل التاريخ القديم كله فى نصوصه المكتشفة إلا حالة واحدة لأحد موظفي الدولة المصرية الوسطى حوالى (2000) قبل الميلاد وهو سنوهى وكان فى «عرف اليوم» كلاجئ سياسى اضطرته الظروف للذهاب إلى فلسطين وسوريا. وبعد أن عرف الفرعون بقصته أرسل فى طلبه يرجوه العودة لوطنه وأنه سيلقى الترحيب والتقدير حيث الأهل والوطن والعادات والتقاليد التى تربى عليها.

(2) الشئ لزوم الشئ : إذا صدقت نظرية إيفانس فى هجرة جماعات مصرية إلى كريت فإنه كان من الأولى أن نجد آثاراً مصرية أصلية خلفتها تلك الجماعات المهاجرة إبان تواجدها هناك . ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث . وإن ماتم العثور عليه ليس مصرياً خالصاً ، إنما هى أشياء تقلد النماذج والأنماط المصرية مما يعنى أن أهل كريت القدماء قد عرفوا طريقة صناعة هذه النماذج وأحضروا معهم عينات لها وقلدوها بأسلوبهم الخاص وذوقهم المعروف .

(3) المادة الأثرية :

(1) حول عمارة المقابر القبابية الدائرية :

ثبت بالدليل الأثرى اليقينى أن أصول عمارة هذه المقابر وجذورها القديمة الأولى نشأت ، ليس فى شمال أفريقيا ، بل فى حضارة العراق القديمة وتحديداً فى آثار السومريين القدماء [1] .

(2) حول الآنية الحجرية :

وهذه الآنية الحجرية المكتشفة فى كريت والتى تؤرخ بالنصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد 3000 - 2500 قبل الميلاد فإننا نجد معظمها هو تقليد كريتى أصيل بأيدى كريتيين لبعض الأشكال والأنماط المصرية القديمة لهذه الآنية بإبداع ، والحق يقال ، بإبداع سبق كثيراً وفاق فى أشكاله وجودته الآنية الحجرية المصرية التى كانت هى الأصل فى هذا التقليد وليس غريباً أن يتفوق التلميذ على أستاذه . وهذه كلها جاءت بعد فترة زمنية لاتقل عن (500 عام) من تاريخ مثل هذه الهجرات المزعومة

---

(1) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 1984 ، ص ص 409 - 410 .

من إيڤانس وكان الأوْلى :

(أ) أن تؤرخ هذه الآنية المستوردة من مصر بتاريخ الهجرة إلى كريت . ثم أن توجد منها كميات كبيرة بنفس الأشكال والأنماط المصرية القديمة . هذا فضلاً عن أدوات مصرية قديمة أخرى كان لابد أن تتواجد إلى جوار تلك الجماعة المهاجرة إلى كريت إن صحت نظرية إيڤانس . وهذا لم يحدث .

(ب) البناء بالحجر : وهنا ندرك حقيقة أثرية لالبس فيها إذ أن المادة المكتشفة فى عمارة القصور الملكية تؤكد أن معرفة أهل كريت بهذا الأسلوب من البناء جاءت متأخرة كثيراً بما لايقل عن ألف عام تقريباً من معرفة المصريين القدماء لهذا النوع من البناء وهو تقطيع الأحجار وتسوية سطوحها وترتيبها فى صفوف متناسقة دون الحاجة في أغلب الأحوالى إلى مونة فيما بينها . وكذلك إستخدام فروع الأشجار لتقوية الأسقف سواء على هيئة قطع مستطيلة قائمة الزوايا أو على هيئة كتل متعددة الزوايا أو كانت غالباً من الحجر الجيرى أو أنواع أخرى أكثر صلابة فى الحالات النادرة – ولكنه يلاحظ الفرق الشاسع بين أحجار البناء فى مصر وأحجار البناء فى كريت من حيث الحجم والضخامة وتسوية الأسطح بوجه عام .

فبينما مثلاً نجد أحجار الهرم الأكبر تتراوح أوزانها مابين ثلاثة أطنان إلى سبعة فى المتوسط ويصل وزن حوائط حجرة الملك الجرانيتية إلى حوالى سبعين طناً نجد أن الأحجار الكريتية المكونة لبعض حوائط القصور الملكية سواء فى كنوسوس أو غيرها لايزيد وزنه عن عدة مئات من الكيلو غرامات ، أى أنها أصغر كثيراً جداً . ومن ثم فإننا أمام سببين إثنين ينفيان وصول مهاجرين مصريين إلى كريت كانوا هم الذين «حسبما يدعى إيڤانس» قد بنوا تلك القصور والمعابد ، وهذان السببان هما :

الأول : الفارق الزمنى الكبير بين معرفة المصريين القدماء فى مصر بهذا الأسلوب من البناء وبين تاريخ أقدم بناء صخرى على أرض كريت مما يعنى أنه لو صحت نظرية إيڤانس لكان أولئك المصريون المهاجرون بخبراتهم القديمة ومعارفهم المعمارية قد بنوا ، فى كريت ، شيئاً شبيهاً بآثارهم فى بلدهم فى التوقيت نفسه أو بعده بقليل .

الثانى : اختلاف أحجام ونوعيات الحجر المبنى به تلك الآثار هذا فضلاً عن اختلاف المجموعات المعمارية من قصور ومعابد وكذلك مقابر اختلافاً بيناً عن مثيلاتها فى مصر مما يعنى أن أناس آخرين هم اللذين بنوا هذه الآثار وهم الكريتيون القدماء وليس المصريون المهاجرون كما يقول إيڤانس .

وتعليلنا البسيط هنا هو :

أن مهندسين كريتيين كانوا قد رأوا مصر يومًا ما ، فى أواسط الألف الثالثة ق.م ، بطريقة ما وتعلموا طريقة البناء بالحجر من المهندسين المصريين ثم عادوا لبلادهم ليبنوا مبانى وفق مزاجهم الخاص وطبقًا لمعطيات بيئتهم المحلية واتساقًا مع تراثهم على أرض هذه الجزيرة .

الفصل الثانى

حضارات البلد الأم

• الحضارة الهيللادية[1] : تعريف وتاريخ :

إعتاد المؤرخون والأثريون أن يطلقوا إسم «الحضارة الهيللادية» على اليونان نفسها ، وليس جزرها ، تفريقًا منهم بين تلك وبين حضارة البحر الإيجى الكيكلاذية من ناحية ، والمينوية الكريتية من ناحية أخرى . وفى حقيقة الأمر أنها جميعاً نماذج حضارية ومراحل قديمة لعصر البرونز ، فى تلك البقعة من العالم القديم ، والتى هى بمثابة الحلقات الأولى من سلسلة متصلة من التاريخ اليونانى القديم ، تلك الحلقات التى أسلمت كل منها إلى الأخرى خلاصة تجاربها على مر القرون ، ولاسيما أنها إختلفت فى فترات إزدهارها مما جعل الإفادة واضحة ولاغنى عنها من المراحل السابقة على كل منها ، لما هو آتٍ بعدها . هذا بالرغم من أن جميعها – بشكل عام – يعتبر معاصر لبعضه ، أى يقع فى الفترة من 2600 - 1100 تقريباً .

ولكننا إذا نظرنا إلى فترات الإزدهار لكل من الحضارات سالفة الذكر وجدنا مايلى :

(1) حضارة ثساليا : من (5000 إلى 3000) ق.م .

(2) حضارة الكيكلاذيس : من (2000 إلى 1500) ق.م .

(3) حضارة كريت : من (1700 إلى 1450) ق.م .

(4) حضارة موكيناى : من (1500 إلى 1300) ق.م .

أما الحضارة الهيللادية ذاتها فقد مرت بمراحل عدة :

أولاً : الفترة الهيللادية المبكرة (أو الأولى) :

ويؤرخ لها علماء التاريخ والآثلر اليونانية بالفترة الزمنية الواقعة بين (2600 - 2000 ق.م) وفيها يمكن إيجاز أهم الأحداث التالية :

---

(1) جاءت تلك التسمية من اللفظة "Hellas" " أى اليونان ، والصفة Helladic أى هيللادى للدلالة على حضارة البلد الأم .

(أ) وصول شعب جديد إلى اليونان ، حامل معه معدن البرونز حوالى منتصف الألف الثالثة ق.م أى 2600 ق.م تقريباً ، وليس معروفاً أو مؤكداً من أين أتى هذا الشعب . ولكن يعتقد البعض أنه أتى من آسيا الصغرى ، متخذاً جزر الكيكلاذيس معْبراً له .

(ب) تشهد الآثار على ميل أولئك إلى السلام والإستقرار ، وقد جاءوا فى جماعات متلاحقة ولكن أفواجًا أخرى من المعتدين الغزاة أجبرتهم على إتخاذ موقف الدفاع عن النفس ، فقاموا ببناء الأسوار المنيعة القوية ، حول مدنهم .

(ج) كانت أماكن السكنى ، فى تلك الفترة تبنى على سفح التلال الطبيعية وقد تميزت بتلاصق مبانيها وبيوتها ، وكانت أساساتها من الحجارة ، بينما حوائطها من الألواح الصخرية الصغيرة ، مثلما كان الحال فى سيكلو ونيمينى فى ثساليا .

(د) كما كانت آنيتها بسيطة ، وسُمْك شقافاتها ضئيل . ومن أكثر الأشكال شيوعاً بين آنية الفترة الهيلادية المبكرة ، هى الآنية «ذات الحلْق» الذى يشبه فم الطائر وكذلك إناء الصلصة كما أسماه الأثريون .

(هـ) وأمام مايخص العبادة ، فقد ظل السكان يتعبدون إلى إلهة أنثى، وكانت تماثيل تلك الربة (سواء الحجرية منها أو الفخار الطينية) ، تأخذ أشكالاً تقليدية ثابتة .

(و) كما أن أدوات سكان أهل هذه الفترة ، كانت مصنوعة من الأحجار ، أو من المعدن الجديد ، مثل البلط ، والأزاميل والسكاكين ورؤوس الحراب .

ثانياً : الفترة الهيلادية الوسيطة (2000 - 1580ق.م)

هنا ، ومنذ ذلك التاريخ ، يصل إلى اليونان مع بداية تلك الفترة ، اليونانيون الأوائل فى صورة هجرات بشرية جماعية ، حمل بعضها اسم : «الأيونيون» ، والبعض الآخر اسم «الأيوليون» والفرع الثالث والأخير وهم «الآخيون» ، هم جميعاً ينتمون إلى الجنس الهندوأوروبى[1]، وكانوا أقل تحضراً من أولئك السكان الذين كانوا بالفعل على الأراضى اليونانية إبان الفترة الهيلادية المبكرة .

إنهم قوم أشداء ، منظمون وذوى عقول صادقة ، وقد تعلموا من السكان الأقدم منهم أشياء كثيرة ، ولكنهم لم ينقلوا عنهم كل شيء بل فقط ما يتناسب معهم .

(1) راجع مارتبن برنال ، أثينة السوداء (ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين ، تحرير ومراجعة / محمود إبراهيم السعدنى) ، الجزء الثانى ، القاهرة 2004 ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة / 675 ، ص ص 7 - 32 .

وكما تعودنا ، نوجز هنا أيضاً ، أهم المظاهر الحضارية لتلك الفترة من مراحل الحضارة الهيللادية :

(أ) تم إستخدام العجلة (الدولاب) لأول مرة فى إنتاج الآنية الفخارية بكثرة ، ثم إتمام عملية حرق تلك الأوانى الطينية داخل قمائن .

(ب) كان الآخيون هم أول شعب محارب يستخدم الخيول ، ولما كانوا قادمين من الشمال ، فإنهم لم يستطيعوا الإستغناء عن الموقد ، كمظهر رئيسى لطرق حياتهم داخل منازلهم ، فضلاً عن بناء أسقف تلك المنازل من القرميد بشكل مائل على الجانبين حتى لاتتجمع مياه الأمطار فوق الأسطح ، ولايتزايد حجم الثلوج فيكثر ضغطه عليها ، فيدمرها بوزنه الثقيل .

(ج) وكانت عمارة منازلهم بسيطة للغاية ، عبارة عن فناء كبير يسمى «ميجارون» ذى مدخلٍ صغير ، يفتح بابها على الخارج ، ويستند على عمودين اثنين ويتوسط الحجرة الرئيسية مكان الموقد .

(د) أما آنيتهم والتى تسمى «المينياكا» (Miniaká) ، فكانت ذات لون واحد ، إما رمادية أو مائلة إلى الإصفرار وتعطى إنطباعاً بأنها كانت تقلد أنماطاً أو أصولاً معدنية ، وتميزت بثبات قواعدها وقوة أشكالها .

(هـ) وإذا ما تطرقنا إلى مقابر هؤلاء فإنها إما كانت فردية ، أى خاصة بالأفراد أو جماعية تستخدم لمجموعة كبيرة ولعدة دفنات متوالية ، حيث تعودنا أن نعثر على أدوات قليلة إلى جانب المتوفى ، مثل إناء أو إثنين وبعض السكاكين الصغيرة ، أو الحلى الرخيصة .

ولكننا -للأسف- لانعرف أشياء أخرى عن حياتهم وطرق معيشتهم ، وسنتعجب فعلاً من المظاهر الحضارية للمرحلة التالية والأخيرة من الحضارة الهيللادية وهى التى فرض الميكينيون إسمهم عليها ، فسميت باسم الحضارة الميكينية.

ثالثاً : الفترة الهيللادية المتأخرة [الحضارة الميكينية «1580 - 1100ق.م»] :

تمهيد : حقائق حول الزمان والمكان والإنسان :

كان من حسن طالع الحضارة الميكينية فى شبه جزيرة البلوبونيز -فى الشمال الشرقى منها على وجه التحديد- أنه قد وافق انهيار حضارة كريت المينوية (على أثر البركان المدمر الذى أودى بحياة الكثيرين من أبناء الجزيرة على حدود اليونان الجنوبية وعصف بكل المبانى الكبيرة من قصور وغيرها ، وبسبب الزلازل التى

أعقبت ذلك على أفضل ترجيح ، وأنهى التاريخ لقاءه مع كريت) أزهى فترات الحضارة الميكينية وأقوى مراحل تطورها فخدمها التاريخ بذلك وعجل بلقائه معها فى كل حوض البحر المتوسط الشرقى وكان فى منتصف القرن الخامس عشر (حوالى 1450ق.م) إذاناً ببداية حياة جديدة ، وبسطت موكيناى سلطانها على أغنى مملكة فى حوض البحر المتوسط آنذاك .

لقد كانت كريت هى همزة الوصل الحضارى بين الشرق والغرب ، حيث تأثر الميكينيون (الآخيون ، اليونانيون الأوائل) بتأثيرات شرقية عديدة ، فى مجالات كثيرة، شملت الدين والعمارة ، والفنون . وأنه لجدير بالذكر أن نقول أن معظم هذه التأثيرات كانت مصرية الأصل . ولنبدأ القصة من أولها :

إنه حتى عام 1870 عندما قام الأثرى الألمانى هاينريش شليمان بحفائره فى طروادة وكشف النقاب لأول مرة عن صدق روايات هوميروس فى الإلياذة ، لم يكن يعرف شيئاً عن الحضارة الميكينية ولم يلبث هذا الرجل نفسه ، بفضل إيمانه العميق وحبه الشديد لملحمة تلك العبقرية الشعرية ، هوميروس ، أن بدأ يحفر فى مدينة موكيناى فى شبه جزيرة البلوبونيز ، تلك التى جاء ذكرها عند شاعر الخلود على أنها مدينة كثيرة الذهب[1] ، مما فتح شهيته لمزيد من النجاح بعد أن كافأته السماء بذهب كثير من حفائره فى طروادة . وتأكد لديه صدق أوصاف هوميروس ورواياته ، التى هى الآن شاهد عصر الأبطال والمجد الغابر ، وإن كانت تصفه بعد أن مضى عليه أكثر من ثلاثة قرون . فكان هوميروس يحيى بأشعاره عصر ومجد الأجداد وبطولاتهم. عاد شليمان إلى اليونان فى 1876 فكشف النقاب عن حضارة موكيناى الثرية ، وأثبتت للعالم أجمع تاريخية أحداث الإلياذة والأوديسيا :

يقول هوميروس[2] وكان ملك قبرص كينير قد أهدى أجاممنون القائد العام للجيش اليونانى الآخى فى طرواده صديرية خاصة له :

«وقد ساعد بن أتريوس الآخيين أن يتسلحوا بالعربات الحربية ،

«فلبس ، أولاً ، أغطية الأرجل الفخمة حول ساقيه ،

«حيث ثبّتها بدبابيس من الفضة الخالصة ،

---

(1) حيث وصفها هوميروس بلفظة (Pol´ychrysos) أى الكثيرة الذهب .

(2) الترجمة هنا حرفية عن النص الأصلى ، فهى بسطورها ، كما جاءت فى نص الإلياذة باليونانى القديم .

« وقد غطى صدره ، بعد ذلك بصديرية ، كانت هدية ،

« تكريم ، فى وقت ما ، كان كينير قد أعطاها له ،

« ذلك عندما وصلت الأنباء العظيمة إلى قبرص ،

« بأن الآخيين مصممون على مهاجمة طروادة ،

« ولهذا ، فقد أهدى ملك قبرص الملك الآخى بتلك الهدية ،

« وكان لهذه الصديرية إثنا عشر رباطاً من الذهب .»

وواصل هوميروس وصفه لهذه الصديرية وما عليها من رسوم . ثم ها هو أدق المؤرخين القدماء وأكثرهم موضوعية وهو ثوكيذيذيس يقول :

«وهكذا فإن اليونانيين ، كل تجمع على حده ، وجمع من أقاموا فيما بينهم اتحادات وانضم بعضهم إلى بعض ، والذين تسموا بهذا الاسم فيما بعد ، لم يفعلوا أى شىء سوياً -أى بمثل هذا الإجماع- قبل الحرب الطروادية ، ذلك لأنهم كانوا ضعفاء ولم يكونوا يتصلون ببعض . ولكنهم من أجل الحملة تجمعوا . وقد رحل أغلبهم عن طريق البحر» .

وفى أحدث وأشمل دراسة تاريخية ، وتحليلية تعليلية ، تجمع بين آثار الماضى البعيد ورواسبه الحديثة والمعاصرة فى بنيان المجتمع اليونانى ، اليوم ، أى أول دراسة، من نوعها ، تبدأ من تجميع ورصد بعض المظاهر الحضارية المعاصرة بين يونانى بلاد اليونان ، الآن ، وتحاول جاهدة أن تتلمس طريقها نحو الأصول والجذور فى ماضى تلك البقعة الغالية على الأوربيين من حوض البحر المتوسط ، قدم لنا العلامة والمؤرخ العظيم أرنولد توينبى رؤيته التاريخية الخاصة جداً ، للحضارة اليونانية القديمة وتراثها الحديث والمعاصر عبر المراحل الحضارية المختلفة التى مرت بها[1] .

وحتى يدلل مؤرخنا العظيم على سلامة معالجته لموضوعه بهذا الشكل المتكامل البانورامى[2] الشامل ، فقد قدم لكتابه بفصل قصير عن تأثير التراث القديم على مجتمعات اليوم ، وأصدر حكماً عاماً وهاماً ، وهو أنه : **«يعتبر تراث أى جيل معاصر، اليوم ، من أجيال البشر الحالية ، على الأقل قديماً قدم الكون كما يعتبر عمر الكون لا نهائياً ، لا محدداً»**[3] .

---

(1) The Greeks and Their Heritages, Oxford 1981.

(2) كلمة بانوراما كلمة يونانية الأصل ، مركبة ، تعنى الرؤية الشاملة الكاملة ، التى تهتم بالإطار العام أكثر من إهتمامها بالتفاصيل الجزئية .

(3) Ibidem, p. 9.

ولقد وضع توينبى يده على القاسم المشترك المعاصر بين يونانى اليوم وحضارتهم بالأمس البعيد مروراً بالصر البيزنطى والفترة الهيللينية ووصولاً إلى العصر الميكينى ، وهو اللغة اليونانية ، وقرر ما يلى :

"Present day Greek is manifestly a later phase of the language of the Homeric poems."[1]

وهذا يعنى أن اللغة اليونانية اليوم هى بكل الوضوح مرحلة متأخرة من «لغة القصائد الهومرية» مما يؤكد دون أدنى مجال للشك ، أن يونانية اليوم ، لها أصولها وجذورها منذ القرن الثامن ق.م .

ويحق للعلامة أرنولد توينبى أن يؤرخ للحضارة الهيللينية الخالصة العنصر ، النقية الدماء بالغزو الدورى وليست قبل ذلك ولذلك نراه يقول[2] :

"(The Hellenic civilization lasted for about seventeen centuries from the eleventh century B.C. to the seventh century of the Christian Era)".

وليس هناك من ينكر أن الهيللينين لم يرثوا حضارة موكيناى من قصور ، ولغة إختزال ، وبيروقراطية منظمة ومثل ومفاهيم فى الإدارة المحلية[3] . إذ أن اليونان بمجيء الغزو الدورى (حوالى 1100ق.م) ومعهم أسحلتهم الحديدية وثقافتهم الخاصة بهم ، ويحملون دماً جديداً بعث الحياة فى لغة الأجداد الميكينيين كانوا قد تناسوا تماماً كل الماضى ولم يذكروا منه شيئاً إلا ما علق فى أذهان بعض العناصر السكانية التى لم تفر أمام الغازى الجديد وراحت تحاول أن تتأقلم مع تلك الظروف الجديدة وتبحث عن أرضية مشتركة للتفاهم والعيش معه[4]. وهنا يظهر السؤال التقليدى :

من هم الميكينيون؟

يصف الشاعر الهيللينى هيسيود[5] أولئك الميكينيين على أنهم : «جنس البرونز»

---

(1) Ibidem,.

(2) Toynbee, op. cit., p. 25.

(3) راجع توينبى ، المرجع السابق ، ص 24 .

(4) هناك رأى للأثرى والمؤرخ ديزبورو

Desborough, V.R., The Greek Dark Ages, London 1972, p. 23.

وهو أن الأقلية المهزومة من المواطنين الميكينيين ربما هاجروا إلى قبرص .

(5) الأعمال والأيام ، أبيات 143 - 155 .

أو أنهم «جنس الأبطال الذى يشبه الآلهة»[1] .

إنه ذلك المجتمع الميكينى الذى دمر نفسه بنفسه ذلك لأنه قام أصلاً على الجمع بين عنصرين متناقضين : إدارة بيروقراطية متعلمة مثقفة ، حملت مسئولية التسجيل والتخطيط وربما كانت من أصل شرقى (levant) وزعامة ميكينية هيللينية جاهلة، كانت بيدها السيادة والإمارة الحربية وتسوس غالبية عظمى من الرعايا اليونان الفلاحين ، والتى كانت هى الأخرى جاهلة أمية . وبذلك حملت بين صفوفها عناصر هدمها السريع مما جعل بعض العلماء والمؤرخين يصفون الحضارة الميكينية اليونانية بأنها كانت غير مستقرة وهشة قابلة للتدمير[2] . ولاتأتى هذه النتيجة الخطيرة إلا على أساس دراسة متعمقة فى التراث الأدبى وكذلك الأثرى للعصر الميكينى .

فنجد مثلاً هيسيود (Hesiodos) يقرر ذلك بجلاء قائلاً :

«لقد تدهورت أحوالهم (أى رجال البرونز «الآخيين») بأيديهم وحفروا قبورهم فى عالم الأموات (Hades) دون ذكرى تخلدهم»[3] . (قارن شكل / 20) .

كما يؤكد الدليل الأثرى أن شاعر الأوديسيا (الذى وصف القصور الميكينية وخدامها : قصر نستور فى بيلوس (شكل/ 14)، وقصر مينيلاوس فى لاكيدايمون (إسبرطة) وقصر ألكينوس فى سخيريا ، وقصر أوديسيوس فى إيثاكى) كان لايعلم شيئاً عن واقع أولئك التاريخى وظروف حياتهم الاجتماعية . كما لايعلم شيئًا عن ثروات الأمراء الميكينيين ، ولاعن أعداد الخدم داخل القصور ، ولاعن موظفى الإدارة الحكومية ولاعن المجتمع الطبقى الكهنوتى ومبادئه[4] .

فبينما نجد الدليل الأدبى عند هوميروس يتحدث عن خمسين إمرأة يخدمن فى قصر أوديسيوس ومثلهن يخدمن فى قصر ألكينوس فإنه لاتجد إشارة عنده حول أصل هؤلاء النسوة وطبقتهن الاجتماعية . كما نجد ، وفقًا للأعداد التى وردت فى ألواح

---

(1) المصدر نفسه ، أبيات 156 - 173 .

(2) أرنولد توينبى ، المرجع السابق ، ص26 وهامش (8) حيث يصفها بقوله :
"The Greek Mycenaean civilization was fragile".

(3) **الأعمال والأيام ، 151 - 155 . هذه الترجمة ليست حرفية . وفى أبيات 161 - 166 يتحدث عن حربين : حرب شريرة ، تحت أسوار طيبة (ذات السبعة أبواب) . وحرب أخرى مخيفة ، أدت إلى تدمير طروادة ، من أجل هيلين ، ذات الشعر الجميل ، حيث لقوا مصرعهم – حقيقةً – واختفوا بين أحضان الموت .**

(4) أرنولد توينبى ، المرجع السابق ، ص 31 .

الكتابة الخطية الثانية ، والتى تؤرخ بفترة واحدة قصيرة الأعداد التالية لأسماء :

لـ 645 : أمَة (نسوة يخدمن داخل منازل أسيادهن كالرقيق) .

ولـ 370: بِنْتا (فتاة) .

ولـ 210 : ولَداً (غلاماً) .

وجميعهن يعملن فى القصر الملكى فى بيلوس ، مما يتفوق بكثير على إجمالى ماذكره هوميروس فى الأوديسيا . ومما لاشك فيه أن هناك أعداداً أخرى ، تؤرخ بفترات زمنية أخرى وفى أماكن أخرى تنتمى إلى العصر الميكينى .

وإذا مارجعنا إلى السؤال التقليدى حول المشكلة الهومرية ونخص بها هنا فى إحدى جوانبها «**هل كانت تلك القصائد والملاحم الخالدة قد كتبت شعراً ؟**» منذ البداية، أم أنها كانت تلقى شفاهة ؟!! ، فإننا نجد فى إجابة العلامة أرنولد توينبى خير رد على السؤال السابق إذ يقول :

"Did their makers compose them orally ? Or were they already composing these poems in writing ? This question is still being debated,[1] and a "Conclusive answer to it, may never be reached:"

هذا بالرغم من أن ذلك العلامة يعود فيقرر أن هناك إجماعًا على أن القرن الثامن (8) ق.م الميلاد قد شهد تكوين الملحمتين الخالدتين ، واستقبل الأبجدية الفينيقية فى ذات الوقت[2] وإن كانت مادتها قد وصلت من التراث الماضى للعصر الميكينى .

وجدير بالذكر أن نقرر هنا أن ماجاء فى الإلياذة [3] حول اللوح المطوى الذى أعطاه بروتيوس إلى بلليروفون لايمثل دليلاً على وجود كتابة خطية آنذاك ، مثل تلك التى نسميها الكتابة الخطية الثانية [4] ، كما أن الهيلليني‍ين أعادوا صياغة التراث الميكينى على مزاجهم هم ، ووفقاً لتصوراتهم ومفاهيمهم هم ، وهو ذلك التراث الذى كان قد وصل إليهم شفاهة فى الشعر[5] .

---

(1) المرجع السابق ، ص 30 .

(2) المرجع نفسه ، ص 29 .

(3) الإلياذة ، الكتاب السادس ، سطرى 168 - 169 .

(4) راجع توضيح توينبى فى ذلك ص ص 32 - 37 .

(5) المرجع السابق ، ص 36 .

بمجرد أن إستقر العنصر اليونانى الجديد ، الذى وصل إلى اليونان ، من الشمال حوالى 1570 ق.م ، بدأ التفاعل الحضارى يأخذ مجراه ويؤتى ثماره . فالتداخل السكانى لهذا العنصر «الآخي» مع أهل البلاد الأصليين وانصهار الجميع فى بوتقة واحدة ، سرعان ما أخرج إلى الوجود حضارة جديدة شابة ولكن تحمل ملامحها تأثيرات كريتية قوية . وبالرغم من ذلك فإنه بمرور الوقت ، لاحظنا إكتمال شكل المرحلة الجديدة ، وبدأت تتبلور الصفات الخاصة بالعنصر اليونانى الذى عرفناه بعد ذلك ، باسم «الحضارة الميكينية[1]» ، وواصل المسيرة الحضارية فى أماكن عدة من اليونان ولقرون طويلة تلت .

بدأت قصة إكتشاف أطلال هذه الحضارة على يدى التاجر الألمانى هاينرش شليمان (Heinrich Schliemann) ، والذى كان قد حوّل الحلم إلى حقيقة واقعة بنجاحه فى العثور على مدينة طروادة الآسيوية عام 1870 فى أقصى شمال غرب آسيا الصغرى (تركيا الحالية) ، وتعرف الآن باسم «حصارليك» .

وفى عام 1876 ، إستطاع شليمان أن يعثر على المقابر الملكية الميكينية القديمة داخل أكروبول ميكينز[2] . حتى ذلك التاريخ لم يكن أحداً يصدق مايقال عن وجود حضارة بهذا الاسم أو حتى مايسميه الأدباء (نقلاً عن إلياذة هوميروس بالعصر البطولى) . كان الإعتقاد السائد أن ماجاء عند هوميروس – شاعر الخلود – هو من وحى خيال الشاعر ولا أساس له من الصحة الواقعية التاريخية .

ولقد صدق إحساس شليمان إلى أبعد درجة وأكثر مما كان يتخيل هو نفسه . لقد كانت عبارة هوميروس التى وصف بها «موكيناى» على أنها : «موكيناى الكثيرة الذهب» هو الحافز الأول الذى دفع شليمان لإختبار حظه هنا كذلك فى اليونان بعد كشفه العظيم عن طروادة . وجاءت الإكتشافات فى موكيناى (ميكينز) بثروات ذهبية عديدة ، مختلفة الأشكال والأحجام . وامتدت الحفائر إلى مواقع أخرى فى أنحاء متفرقة من اليونان ، ولاسيما شبه جزيرة البلوبونيز ، حيث تم الكشف عن ثلاثة قصور أخرى ، ميكينية كذلك ، فى بيلوس وفى أسبرطة وفى تيرنس وغيرها .

---

(1) جرت العادة بين أساتذتنا على كتابة اسم هذه الحضارة ، وفقًا لنطق هذه التسمية فى اللغة اليونانية القديمة ، بهذا الشكل : «موكيناى» و «موكينية» ، وليس فى ذلك ما يعيبه ، ولكن صياغتنا السابقة أيسر وأسهل على اللسان العربى ، ولها أساس فى النطق اليونانى الحديث لإسم هذه الحضارة ، فنقول : «ميكينى» و «ميكينية» .

(2) وهى التسمية الحديثة لنفس الموقع القديم موكيناى حيث تسمى بها قرية مجاورة صغيرة للموقع الأثرى القديم .

كـان هومـيـروس إذن ، هو المصـدر الأول .. الذى فـتح أعين الدارسين على حقيقة هذه الحضارة وأماكن تواجدها وذلك بالرغم من أن هوميروس جمع مادته فى ملحمتيه الخالدتين : «الإلياذة» و «الأوديسيا» ، عن ذلك العصر البطولى ، بعد حوالى أربعـة قـرون (400 سنة) من وقـوع أحداث تلك الفتـرة المجيدة من تاريخ اليونان القديم. وكـان لهـذا البـعـد التـاريخى ، أو الفـاصل الزمنى ، بين زمن وقـوع الحـدث وتسـجيله ، أثره الواضح فى الخلط والتـداخل المتـشابك للأحداث القـديمة وتلك التى كانت معاصرة لهوميروس . **ولكن هوميروس – على كل حال – قد أعطانا صورة عامة فريدة فى تفاصيلها ، التى علينا أن ننقيها من الشوائب لفترة مجيدة من تاريخ اليونان القديم ، والتى لولاه ، ماكنا نأمل فى العثور على أطلالها . وهذه كلمة حق ، وبموضوعية شديدة ، مثلما كان هوارد كارتر (Carter) على موعد معد القدر عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ، الخيالية فى ثرائها الأثرى ، عام 1922 ، وأرّخ بذلك لعهد جديد فى تاريخ الآثار المصرية .**

الفصل الثالث

دراسة فى المصادر الأدبية والأثرية
وحجم المشكلة التاريخية للبلوبونيز وأبعادها الحضارية

أولاً : الدليل الأدبى :

يخيل إلينا أنه من الأفضل للقارىء والدارس على السواء أن يسير فى طريق شليمان نفسه ، أى كما فعل ، ليتأكد كيف غدت الأسطورة حقيقة تاريخية ثابتة فى ضوء الإكتشافات الأثرية التى تمت ولاتزال تضيف - عاماً بعد عام - إلى معلوماتنا عن الحضارة الميكينية الشئ الكثير ولهذا نفضل أن نعرف ، أولاً ماذا جاء عند هوميروس حول شكل وخصائص القصر الآخى (الميكينى) ودوره آنذاك ، ثم نتبع ذلك ، بالدليل الأثرى الذى تم العثور عليه حتى يومنا هذا .

(1) شكل القصر الميكينى عند هوميروس (شكل/15) :

فى كتاب تفصيلى عن أركان القصر الهومرى المعمارية الرئيسية قدم لنا المهندس المعمارى نورمان إيشام (N. Isham) مادة شاملة بالرسوم التوضيحية عن الموقع وعن كل جزء من أجزاء ذلك القصر فى ضوء الحفائر التى تمت فى منطقة ميكينى[1] .

ويمكننا أن نوجز أهم الخصائص المعمارية للقصر الهومرى فى النقاط التالية :

* مرتفع جبلى صخرى ، يصل إرتفاعه - فى حالة القصر الميكينى - إلى حوالى 250 قدماً وهو جزء من كل ، أى من منطقة (الأكروبوليس)[2] كلها ، والتى تحوطها الأسوار والقلاع من كل جانب ونستطيع أن نميز أركاناً ثلاثة وفقاً لعملية بناء الموقع وأولويات تشيد أجزائه .

---

(1) تعتبر رسالة الدكتوراة التى تقدم بها جوزيف D. Joseph بعنوان :

Die Paläste des homerischen Epos.

فى برلين عام 1894 ، هى أقدم رسالة متخصصة فى هذا الموضوع ، ولكن العمل الذى تلاه، لايقل أهمية حيث أنه من مهندس معمارى ، وهو Isham :

The Homeric Palace, (The preston and rounds company)1898.

(2) الأكروبوليس ، هى كلمة يونانية مركبة من لفظين الأول هو : (Ákro) وتعنى : طرف/نهاية/قمة ، والثانى هو : (Pólis) ويعنى : مدينة ، ومن ثم فإنها كلها تعنى (قمة المدينة).

* الأجزاء الرئيسية للأكروبوليس :

(1) الدفاعات والحصون حول الموقع : وتتمثل فى سور ضخم حول القلعة كلها ، جاء ذكره عند هوميروس فسماه ، «هيركيون» (Herkion) أى السور الخارجى .

(2) سور ثانى كخط دفاع آخر من داخل القلعة ، وسماه هوميروس : «هيركيون أوليس» (aules) : أى سور الفناء الداخلى ، وليس بالضرورة أن يتقابل السور الخارجى الأساسى مع ذلك السور الداخلى عند أى نقطة . فكانت هناك مسافة كبيرة وفراغ كبير بين السورين .

ويذكر إيشام ، المهند س المعمارى ، أن حوائط القصر الهومرى كانت تبنى كما ذكر لنا شاعر الخلود حول مسكن يومايوس أحد أبطاله[1] من الأحجار الصلدة وذلك لتكسية المنحدر الجبلى ، وكوسيلة لحفظه من الانهيار والسقوط بفعل الأمطار والزلازل. ويؤكد إيشام أن أحجار طروادة الجيرية كانت أفضل ملمساً وتكويناً ، مما سهل عملية البناء بها ، وأعطى نتائج أفضل ، بينما كانت أحجار بقية القصور الميكينية ، مثل تيرنس ، وميكينى ، غليظة صلبة . وهذا يرجع – على حد قوله[2] – إلى طبيعة تكوين الحجر نفسه :

"This is due in a large measure to the character of the stone".

وجاء كذلك على لسان أوديسيوس (Odysseus) قبل أن يدخل قصره بعد طول غياب مخاطباً رفيق رحلته يومايوس (Eumaios) ، قائلاً :

«يا يومايوس ، إنه بالتأكيد منزل أوديسيوس ، ويمكن التعرف عليه بسهولة ، بالرغم من رؤيته وسط العديد (من المنازل) حيث يوجد مبنى فوق مبنى ، وقد شيد الفناء بحائط وأفاريز وكذلك بوابات محصنة تحصيناً جيداً ، فهى مزدوجة ولايستطيع أحد أن يدمرها بقوة السلاح»[3] .

هنا نقف لحظة ، ليمكننا إستقراء هذا النص ، الذى يوضح منزلة ومكانة منزل أوديسيوس وسط منازل الآخرين من أبناء بلدته ، وكيف أنه كان مميزاً عنها جميعاً فى شكله العام بحوائطه وأفاريزه وبواباته الحصينة . ويحق له هذا فقد كان أميراً لمنطقة سكناه . ثم أنه يستخدم لفظة يونانية تعنى «أى يمكن رؤيته» ، وبالتالى يفهمنا

(1) Isham, op. cit., p. 12.

(2) Ibid.

(3) Odysseia : 260-268 (Loeb) أو راجع طبعة Homer, Odyssey (L.C.L. 1975) Line 264 ff.

هذا الإستخدام : أن تلك المنازل تقع على منحدر جبلى ، مما يجعل رؤية منزل البطل أوديسيوس ، بشكله الفريد ، مميزاً وواضحاً حتى بالرغم من ظهور منازل أخرى كثيرة ، وتبدو إحداها خلف الأخرى . وهذا التصور للموقع يجعلنا نتوقع وجود قصر أوديسيوس فى أعلى قمة بينما تتناثر أسفله المنازل الأخرى المحيطة به .

إن ماجاء عند هوميروس من أركان المنزل وأجزاء عمارته ، لايتعدى كونه وصفاً للفناء الداخلى ، ولم يشمل أماكن أخرى ، سوى المداخل لهذه القصور ، حيث كان أبطاله يدخلون ويخرجون منها . وذلك كما جاء عند وصفه لخروج بن نستور حكيم الآخيين ، الشاب تيليماخوس من قصر مينيلاوس زوج هيلين الجميلة حيث قال:

«وسَاقها (أى عربة الخيول) خارج البوابة والدهليز الذى يُرجع صدى الصوت»[1] .

وخلاصة القول أن هوميروس قد ذكر لنا بعض مسميات الأماكن داخل قصور أبطاله وشخصيات ملحمتيه ، ولهذا سنحاول هنا أن نوجز المسميات ومدلولاتها[2] .

(1) البوابة الداخلية ، وسماها «بروثيرون» (Próthyron) .

(2) الفناء الداخلى ، وسماها هوميروس «أَوْلِى» (Aule) .

(3) الميجارون : القاعة الرئيسية الكبيرة وتتكون من ثلاثة أجزاء حملها هوميروس المسميات الثلاثة الآتية :

(أ) أيثوسادوماتوس والدهليز الموصل إلى حجرة (Aithousa Dómatos) .

(ب) برودوموس : أستخدمت كمرادف لكلمة أيثوسا (Pródomos) .

(ج) الميجارون (Mégaron) وهى الصالة الكبيرة ، المستطيلة الشكل ومرتفعة السقف عن مستوى بقية الحجرات .

هنا نعود إلى أفضل وصف لهذا الجزء الأساسى عند هوميروس وهو عندما تعرض لقصر ألكينوس ، حيث يجلس أهل القصر حول المدفأة التى تتوسط الميجارون وتحيطها أعمدة ترفع سقف المكان ، الذى تسقط من بعض فتحاته أشعة الضوء إلى المكان نهاراً .

---

(1) Isham, op. cit.,

(2) هنا حرصنا على نطق وكتابة هذه المسميات وفق قواعد نطق وقراءة اللغة اليونانية القديمة ، عكس ما اتبعناه فى بقية أجزاء الكتاب ، وذلك بسبب تاريخية المادة الأثرية وشهرة مصدرنا الأدبى هوميروس .

(4) حجرة النساء ، وسماها هوميروس «جونايكونيتيس» (Gynaïkonites) : وليس هناك فى الأوديسيا ماينفى وجود حجرة خاصة لنساء القصر خلف حجرة الرجال، المعروفة باسم ثالاموس (Thálamos) .

(5) حجرة الأسلحة «ثالاموس أپلون» (Thálamos Óplon) .

(6) المخزن الرئيسى «ثيساوروس» (Thesaurós) وكلاهما كان موجوداً خلف – أو بالقرب من – حجرة الرجال .

(7) المبنى الدائرى «ثولوس» (Thólos) وهى حجرة دائرية الشكل . ويمكننا القول – على أساس موقعها من القصر وقربها من حائط السور الداخلى ، والذى يوصله بها فرع خشبى – كما ثبت من حفائر الدكتور جوزيف [1] .

أما من ناحية وظيفة هذا المبنى ، فيقول إشام :

"Dr. Josehph's conjecture that it was the privy, is no doubt the true one" [2]. حيث يؤكد أنه كان حماماً (!!!)

(8) حديقة القصر «أُرْخاتوس» (Orchátos) تقع خلف كل المبانى السابقة ، وبها أشجار عالية لثمار التفاح والتين والزيتون والعنب .

(2) دراسة تحليلية للمادة الأدبية :

يذكر فرانك ستابنْجس [3] (Frank Stubbings) أن ماجاء به هيسيود فى «الأعمال والأيام» حول حرب أرجوس وطيبة (المعروفة فى الأدب الكلاسيكى باسم «سبعة ضد طيبة» للمسرحى العظيم أيسخولوس . وكانت حرباً بين أخوين هما إتيوكليس وبولينيكس يصعب تصديقه من وجهة النظر التاريخية وفى الغالب الأعم أنها كانت :

«حرب التراث المتعاقب ، الذى ينافس بعضه بعضًا» بالضبط كما عرفنا من قصص (دَنَاؤوس) الفينيقى (؟) ، وبِيرسيوس اليونانى (؟) .»

ولكى نعود إلى القصة وتفاصيلها من أولها حول حرب طيبة وصراع الأخوين المتنافسين على السلطة فيها ، نقول بأن «بولينيكيس فر هارباً إلى أرجوس ليستعين بها

---

(1) Joseph, op. cit.

(2) Isham, op. cit., p. 58.

(3) "The expansion of mycenaean civilization", The Cambridge Ancient History (C.A.H), vol. 1-11 revised edition 1964), chapter 22.

ضد أخيه إيتيوكليس ، فلحق به هناك ستة أصدقاء له ، وأعدوا العدة جميعهم وعادوا السبعة ومعهم جيش وهاجموا طيبة وحاصروها. لم تشارك ميكينز (Mykenes) أكبر مملكة فى ذاك الزمان فى تلك الحملة ، بالرغم من أنها دعيت إلى ذلك كما جاء فى الإلياذة ، لظروف لانعرفها . صمدت طيبة لهذا الحصار ، الذى أسفر عن نهاية درامية للأخوين المتصارعين فقتل كل منهما الآخر .

هنا يعلق ستابنجس على تلك النهاية المأساوية لمدينة من أعظم مدن اليونان القديمة ، وكما أثبتت الحفائر ، إذ أنها كانت مدينة لاتقل شأناً عن ميكينى نفسها ، ولكن أقل حجماً فى مساحة سلطانها وسيادتها فنراه يقول :

"The greatness of Thebes in the first heroic age left a wealth of legends which provided the themes of many a classical Greek tragedy; and it was indeed a fit subject for tragedy. Here was a city most remembered for its fall [1].

وإذا ما إستكملنا قصة «حرب الأخوين» بعد مقتلهما ، نجد أن الحصار إنتهى بفرار المعتدين المهاجمين ، وتم إنقاذ المدينة .

ولكن لايمر إلا وقت قليل ، حوالى عمر جيل من الأجيال ، إلا ونجد هجمات أخرى جديدة ، ربما من أحفاد الأخوين السابقين ، تأتى إلى طيبة ويدمرونها بالكامل. لقد كانت الحرب الأولى (حرب أبناء أوديب حول طيبة ، وهم الذين يمكن أن نسميهم« حرب الأجداد ، والحرب الثانية التى تلت ذلك وحققت هدفها باعتداء وحشى على المدينة (وهى حرب الأحفاد) مادة خصبة لموضوعات أدبية خالدة ، فقدت للأسف . ولكن كثيراً مانسمع بها تتكرر وتعاد عند هوميروس ، أقدم شعراء الإغريق الخالدين .

إن الموضوعية التاريخية فى مثل تلك الأدلة الأدبية المصحوبة ، ببعض الأدلة الأثرية من حفائر المقابر القبابية فى طيبة ، وما أسفرت عنه من عظمة وجاه ، وحياة القصور المترفة ، لتجعلنا لانشك – إلى درجة كبيرة – فى إمكانية حدوث ووقوع تلك القصة وماتعتمد عليه من حقائق واقعية ، ليست من وحى الخيال البحت[2] .

ويلفت النظر حقّاً إشارات الكتاب والمؤرخين اللاحقين لهذا الحدث المؤسف فى تاريخ اليونان القديمة ، حرب الأخوين فى مرحلتيها ، (سواء حرب الأجداد أو حرب

(1) Stubbings, F., op. cit., p. 5.
(2) Ibid, pp. 5-6.

الأحفاد) إذ نجد هيسيود - كما ذكرنا من قبل - يعتبرها أهم أحداث العصر البطولى وأعظمها تدميراً ووبالاً . وكذلك نجد پاوسانياس (الرحالة اليونانى المشهور فى القرن الثانى الميلادى) يعلق على هذا الحدث البعيد فى ماضى بلاده الغابر ، ويعتبره من أهم الصراعات الداخلية فى اليونان القديمة خلال العصر البطولى كله .

وإذا ما حاولنا فى ضوء الدليل الأثرى المتاح لدينا الآن أن نؤرخ لتلك الحرب الأهلية فى اليونان القديمة - إن جاز لنا هذا التعبير الحديث - فإنها لايمكن أن تكون بعد الفترة الهيللادية الثانية (أى بالتعبير العالمى ورموزه "L.H.II") وتؤرخ بحوالى 1400 - 1350 (النصف الأول من القرن 14 ق.م) فى مرحلتها الأولى . أما التدمير النهائى[1] لمدينة طيبة فواضح تماماً من وجود آثار لحريق شديد ، ترك بصماته على كل الحوائط والأخشاب التى تم العثور عليها فى آثار طيبة من مقابر قبابية ميكينية الطراز فضلاً عن وجود طبقة سميكة من الرماد المحروق فى أجزاء كثيرة من الموقع المكتشف .

لقد تم الكشف - فى موقع طيبة القديمة - عن آنية فخارية كثيرة ، ولكنها للأسف غير مزخرفة فى معظمها ، مما يصعب معه عملية تأريخها بدقة كبيرة[2] .

ويؤكد ستابنجس (Stubbings) أنه بالرجوع إلى ملاحظات فوروmark (Furumark, A.) المتخصص الأول فى علم الفخار الميكينى - عند نشره لبعض آنية العصر الملكى فى طيبة ، يمكننا تأريخ حريق القصر بالقرن 14 ق.م [3] .

وتجدر الإشارة إلى أن قصر طيبة وقلعتها ظلتا مكاناً مهجوراً منذ ذاك التاريخ وحتى زيارة پاوسانياس - الرحالة اليونانى المشهور فى القرن الثانى الميلادى - كما ذكرنا آنفاً .

وربما يعود دمار طيبة هذا إلى أبعد من ذلك ، أى إلى أبعد من أيام پاوسانياس . بل بعدة قرون ظلت قبله ، بدليل أن هوميروس نفسه (القرن التاسع ق.م) [4] - وهو

(1) راجع أحدث دراسة حول هذا الموضوع عند مارتن برنال : أثينا السوداء (ترجمة نخبة من الأساتذة المتخصصين) ، تحرير وتصدير د./ محمود السعدنى ، المجلس الأعلي للثقافة ، الجزء الثانى ، القاهرة 2004 م .

(2) Furumark, A., The Mycenaean Pottery, Stockholm, 1941.

(3) Op. cit., p. 6.

(4) هذا وإن كان العلامة كيرك ، فى دراسته الدقيقة :
"The Homeric Poems as History," C.A.H., Rev. ed. vol. II, Cambridge Univ. Press 1964, Chap. xxxix (b), p. 4.
يؤرخ لتكوين قصائد هوميروس فى إيونيا بالقرن الثامن ق.م. على الأرجح .

أقرب من سجّل أحداث الماضى المجيد لتلك الفترة الخالدة من تاريخ اليونان القديم – لايذكر طيبة فى قائمة البلدان التى ساهمت فى الحملة اليونانية على طروادة . كما سنجد استرابون[1] فى النصف الأخير من القرن الأول ق.م – يذكر لنا شيئاً هاماً عن المنطقة كلها ، وهو أن كادميا بما فيها القصر والقلعة الميكينية فيها لم تبن أو تشيد من جديد ولم تقم لها قائمة بعد تدميرها النهائى . وأخيراً فإن پاوسانياس[2] يسجل لنا أن سوق طيبة كانت عند رؤيته لها أشبه بالجب المخيف .

ولقد كان المستفيد الأول من جراء تدمير القصر الملكى فى طيبة وحريق كادميا كلها ، هو شعب مدينة أثينا أو يتضح ذلك فى ثراء الكشوف الأثرية فى إقليم أتيكى والتى تؤرخ بالفترة التالية مباشرة على كارثة طيبة ، وهى الفترة المعروفة فى علم الآثار باسم : (المرحلة الهيللادية الثالثة المتأخرة) ويرمز لها بالإنجليزية (L.H.III) [3] .

إن ماتم الكشف عنه فى المقابر الآثينية الضخمة الغنية بآثارها المتنوعة ، داخل أبنية ميكينية الطراز ، ليؤكد لنا القول الشائع عندنا ، وهو أن «مصائب قوم عند قوم فوائد» .

ويعزو بعض الدارسين هذا الثراء والنمو الاقتصادى الآثينى الواضح – إستناداً إلى معرفتهم بالأساطير اليونانية التى تعكس بعض الواقع التاريخى آنذاك – ويفسرون ذلك بأنه كان نتيجة طبيعية لتوحيد سكان إقليم أتيكى تحت زعامة سياسية واحدة وناضجة ، بقيادة البطل الأسطورى (؟) ثيسيوس (Théseus) ولكن هناك – وهذا طبيعى أيضاً – إعتراضات وجيهة من بعض العلماء المحدثين حول قبول نظرية الوحدة السياسية هذه ، والتى تنعكس فى إقامة وحدات سكانية ترتبط بالعاصمة والمركز الأم للعمران والإدارة ، وهو مايعرف باسم «سينيكزموس (Synoikismós) .

إن أقل مايمكن أن يقال حول هذا التفسير الأسطورى لواقع مادى ملموس وثابت أثرياً ، هو أنه لايعدو كونه تراثاً قديماً ، غير معروف المصادر الأولى له ، حتى وإن جاء إلينا عبر مؤرخين قدامى لاحقين للأحداث ، أمثال ثوكيذيذيس[4]

---

(1) Strabo, 412.

(2) Pausanias, IX : 12,3.

(3) حول دراسة الأسطورة اليونانية عن آل كادموس – الفينيقيين الأصل – وعمليات الكشف الأثرى فى منطقة سكناهم القديمة «كادميا» . راجع : Stubbings, F. op. cit., pp. 4-7.

(4) Thuc. II. 6.

وبلوتارخـوس[1] - لأن رواياتهم لاتزال تفتقد عنصر معاصرة الأحداث التى كتبوا عنها - هذا من ناحية - كما أن الآثار لم تمدنا بشئ يدعم وجهة نظرهم إلى يومنا هذا، من ناحية أخرى ، ولهذا وجب علينا أن نأخذ رواياتهم بشئ من الحذر والتحفظ ، ولانسلم بها تسليماً مطلقاً .

وخلاصة القول أن الإلياذة والأوديسيا وبقية مصادرنا الأدبية اللاحقة قد قدمت لنا - على إختلاف مقدار الثقة فى تفاصيل أخبارها - مادة تراثية غنية شغلت ، ولاتزال تشغل ، علماء التخصص فى الآثار والتاريخ القديم . أما إذا وجهنا نظرنا إلى تفاصيل الإلياذة والأوديسيا - تحديداً - فإنهما ، باعتبارهما تراث يونانى متراكم عبر قرون خمسة [2] (منذ إنهيار الحضارة الميكينية وحتى تأليف وإنشاد تلك القصائد فى إيونيا) فقد قدمتا لنا تفاصيل ثرية حول وقائع ، وأشياء ، وعادات وتقاليد ، بل وكذلك معتقدات وتقنيات تعود إلى تلك الفترة البعيدة من مشوار الحضارة اليونانية السابقة على العصر الكلاسيكى .

ثانياً : الدليل الأثرى : (أنظر شكل / 16)

*** القلاع والقصور :**

إنه فى ضوء الدليل الأثرى المتوافر لدينا الآن ، نستطيع أن نقول أن أفضل نماذج لتلك القلاع والقصور الميكينية القديمة قد كشفت عنها معاول الحفائر فى المناطق التالية :

(1) ميكينى (*) : Mycenae) .

(2) تيرنس : (Tiryns) .

(3) پيلوس : (Pylos) .

ولكنه من المؤكد أن هناك أماكن أخرى منتشرة فى شبه جزيرة البلوبونيز ، حيث تقوم هيئة الآثار اليونانية [3] ببعثاتها المتعددة ، إما مستقلة أو بالإشتراك مع

---

(1) Plut., "Life of Theseus, 24.

(2) Kirk, op. cit., p. 4.

(*) أو «موكيناى» - كما تعودنا على ذكرها فى مراجع أساتذتنا الكبار فى التخصص ، مثل : أ.د./عبداللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، وأ.د./لطفى عبدالوهاب : تاريخ اليونان ، وأ.د./سيد الناصرى : الإغريق (تاريخهم وحضارتهم) . وهذا الهجاء وفق النطق اليونانى القديم.

(3) وهى هيئة قائمة بذاتها - مثل هيئة الآثار المصرية - وتُعتبر جهة حكومية ولكنها تقبل مساعدات المواطنين المادية : واختصارها هو (.EAAE) (Ellen. Archae. en Athen. Etaireia)

بعثات التنقيب الأجنبية ، التى تمثلها – فى المقام الأول – معاهد الآثار الأوروبية المنتشرة فى اليونان ، مثل المعهد الإنجليزى[1] للآثار والمعهد الألمانى [2] والمعهد الفرنسى[3] ، والمركز الأمريكى للدراسات الكلاسيكية والأثرية[4] . وينشر كل معهد من هذه المعاهد دورية خاصة به ، يفرد فيها صفحات الأعمال ونتائج الحفر السنوية وكذلك الأبحاث المتخصصة فى الدراسات الأثرية والتاريخية للحضارة اليونانية القديمة[5] .

وتجدر الإشارة ، بوجه عام ، إلى أنه من المتوقع أن تكون هناك قصور ميكينية فى إيولكوس ، شمال شرق اليونان . وكان قد تحدد موضعه ولكن لم يتم الكشف عنه كاملاً إلى يومنا هذا ، كما يوجد قصر ميكينى فوق قمة الأكروبوليس فى أثينا[6] ، وكذلك يجب أن يكون هناك قصر ميكينى فى أسبرطة .

وللتدليل على خصوصية تلك القصور الميكينية ، فضلنا أن نقوم بدراسة أشهرها دراسة تفصيلية ، وهو قصر ميكينى .

---

(1) The British School of Archaeology (B.S.A).

(2) Deutsches Archeologisches Institut, Athen (D.A.I.A).

(3) 'Ecóle francaise d'archéologie Athénes. (A.F.A.A).

(4) American School of Classical Studies (A.S.A).

(5) تقوم بعثات المعهد الإنجليزى للآثار بعمل حفائر سنوية فى شرق البلوبونيز بوجه خاص وكذلك فى محافظة ميسنى وتنشر أبحاثها فى دورية تحمل إسم هذا المعهد ويرمز لها بـ "B.S.A" .

وكذلك ينشر المعهد الألمانى للآثار أعماله وحفائره فى دورية تحمل إختصاراً : Athenische Mitteilung أى (A.M) وتقوم بعثته بعمل حفائر فى أماكن شتى من اليونان : فهناك بعثة فى جزيرة ساموس وعلى وجه التحديد فى منطقة «ڤاثى» حيث أضخم وأكبر معابد اليونان القديمة وأقدمها بناء بالحجر ، معبد الربة هيرا ، والمعروف باسم «هيرايون» (Heraion) وهذا فضلاً عن حفائر المعهد فى كل من تيرنس وأوليمبيا . وجدير بالذكر أننى كنت ممن نال شرف مشاركة فريق العمل فى صيف 1980 مع البروفسور د. كيليان (Dr. Kilian) فى منطقة تيرنس القديمة .

أما المعهد الفرنسى للآثار فيقوم هو الآن بعمل حفائر فى مناطق شتى من اليونان ، حيث نجد بعثاته فى إقليم فوكيس وبالذات منطقة دلفى وفى جزيرة ديلوس وينشر أعماله فى دورية تحمل الاختصارات B.C. (H) A. أى :

Bulletin de Correspondance Hellenique, Athenes.

وكذلك المركز الأمريكى يقوم بحفائر فى سوق أثينا القديمة وإقليم كورنثوس وينشر أعماله فى دورية بعنوان : American Journal of Archaeology (A.J.A.) .

(6) عن الأكروبول الميكينى فى كل أنحاء اليونان راجع : Khourmouziades, G. Ai Mykenaikai Akropoleis, Athenai 1971 .

وعن بقية الآثار الميكينية فى إقليم أتيكا على وجه الخصوص راجع :

Stubbings F.H., "The Mycenaen Pottery of Attica", BSA, 42 (1947), pp. 1-75.

*** قصر ميكينى [1]:**

إنه لمن سوء الحظ أن يكون قصر ميكينز (ميكينى) هو أقل القصور الميكينية حفاظاً على شكله العام . وإن كان الأكروبوليس الذى بنى عليه قد حفظ لنا أشياء أخرى ذات قيمة معمارية كبيرة مثل البوابة (بوابة الأسود) والمقابر المعروفة باسم (Shaft Graves) خلافًا للنوع الآخر الميكينى التقليدى المعروف باسم "Vaulted Tombs" .

إنك عند زيارتك للموقع الآن ، لن تجد سوى أحجاراً ملقاة فى كل إتجاه وسور عالى نسبيًا وماتبقى منه وقواعد أعمدة رخامية معدودة فوق أعلى التل حيث الحجرات الرئيسية للقصر الملكى ولاسيما الميجارون ، قاعة الإستقبالات الرسمية .

والجدير بالذكر هنا ، أنه خلافًا لما عرفناه عن القصور المينوية فى كريت ، نجد هنا فى ميكينز ، قصرها (وكذلك قصر بيلوس وتيرنس) قائمًا على تل مرتفع – هضبة كما قلنا من قبل – وداخل موقع حصين جداً ، هو فى نهاية الأمر قلعة محاطة بأسوار عالية وأبراج حراسة دائمة . ولاتزال «بوابة الأسود» (P´yle Leónton) خير دليل على متانة ومناعة مدخل تلك القلعة . هنا تجب الإشارة إلى أن كل جزء من تلك البوابة (سواء فى الجانبين أو فى عتب السقف لمدخل تلك البوابة) منحوت من كتلة حجرية واحدة ، تصل أبعادهما إلى حوالى 2.5 متراً فى العرض ، وحوالى 2 متر فى الإرتفاع . ويلفت نظر الزائر آثار دخول وخروج العجلات الحربية واضحة على أرضية المدخل ، الحجرية أيضاً (شكل /16) .

وعلى يمين الداخل من بوابة الأسود ، وعلى عدة أمتار قلائل يلاحظ وجود بناء دائرى الشكل تحيطه ألواح صخرية قائمة يصل إرتفاع الواحدة منها إلى حوالى المترين . وهذا هو مكان المقابر الملكية الأولى داخل القلعة وتعرف باسم (Grave Circle A.) وتؤرخ بالفترة الهيللادية المتأخرة رقم (L.H.I) أى حوالى مابين 1600 و 1500 ق.م وهى عبارة عن مقابر مستطيلة الشكل محفورة فى أعماق الأرض ، ومبطنة ببعض الأحجار الصغيرة من المنطقة ذاتها . ويصل عددها الإجمالى إلى ست مقابر بسيطة .

وخلف تلك المجموعة من المقابر – فى الجهة الغربية نفسها من الموقع – حيث مجموعة الحجرات والمنازل المعروفة باسم (Citadel house area) وأهم إكتشافاتها تم

(1) يستخدم اليونانيون اليوم صياغة حديثة لنفس الإسم فأصبحت كلمة «ميكينز» هى الأكثر شيوعًا (Mykenes) ، كما سبق أن ذكرنا مراراً .

على يد الأثرى اليوناني يورغوس ميلوناس[1] . وهى عبارة عن مجموعة من التماثيل الجيرية الملونة النصفية – للرأس والأكتاف – وهى تمثل فى الغالب الإلهة المعبودة فى تلك المنطقة ، وربما كانت تمثل «الإلهة الأم»[2] . وكان الأثرى خريستوس تسونداس قد قام منذ عام 1880 بعمل حفائر فى المنطقة ذاتها للكشف عن حجرات ، سميت باسمه فيما بعد موته . وتم الكشف عن قطع من الفريسكو (Fresco) – اللوحات الجدارية الجيرية – وتماثيل لقرابين من الفخار وكذلك قطع نادرة من العاج على هيئة جناح ومكونات خوذة تشريفات عسكرية .

ولايفوتنا هنا أن نذكر أن من أهم ما إكتشفته معاول الأثريين فى ميكينز ، هو ذلك الكم الكبير من أنواع المقابر فى عمارتها وتقع معظمها خارج سور قلعة ميكينز وتتبعثر فى الأراضى المحيطة بالقلعة ، ولاسيما إلى الجهة الغربية منها ، وتمتد فى منطقة سهلية واسعة تبدأ من الشمال الغربى للأكروبوليس وتجد آخرها (كاتوبيغاذى) : إلى أقصى الجنوب الغربى منه .

وأنواع المقابر الميكينية كما نجدها فى ميكينز كالتالى :

(1) حفر بسيطة : (Pit Graves) .

(2) حفر مستطيلة : (Cit tombs) .

(3) حفر عميقة مبنية : (Shaft Graves) .

(4) مقابر الحجرات : (Chamber tombs) .

(5) المقابر القبابية : (Tholos tombs) .

لكن أهم مجموعة مقابر فى المنطقة هى تلك التى تكوّن المجموعة الثانية خارج سور القلعة مباشرة ، وتعرف باسم (Grave Circle B) وتحتوى على تسع مقابر قبابية أفضلها جميعاً – من حيث الحالة التى مازالت عليها – هى مقبرة أتريوس (Atreus Tomb) .

وتعرف المقابر القبابية بأنها عبارة عن بناء منظم لحجرات تحت تراب كثيف، دائرى القاعدة (الأرضية) وحيث يكون قطر هذه الأرضية معادلاً لارتفاعها عن الأرض ، فيظل السقف يضيق إلى أن ينغلق فيأخذ مايشبه شكل الجرس .

---

(1) ظل مديراً لهيئة الآثار اليونانية حوالى ٤ سنوات (1980 - 1984 م) .

(2) Wace, H. (and others), op. cit., pp. 33-34.

ومن بين الأشياء التى تم العثور عليها فى الموقع :

(أ) آنية فخارية تقليدية وأخرى فيانس (Faience) ، (أنظر شكل / 19)

(ب) أوستراكا مزخرفة ومرسوماً عليها (Ostraca) .

(جـ) قطع تشكيلية عاجية نادرة الصنعة ، سواء لرؤوس تماثيل أو موضوعات حيوانية: أبو الهول أو أسد . وكذلك مشغولات ذهبية ، مثل الكاسات الملكية


(د) الأقنعة الذهبية الثلاثة التى كان شليمان هو أول مكتشف لها وظن خطأً أن أحدها يخص البطل الأسطورى أجاممنون (Agamémnon) . فموقع الكشف كان مقابر المجموعة الأولى داخل السور ، والتى تؤرخ بالقرن 16 ق.م ، بينما لانعرف أجاممنون إلا فى أواخر القرن 13 ق.م مع أحداث الإلياذة والحرب الطروادية (أنظر شكل/ 20) .

(هـ) مسرحى هيللينستى ، صفه الأول فقط من الحجر ، فوق مقبرة كليتمنسترا (زوجة أجاممنون) والتى يبدو أنها لم تكن معروفة المكان آنذاك .

(و) معبد من القرن 6 ق.م ، وحتى العصر الهيللينستى ، على أنقاض مكان للعبادة ، من الطوب الآجر والأحجار البسيطة ذات بناء طويل ضيق ، يرجع إلى العصر الميكينى وربما كان مخصصاً للربة أثينا[1] .

---

(1) تقول هيلين واس H. Wace (op. cit., p. 41) : «أنه كان مجرد إحتمال فى غياب دليل قاطع» : "though definite evidence is lacking, ...".



الباب الثالث

نهايـــــــة وبدايـــــــة

بين نهاية مؤسفة لمجد غابر
وبداية نشطة لحضارة جديدة

الفصل الأول

الغـــــزو الـــدورى

الفصل الثانى

معالم الفكر اليونانى القديم

الباب الثالث

نهـــايةوبـــداية

الفصـلالأول

• تقديـــــم :

إنه لمن المعروف الآن [وبعد عام 1956م بالتحديد ، عقب إكتشاف فك رموز الكتابة الخطية الثانية (Linear B) بفضل محاولات كل من جون شادويك (J. Chad-wick) – الدؤوبة ، ومايكل فنتريس (M. Ventris) ، أن أصول وبدايات التاريخ اليونانى الأولى ، على الأرض اليونانية ذاتها (Hellás) كانت فى العصر الميكينى ، كتراث كامل المعالم : لغةً وديانة . ولكنه مع دمار القصور الميكينية وإسدال الستار على عصر الأبطال – كما وصفهم هوميروس فى ملحمتيه الخالدتين – دخلت اليونان كلها ، منذ أواخر القرن الثانى عشر ق.م. – تقريباً – مرحلة جديدة تماماً ، من تاريخها القديم ، إتفق المؤرخون على تسميتها بالعصور المظلمة (Skotinoí Aiónes) ، وذلك نظراً لقلة المصادر الأثرية التاريخية ، من أى نوع ، بل ربما انعدامها ، حول طبيعة وشكل المجتمع اليونانى القديم لمدة تزيد على ثلاثة قرون من الزمان ... ثم تظهر – على إستحياء – بوادر نشاط محدود لجماعات ناهضة ، فى مواقع محدودة ، من أقاليم اليونان القديمة ، تمثلت فيما سماه الأثريون «العصر الجيومترى» (Geometriké Epoché) . وهى التى أسلمت اليونان ، بفضل مزيد من النشاط بينهم ، وإتساع جو الإستقرار وظهور روح متطلعة لدى بعض الجماعات الثرية ، إلى تقليد حضارات الشرق القديم ، فكان الإتصال بهم والنقل عنهم فى أمور كثيرة [سنتناولها بالشرح فيما بعد] ، وصبغ كل ذلك بطابعهم المحلى اليونانى الخالص ، حتى عرفت تلك الفترة باسم : عصر الاستشراق (Anatolízousa Epoché) ، أى محاكاة الشرق . ولم تلبث العقلية اليونانية ، بفضل الإحتكاك المباشر والمتواصل مع الشرق القديم (وبخاصة مصر وسوريا) أن تحدد لنفسها مساراً حياتياً معلوماً وأسلوباً إدارياً واضحاً ، فى ظل نظم سياسية تراوحت كثيراً بين التسلط الفردى والقهر الطبقى للأرستقراطية النبيلة وهيمنة المجالس المنتخبة .

ومايهمنا ، هنا ، هو تحديد صورة المجتمع اليونانى ، فى تلك المرحلة التاريخية الحيوية ، التى سبقت الإزدهار الحضارى الكبير فى العصر الكلاسيكى (القرنين 5 ، 4

ق.م) ، ذلك لأنها [بالرغم من طول فترتها التى قاربت على الخمسة قرون من الزمان ، من حوالى 1000/900 وحتى 500 ق.م . تقريباً] هى مرحلة الإعداد الحقيقى وترتيب البيت من الداخل إستعداداً للإنطلاقة الكبرى التى أذهلت العالم القديم والحديث على السواء ، فى كل الميادين . ولاسيما أننا لانملك مصادر كثيرة حول القرون الأولى من تاريخ تلك الفترة ، بل تكاد تنعدم المصادر المعاصرة من أى نوع ، إلا من بعض الإكتشافات الأثرية ، التى سنحاول ، جاهدين ، أن نستقرأها ونشير إلى دلالاتها التاريخية والحضارية كلما أمكننا ذلك .

كما يهمنا ، كشرقيين ، أن نضع أيدينا على مظاهر تأثير حضاراتنا القديمة الشرقية (المصرية والسورية والعراقية) على الحضارة اليونانية فى تلك المرحلة التحضيرية من تاريخها . وبالتالى يمكننا تحديد حجم التواجد الأجنبى داخل التراث اليونانى القديم فيما قبل العصر الكلاسيكى .

أولاً : الغزو الدوري ومقدماته :

لقد مرت قرون عديدة قبل أن يتمكن هيرودوت من أن يقول متفاخراً (فى منتصف القرن الخامس ق.م) بأن اليونانيين جميعهم – عندئذ فقط – كانوا قد بدأوا يشعرون ، بحق ، أنهم أصحاب تراث واحد : **«لكوننا من أصل واحد ، (ونتكلم) لغة واحدة ، كما أن معابد آلهتنا وطقوسنا مشتركة ، وتقاليدنا متشابهة»** [1]. وإذا كان هنا يعكس حال اليونانيين آنذاك ، بدرجة ما ، فإن الشئ نفسه لاينسحب على ماضيهم البعيد بالضرورة . فكيف كان حال هيلاس القديمة أواخر القرن (13) ومطلع القرن 12 ق.م ؟! . وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن نعود بذاكرتنا التاريخية إلى الوراء قليلاً .

إنه إذا كان من الثابت ، أثرياً ، أن دمار القصور الميكينية كان قد تم نتيجة لحرائق شبت فيها ، أشعلها غازى بربرى ، أقل حضارة وأكثر قسوة وتخلفاً [كما نلاحظ ذلك على جدران قصر طيبة (Thebai) وموكيناى (Mykenai) وحتى تيرنس (Tiryns) كذلك] ، **فإن الحقيقة التاريخية المؤسفة هى أن الحضارة الميكينية، التى أقامت بنيانها وجبروتها على أساس القوة العسكرية والإغارة والإعتداء، تكون ، بذلك ، قد تلاشت وإنهارت بسلاحها نفسه ، أى أنها قامت على القوة ، وزالت من الوجود بالقوة أيضاً ، وهنا تصدق كلمات بيرن (Burn) حينما يقول:**

---

(1) Herodotus, VIII, 144.

"The decline and fall of Mycenaean civilization, is not in doubt, it was war [1].

بمعنى : «إن إنهيار وسقوط الحضارة الميكينية ليس مشكوكًا فيه ، فلقد كانت حربًا» ، أى بسبب الإعتداء المسلح عليها .

وجدير بالملاحظة أن التدهور العام لمراكز الحضارة الميكينية كان قد بدأ منذ حوالى مطلع القرن الثالث عشر ق.م . وهذا ماتؤكده رداءة صناعة الفخار الميكينى ، زخرفةً وصناعةً ، والتى تم الكشف عنها ، مثلما عرفنا فى تيرنس[2]، بكميات كبيرة ويمكن تأريخها فى النصف الأول لذلك القرن . حتى أن المدن الميكينية كانت تعيش عالةً على عواصم أقاليمها فى تلك الفترة المتأخرة من تاريخ حضارتها ، ولم يكن لقب «ناهب المدن» ، الذى كان ضمن ألقاب بعض أبطال هوميروس فى الإلياذة ، يجر العار على صاحبه ، بل على العكس كان له مصدر فخار وتكريم ، إذ كانت الإغارة والنهب هما أفضل الأساليب وأسرعها لتكوين الثروات ، حتى أن أخيليوس نفسه يقول صراحةً : **«إن الماشية يمكن الحصول عليها على إثر غارة ، بينما الحياة تُمنح مرةً واحدةً فقط»** [3] .

وفى حوالى عام 1230 ق.م . ، تبدأ إغارات الميكينيين على جيرانهم الشرقيين فها هو «رجل أهيًا» [4] يقوم بحملة على كاريا بصحبة بعض المشاة وحوالى مائة عربة عسكرية ، مطاردًا أمير المنطقة الذى يلجأ إلى ملك الحيثيين . كما تسجل الآثار موجةً ثانيةً لمهاجرين ميكينيين ينزلون قبرص وسهل تارسوس بالقوة .

ويذهب المؤرخ أندرو روبرت بيرن (Burn) إلى أبعد من ذلك بكثير ، حتى أنه يقرر [بالإضافة إلى القلاقل التى صاحبت الهجرات الميكينية تجاه مراكز الحضارة الشرقية الأكثر ثراءً ، طمعًا فى رخائها] بأن أسطورة پيلوپس ، والد الملك أتريوس ، جاءت إلى الپلوپونيز من آسيا الصغرى [5] .

كما أنه فى حوالى عام 1210 ق.م يظهر إسم (K-W-Sh) ، فى النصوص المصرية ، من عصر رمسيس الثانى وابنه مرينبتاح ، ويمكن قراءته كالتالى

(1) The Pelican History of Greece, England 1965, p. 48.

(2) Kilian, K., Athenische Mitteilungen 1980-82.

كان لى شرف المشاركة فى هذه الحفائر لموسم كامل (3شهور) فى صيف عام 1980 .

(3) Burn, op. cit., p. 50.

(4) (Ahhia) أو (Ahiyawa) كما جاءت فى النصوص الحيثية .

(5) Burn, op. cit., p. 51.

«أكـايواشـا» (Akaiwasha) ومعهم أسماء لعناصر أخرى ، لم يتم التأكد من هويتهم جميعاً حتى يومنا هذا . ولكن من الواضح تواجد العنصر الليبى الذى تحالف مع أولئك القراصنة ، أو رجال البحر – كما شاعت تسميتهم فى المراجع الأجنبية [1] – وهاجموا جميعهم ، وقد وحددهم جوعهم وحقدهم على ثراء مصر ، الساحل المصرى . وكان مصيرهم الغرق على أيدى جنود رمسيس الثانى وابنه مرينبتاح الذى تصدى لهم برجولة . ومن الطريف أن تذكر المصادر المصرية عددهم ، بطريقة فريدة [2] ، فأحصت حوالى 6.500 ليبيًا ، و 2.500 قرصانًا بحرياً . لقد كان هؤلاء الغزاة الجوعى، كما وصفهم الفرعون مرينبتاح فى لوحة إنتصاره ، «**رجال يحاربون بغية ملء بطونهم يوميًا**» [3] . وكانت المفاجأة فيما تم التعرف عليه ، نتيجة لتلك الإحصائيات للغزاة القتلى ، وتتمثل فى أن أولئك الأكايواشا (؟!) كانوا رجالاً قد تم لهم الختان (؟!) وبالتالى تصبح مفاجأة طريفة لو ثبت أن أولئك القوم كانوا هم أنفسهم هم الآخيون ، أبطال هوميروس كما أسماهم بذلك الإسم فى إلياذته ؟!! .

ويبدو أنه لم يكن مستبعداً أن تشارك قوات الآخيين ، اليونانية ، فى مثل تلك الإغارات ، ولاسيما :

(أ) أن هدفها ينسجم مع أسلوب حياة ومبادئ المجتمع الآخى الميكينى (كما شرحنا ذلك من قبل) ولاسيما قبل بداية النهاية لحضارته ، ولجوءهم إلى الإغارة دائماً .

(ب) أن توقيتها جاء متوافقاً مع سوء الأوضاع الإقتصادية والمعيشية التى كانت تسوء بمرور الوقت فى الممالك الميكينية جميعاً .

وربما كان هذان الاعتباران السابقان فى ذهن العالم بيرن حينما قرر بوضوح ودون أدنى شك تلك المشاركة الآخية فى إغارات شعوب البحر على السواحل الشرقية لحوض البحر المتوسط ، فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ق.م (حوالى 1250 - 1200 ق.م) ، فقال :

"It is certainly not impossible that Achaians took part in such a raid.[4]

---

(1) راجع أجرأ دراسة تمت للنصوص المصرية ، أى من وجهة نظر المصادر الفرعونية القديمة ، لصاحبتها ، وإن كان بها تجاوزات تاريخية من وجهة نظر علمائنا المصريين ، وهى :
Nibbi, A., Re-examination of the Sea-peoples, London 1979.

(2) وذلك بقطع أحد أعضائهم الممكن فصلها بسرعة وسهولة (؟!) .

(3) Burn, op. cit., p. 51.

(4) Burn, op. cit., p. 51.

كما أضاف دليلاً آخر ، وإن كان أدبياً [1] ، لاحقاً على تلك الأحداث التى نحن بصددها ، وهو ماجاء عند هوميروس فى كتابه الرابع من الأوديسيا (Odysseia)[2]– حول قيام أوديسيوس نفسه ، وبعض رفاقه ، بإغارة صغيرة ، قوتها تسعة سفن ، فقط ، على سواحل الدلتا المصرية ، حيث تم أسره وحبسه لبعض الوقت [3] .

وإذا كانت الأرشيفات الحيثية قد توقفت عند حوالى عام 1200 ق.م ، فــإن السـجلات المصـرية تملأ الفـراغ التـاريخى فـيمـا تلا من أحـداث ، وتعطينا بعض المعلومـات الهامـة حول وقـائع خطيـرة كانت قـد وقعت فـى الحـوض الشـرقى للبـحر المتوسط ، ولاسيما الساحل الشمالى منه ، وتأثرت بها السواحل الجنوبية تأثراً سلبياً . فقد أفضت حـركات هجـرة ضـخمة ، (وقلاقل كثيرة فى جزر البحر الإيجى وسواحل آسيا الصـغرى الغربية والجنوبية الشرقية ، دونما معرفة يقينية بأسباب تلك الهجرات والهرج والمرج الذى ساد المنطقـة) إلى تدافع سكانـها صوب الشـرق باستمـرار وألجأ بعضـهم إلى الإغـارة – كـمـا فعلوا فـى السابق – على مـراكز التـحضر والعـمران فى المنطقة .

وهاهى نصوص معبد رمسيس الثالث على حوائط معبده فى مدينة هابو ، تسجل لنا ، صورة الهجوم الذى وقع على مصر بسبب تلك الهجرات الإجبارية فراراً من سوء الحال فى أوطانها وطمعاً فى خيرات الشرق واستقراره . ففى حوالى عام 1190 ق.م تحملت مـصر تبعات كـبار تجاه صد تلك الهجمات ، التـى نراها نحن إحـدى نتـائج الغـزو الدورى (Dorieis) لبلاد اليونان ذاتها ومنطقة البلقان بصورة عامة، والذى كان قد وقع بالفعل فى تلك الفترة تقريباً ، حوالى عام 1200 ق.م [4]، أو على الأقـل كـمقـدمـات لذلك الغزو الكاسح لليونان ، كما سنعـرف تفاصيل ذلك فيما بعد .

تقول بعض هذه النصوص المصرية ، واصفة آثار تلك الهجمات والهجرات إلى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، مايلى :

---

(1) كان أوديسـيوس نفسه ماكراً جداً (Pol´ytropos) – كمـا وصـفه هومـيروس – وكـذلك تحـوم الشكوك حول مصـداقية وقوع مثل تلك الحادثة فعلاً ، فقد كان أوديسـيوس بارعًا فى اختلاق الروايات والقصص ، مثله فى ذلك مثل المنشد ذاته ، أى هوميروس .

راجع : Odysseia, 11.368 .

(2) Odysseia, IV.

(3) Burn, op. cit., p. 51.

(4) Finely, M.I., The Ancient Greeks, England 1963, p. 15.

«كانت الجزر مضطربة ، وعمت الفوضى فيما بينها ، واختلط سكانها مع بعضهم ، وانطلقوا خارجها . لم تصمد أمامهم بلد ، بدءاً من خاتى (Khatti) ، وكيليكيا (Cilicia) ، وكرقميش (Carchemish) وأرفاد (Arva) وألاسيا (Alasya) [1] . لقد دمروها ، واجتمعوا فى معسكر واحد ، فى وسط بلد العموريين»[2] .

وهذا النص هو أشبه ، فى رأينا اليوم ، برسالة تليغرافية أرسلها على جناح السرعة عيون الفرعون وجواسيسه المنتشرون – بأمر منه ولخدمته – بين ربوع بادية سوريا القديمة وفى أهم مدنها ، وبصفة خاصة ، الساحلية منها ، حيث استطاعوا معرفة كل تلك التفاصيل عن تحركات سكان الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، وذلك تمهيداً أو تحسباً لرد فعل مناسب ، وفى الوقت المناسب ، لأى إعتداء مباشر على الحدود المصرية .

ثانياً : النتائج :

يقول ثوكيذيذيس [3] : **«لأنه فى الزمن القديم ، كان اليونانيون أو البرابرة ، الذين كانوا يسكنون البلد الأم (اليونان نفسها) بالقرب من الساحل (من شاطئ البحر) ، وبعد أن بدأوا بشكل منتظم ومتكرر ، بالعبور من سفنهم من شاطئ إلى آخر ، وبالعكس ، تحول نشاطهم هذا إلى السرقة ، وجعلوا لهم زعماء من مشاهير الرجال بينهم ، وذلك لحسابهم الخاص وفائدتهم ، وبهدف إيجاد وسيلة لإطعام الضعفاء من أهلها . وعندما كانوا يهاجمون مجتمعات عمرانية ليست محصنة ، والتى كانت فى الغالب ، تضم العديد من القرى ، فإنهم ينهبونهم ، ويضمنون بذلك القسط الأكبر من سبل معيشتهم . لأن تلك الأعمال (كانت – حتى ذلك الوقت – أعمالاً لاتجر العار على صاحبها ، ولكنها على العكس من ذلك كانت تعطى أصحابها نوعًا من المجد.. كانت اليونان كلها تلْبس الحديد من صديريات ودروع ، لأنهم كانوا يسكنون مجتمعات غير محصنة وفيها تحف المخاطر عملية الانتقال من تجمع إلى آخر . كما أن أسلوب الحياة هذا ، أى أن يكون السكان دائماً مدججين بالسلاح ، أصبح عادة لديهم كما هو اليوم بالنسبة للبرابرة (الأجانب)» .**

---

(1) هى قبرص ، كما كانت تعرف فى *النصوص الحيثية* . أما لفظة قبرص (K´ypros) ، *اليونانية* ، فأقدم ذكر لها جاء عند هوميروس ، فى الأوديسيا .

(2) الترجمة هنا للنص تمت عن ترجمة إنجليزية له جاءت عند :

Burn, op. cit., p. 52.

(3) التاريخ ، *الكتاب الأول* ، فقرة 5 - 6 .

إذن ، فقد حدثت تغيرات إجتماعية جذرية فى بنية المجتمعات التى كانت فى بلاد اليونان وذلك عند دخول الدوريين ومعهم أجناس أخرى عديدة تنتمى إلى أصل واحد ، خرج من شمال اليونان وواصل سيره إلى حيث استقر فى شبه جزيرة البلقان ، وعلى وجه التحديد فى جنوب البلوبونيز .

نعم ، لقد تغيرت حياة السكان القدامى الأصليين تغيراً تاماً بوصول هؤلاء القادمين الجدد إلى بلاد اليونان ، على مراحل وأفواج متباعدة زمنياً إلى حد ما ، ذلك لأنهم هم الذين أشاعوا بضرورة استخدام الحديد ، كمعدن جديد ، فى الاستخدامات اليومية ، وصناعة الأدوات والأسلحة بدلاً من البرونز .

وكنتيجة طبيعية لهذا الغزو المسلح ، فرَ كثير من سكان اليونان أمامه إلى جزر البحر الإيجى فى موجات متلاحقة ، خوفاً من الفاتحين الجدد . ومنهم ، كذلك ، من لجأ إلى السواحل الآسيوية القريبة (غرب تركيا الحالية) مكونين بذلك مستعمرات يونانية جديدة ومدن يونانية خارج بلادهم الأصلية .

لقد أحدثت حركة العنصر اليونانى الأخير هذا ، وهم الدوريون ، انقلاباً كبيراً ، فى حركة سكان البلقان وجنوب أوروبا . وتقول وجهة النظر اليونانية فى هذا الشأن ، أنه بعد إنهيار المراكز الحضارية الميكينية فإن الحضارة اليونانية آنذاك كانت عرضة لكثير من الأخطار ، إذا لم يتم تقويتها بدم جديد فى ذلك الوقت العسير من تطور حضارتهم . وكان هذا الدم الجديد وتلك القوة الشابة ممثلة فى الغزو الدورى الذى أحيا، بطريقته الخاصة ، الروح اليونانية فى ثوب جديد ، ولا سيما بعد أن حقق الدوريون انتشاراً –وإن لم يتم بسرعة– فى بلاد اليونان ، فقد إستغرقت هذه العملية حوالى قرنين من الزمان تقريباً . عندئذ حدث التوازن المطلوب كما تمت تغييرات فى عدة بلاد . وأهم هذه التغييرات كما ذكرنا آنفاً هو أن اليونان لبست الحديد طبقاً لتغيير ورد عند ثوكيذيذيس . والآن يمكننا إيجاز أهم النتائج التى ترتبت على الغزو الدورى لبلاد اليونان –التى كانت تعيش عصر أزدهار فى ظل الممالك الميكينية المختلفة ، وإن كانت آنذاك (أى عند وقوع الغزو الدورى فى منتصف القرن الثانى عشر تقريباً– أى حوالى عام 1150ق.م . وربما بعد ذلك بحوالى خمسين عاماً) تعيش فترات تدهور ، بعد أن احترفت القتال وصار جنودها مرتزقة لأمراء وملوك حوض البحر المتوسط ، ولمن يدفع لهم أكثر أو حيث تزداد طموحاتهم فى كسب سريع ، وأينما تعود عليهم بغنائم كثيرة . فسمعنا عنهم يدمرون طروادة –حقداً على ثرائها التجارى، وسمعنا عنهم يعتدون حوالى 1221ق.م ، على السواحل المصرية متحالفين مع

قراصنة آخرين ، عاثوا فساداً فى المنطقة . كل ذلك فى أواخر القرن 13ق.م ، أى أن الممالك الميكينية كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وتحاول جاهدة إطالة المدة الباقية من حياتها بالإعتداءات المتكررة ، إحساساً منها بقوتها وبضعف الممالك المجاورة .

*** أهم النتائج هى كالتالى :**

(1) اختفاء الكتابة الخطية الثانية ، التى لم تكن منتشرة ، كلغة شعبية بين طبقات المجتمع بل كانت تسجيلاً وإحصاءً خاصًا بالقصر الملكى (أنظر شكل / 17) . ومن المتوقع أن يكون كتبة تلك اللغة فى أرشيف البيت الحاكم وفى بيوت الأمراء قد فروا مع سادتهم أمام الغزو الجديد إلى أماكنٍ بعيدة . وهكذا فإن الكتابة لمدة قرنين من الزمان ، لانعرف عنها شيئاً ولم تعلن عن نفسها فى أى مكان آخر فى المدة من 1100 - 900ق.م . تقريباً .

(2) ظهور نوع جديد تماماً من الكتابة ، يخالف شكل الكتابة الخطية الثانية السابقة ، ومنذ القرن التاسع ق.م . وهى الأبجدية اليونانية (التى عرفوها عند تجارتهم مع الساحل السورى الفينيقى . وذلك بتغير بعض الحروف الفينيقية أو رموزها حتى تعطى حروفاً متحركة كانت لازمة فى نظر اليونانيين آنذاك) وكان طبيعياً أن يكون أول استخدام ، لهذه اللغة ، بالحروف الجديدة التى تعلمها اليونانيون من الفينيقيين ، فى منطقة ومدن إيونيا الوقعة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى . **ذلك لأن الآيونيين (Iones)، هذا الفرع من اليونانيين ، كانوا أول من اتصل منهم بالشرق العربى ولهذا كانت تسمية العرب لهم باسم «يونان»**[1].

(3) حدوث تغيرات اجتماعية كبيرة فى كل البلاد ، منذ هجر السكان المجتمعات الزراعية القديمة ، أى أشكال القرى الصغيرة واستقروا فى مدن وذلك منذ القرن العاشر ق.م .

(4) إلغاء النظام الملكى ، كأهم تغيير سياسى جديد فى كثير من المدن اليونانية، وتولى النبلاء والأشراف من الطبقة الممتازة مقاليد الأمور ، مما ساعد على قيام نظام أرستقراطى فى حكم تلك المدن .

(5) اختفاء عبادة إلهة الإخصاب الأنثى ، إلا فى أماكن محدودة للغاية ، تاركة السيادة لمجموعة من الآلهة الأخرى اعتقد فيها يونانيو ذلك الزمان ، وبأنهم

---

(1) انه فى الغالب كان اليونانيون يجيبون بأنهم قادمون من إيونيا : (apo ten Ionian) وبسقوط الحرف المتحرك ، ما قبل الأخير ، نحصل على «يونان» ، بعد تحويل الـ «إيو» إلى (يو) ، فى أول الاسم .

يسكنون أعلى قمة جبلية فى اليونان وهى قمة جبال الأولمب[1] . وعلـى رأس هذه المجموعة إله ذكر هو «زيوس» (Zeus) . وتبع ذلك إقامة العديد من المعابد المستقلة إلى جانب القصور الميكينية القديمة أو بالقرب منها .

(6) بداية التركيز على أهم خاصية في الحضارة اليونانية الجديدة (أى من هذه المرحلة من مراحل تطورها والتى ستصبغ حضارة اليونان من الآن فصاعداً ، بلون يميزها عن كل الحضارات الأخرى القديمة فى المنطقة المجاورة) وهى «الإنسان» و «إنسانية» كل المظاهر الحضارية ، سواء فى الدين أو فى الفن ، أى كون الإنسان ومشاكله وتطلعاته محوراً لكل اهتمامات المجتمع اليونانى ونشاطه منذ بداية تلك الفترة فى حياة الشعب اليونانى ، الذى ولد من جديد ، وطعم بدم جديد مع الغزو الدورى .

وإذا كان لنا أن نتصور اليونان ، غداة الغزو القادم من الشمال فنجد السادة والنبلاء يأبون الخضوع والخنوع لهؤلاء فيفضلون الهجرة والفرار بعيداً خوفاً من بطش القادمين بقوة السلاح ، ويتجهون إلى الجزر اليونانية فى البحر الإيجى وعلى شاطىء آسيا الصغرى الغربى . بينما لم يستطع ذلك الفقراءمن السكان فاضطروا آسفين أن يخضعوا لحكم الغزاة الفاتحين .

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى عدم قدرة هؤلاء الفاتحين على إخضاع أثينا والأكروپوليس ، الذى حاصروه لمدة طويلة ولكنهم لم يفلحوا فى هزيمتهم ، مما جعلهم يواصلون مسيرتهم نحو الجنوب وتركوا شمال اليونان خلفهم ، حراً من قيدهم واستقروا أخيراً فى جنوب شرق البلوپونيز وتحديداً فى إقليم لاكونيا (Lakonía) ، بقوة وعنف مميزين لهذا الوجود الجديد فيظل منذ تلك اللحظة الخلاف الأيديولوجى بين أثينا وأسبرطة ، معقل الدوريين ، وراء كل ألوان الأنشطة العدائية بين الشعبين . فكانت هاتان المدينتان نموذجاً على شدة الخلاف بين نظامين ، أحدهما ديمقراطى فى أثينا، والآخر ديكتاتورى متسلط ، يحكم بالحديد والنار وقوة السلاح ، فى أسبرطة(*) .

---

(1) وهى القمة المشهورة في اليونان باسم «أوليمپوس» (Ólympos) ويخلط المثقفون العرب بينها وبين «أولمپيا» (Olympia) ، مكان الدورة الأولمپية منذ عام 776ق.م ، في شمال غرب البلوبونيز، جنوب اليونان .

(*) هناك ، الآن ، أحدث رسالة ماجستير ، باللغة العربية ، (وتحت اشراف) لصاحبتها الباحثة / آمال أحمد محمود بعنوان : «الحروب البلوبونيزية» ، على وشك المناقشة ، آداب حلوان ، 2007م.

معالم الفكر اليونانى القديم فى مراحله الأولى

• **تقديم :**

سبق أن تكلمنا عن مظاهر الفكر اليونانى القديم إبان عصور ما قبل التاريخ ونقصد بذلك إبان حضارة ثساليا وحضارة الكيكلاذيس ثم الحضارة المينوية ، وأخيراً الحضارة الميكينية التى تلاشت على أيدى الغزاة الدوريين ، برابرة الشمال ، حوالى 1200ق.م . ولم يأت عام 1100ق.م ، إلا وكانت اليونان (هيلاس) قد دخلت حقبة جديدة من تاريخها ، اتسمت بالظلام والتدهور[1] ، بل والتخلف عن ركب المدنية والتحضر ، اللتان كانتا ثمرة حضارتين سابقتين ، أورثتا شعوب المنطقة ، سواء فى البحر الإيجى أو فى داخل بلاد اليونان الأصلية ، العديد من المظاهر الحضارية المتقدمة ، وهذا ما نعرفه ، على الأقل ، مما تم الكشف عنه فى حفائر القصور الملكية فى كل المراكز الحضارية القديمة فى كريت وطيبة وموكيناى (أو ميكينى) وبيلوس وتيرنس[2] .

ووجدت اليونان نفسها –بعد عصور الأبطال والبطولات المجيدة على أيدى القادة والمحاربين الشجعان فى العصر الميكينى على أيدى ملوكه وأمرائه من الآخيين كما جاء ذكرهم فى إلياذة هوميروس الخالدة– تبدأ من جديد مشواراً حضارياً آخر ، وكأنها قد مسحت من ذاكرتها كل أمجاد ماضيها ، أو كأنها تحيا من جديد بعد فقدان ذاكرتها . ومن حسن الطالع أن حفظت لنا ذاكرة شاعر ملهم ، خالد ، عبقرى ، بعضاً من مآثر الماضى التليد ، الذى رواه لنا ، فى قصيدتيه الرائعتين ، الإلياذة والأوديسيا ، فى صورة ملحمتين شعريتين تجاوزت الواحدة منهما عشرة آلاف بيت من الشعر اليونانى القديم[3] .

---

(1) تعتبر الفترة من 1100 - 900 ق.م . فترة عصور مظلمة فى نظر معظم المؤرخين ذلك لأننا لانعرف شيئًا عن اليونان فى تلك الحقبة ، ولهذا جرى العرف على تسميتها بـ : "Dark Ages" .
راجع: Desborough, R.E.D.A, The Greek Dark Ages, London . Bonn 1972.
Snodgrass, A.M., The Dark Ages of Greece, Edinburgh, 1971.

(2) هى موقع أحد القصور الميكينية الهامة فى شمال شرق البلوبونيز .

(3) عن الإلياذة والأوديسيا ، انظر – مثلاً – «هوميروس» محمد صقر خفاجة ، مكتبة نهضة مصر 1956 ، وكذلك عبدالمعطى شعراوى : هوميروس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – المكتبة الثقافية 265 ، 1971م .

إن طه حسين في معرض حديثه عن الشرق والغرب [1] وما بينهما من تشابه واختلاف ، قد ختم مقالاته قائلاً :

«يكفى أن نسجل الحقيقة الواقعة ، وهى أن الحياة اليونانية التى خضعت للشعر فى أول أمرها ، ثم خضعت بعد ذلك للعقل ، كانت أخصب حياة عرفها الإنسان فى العالم القديم» [2] .

وكما يقول سقراط نفسه –رداً على «إيون» الذى يقول بأن هوميروس وهيسيود وأرخيلوخوس يتكلمون حول نفس الموضوعات– بأن «هوميروس» ناقشها بطريقة أخرى ، وبمعالجة رائعة ، بينما الآخرون تناولوها بشكل سيء .

وها هو أفلاطون يقول : **«إن من تتسنى له فرصة فهم هوميروس يهيمن على أساليب الفنون جميعاً هيمنة تامة»** [3] .

وفى دراسة مفصلة ، وعميقة ، وتحليلية ، من وجهة النظر التاريخية نجد لطفى عبد الوهاب قد خص «عالم هوميروس» وناقش أهم قضاياه [4] .

ولما كان اليونانيون القدماء ، لم يعرفوا شكل الكتابة والحروف الهجائية المكتوبة التى يعرفونها اليوم –إلا فى القرن التاسع ق.م بفضل احتكاكهم مع الفينيقيين، تجار الشرق المهرة الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط ويتاجرون مع الغرب فى بضائع الشرق ، عرفهم هوميروس ووصفهم بلفظة (Tróktai) أى :«الطماعون، البخلاء» [5] . هذا مع أن الميكينين كانوا يعرفون لغة للتسجيل وحفظ العقود والسجلات التجارية الرسمية ، داخل القصر الملكى ، الذى كان يحتكر كل شيء تلك التى عرفها الأثريون باسم (LINEAR B) إلا أن هذه اللغة ، لم تسجل لنا عملاً أدبياً واحداً [6] ، كما فعل هوميروس الذى خلد عصره وعصر من سبقه [7] فى عملين رائعين –كما ذكرنا من

---

(1) «بين الشرق والغرب» ، مقالة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الثامن: علم الإجتماع ، دار الكتاب اللبناني – بيروت 1975 (الطبعة الثانية) ، ص 205 - 207 .

(2) المرجع نفسه ، ص207 .

(3) أفلاطون ، محاورة «إيون» ،539 .

(4) لطفى عبدالوهاب يحيى «عالم هوميروس» ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر (3) 1981، ص ص 13 - 56 .

(5) الأوديسيا ، 15 ، سطور 416 - 419 والأنشودة 14 ، سطور 288 - 289 .

(6) Andrewes, A., Greek Society, Pelican Books, (1967), p. 26 :
"It is wildly unlikley that we shall ever recover any Mycenaean history or Literature in this script".

(7) لطفى عبدالوهاب «عالم هوميروس» مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر (3) ، 1981 ، ص ص 23 - 30 ، حيث يقصد بتسميته «عصر هوميروس» ، كل تلك المدة ، أو الفترة الزمنية التى أشار إليها فى عَمَلَيْهِ الخالدين ، أى من حوالى 1400 ق.م حتى 900/800 ق.م تقريباً .

قبل- رغم أنه وآخرين مثله كان منشداً جوالاً يتعرف على أساطير وحكايات كل منطقة على حده ليخلق منها رواياته المسلية وينسج من خيوطها أناشيده . وعندما بدأ الأدباء السكندريون ، إبان العصر البطلمى[1] (323 - 30ق.م) يرتبون ويعيدون صياغة تلك الأشعار فى كتب مدونة ، من البردى ، وهو ما وصلت إلينا نصوصه اليوم ونطلع عليه فى الطبعات العالمية المشهورة ، مثل طبعة Oxford أو Loeb .

هذا ، وقد ذكر لنا هيرودت نفسه -وهو أقرب المؤرخين إلى هوميروس- تاريخاً له حينما قال : **«إنى أعتقد أن هزيودوس وهوميروس عاشا قبل الوقت الذى أعيش فيه بأربعمائة عام ، ليس أكثر»**[2] .

إذن ، فالعصر التاريخى للهيللينيين ، هو منذ أن عرفوا الكتابة التى إنتشرت حوالى منتصف القرن الثامن ق.م . بدليل ماتم العثور عليه من كتابات متناثرة على القازات وشقافاتها (OSTRACA)[3] .

ولكن البدايات الحقيقية للحضارة اليونانية – الهيللينية الأوروبية الأصل لايمكن أن تؤرخ فقط بالقرن الثامن ق.م . بل إن الإكتشافات الحديثة والقراءات المستمرة وفك رموز الكتابة الخطية الثانية أثبتت حقيقتين هامتين جداً فى تاريخ تلك الحضارة هما :

(1) ظهور الكتابة اليونانية[4] ، لأول مرة ، فى شكلها المشتق من الكتابة الميكينية .

---

(1) ليس هناك – باللغة العربية – أفضل مما كتبه إبراهيم نصحى عن عصر البطالمة فى مصر ، فى أربع مجلدات ضخمة ، تناول كل منها جزءاً من مظاهر الحياة فى مصر البطلمية ، وهى تحت عنوان : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، القاهرة 1966 ، عن مكتبة الأنجلو المصرية . ثم هناك كذلك كتب أخري ومذكرات جامعية للأساتذة مصطفى العبادى ، ولطفى عبدالوهاب ، ومصطفى كمال عبدالعليم ، وغيرهم . وأخيراً الموسوعة المصرية – تاريخ مصر القديمة وآثارها «العصر اليونانى – الرومانى» (الهيئة العامة للكتاب) .

(2) هيرودوت ، الكتاب الثانى ، 53 ، علماً بأن هيرودوت عاش وازدهرت كتاباته فى النصف الثانى من القرن الخامس ق.م ، أى فيما بين 450 - 400 ق.م تقريباً .

(3) أنظر «تاريخ الشعب اليونانى» :

a)Historía tou Hellenikoú Ethnous, vol. 2, Athenai, pp. 196 - 201 .

(4) J. Chadwick - M. Ventris. وأيضاً لنفس المؤلفين الأخيرين .

Documents in Mycenaean Greek, Cambridge 1956.

هذا بالإضافة إلى ماينشره معهد جامعة لندن للدراسات الكلاسيكية بعنوان :

Studies in Mycenaean Inscriptions and Dialect.

كما أن هناك العديد من الدراسات الهامة حول الكتابة الخطية الثانية مثل :

Davison, J.A., the Decipherment of Linear B : **"The Present position"**, Phoenix 14 (1960) p. 34.

lingren, M., **"The People of Pylos, Prospographical and methodologicsal studies in the Pylos Archives,"** Acta Universitatis Upsaliensis, (Boreas), 2 : 1 Upsala 1973.

(2) بداية التعرف على أصل الميثولوجيا اليونانية [1] .

من كل ماسبق ندرك أن بدايات التاريخ اليونانى الحقيقى ، الأوروبى الأصل ، ذلك لأن حضارتى ثساليا وكريت وكذلك حضارة الكيكلاذيس ، لم تكن أوروبية المولد، بل كان مؤسسوها من الشرق ، عبروا إلى تلك الجزر وشمال اليونان ، قادمين من آسيا الصغرى وترجع إلى العصر الميكينى ، عصر الأبطال ، كما وصفه لنا هوميروس فى ملحمتيه الخالدتين[2] . والفضل فى ذلك يرجع إلى جهود الباحث الإنجليزى الشاب مايكل ڤنتريس وزميله اللذان أثبتا ذلك من خلال قراءاتهما الدقيقة وفك رموز الكتابة الخطية الثانية ، منذ عام 1953م . وهكذا ، يمكننا الآن التحدث ، بشكل مبسط ، عن مظاهر ذلك الفكر اليونانى البدائى ، إبان عصوره التاريخية .

أولاً : الفكر الدينى (الأسطورى) :

إن التفكير الدينى لدى اليونانيين القدماء ، شأنهم فى ذلك شأن كافة خلق الله على أرضه ، لازمهم منذ الخليقة ، لكننا إذا أردنا أن نقصر حديثنا على فكر أولئك اليونانيين فى العصور التاريخية ، ولاسيما أننا عرضنا لهذا ، فى الباب الأول من هذا الكتاب ، فى معرض كلامنا عن حضارة ثساليا وكريت والكيكلاذيس ، فإننا يجب أن يكون واضح تماماً أمام أعيننا ذلك الإطار التاريخى ، الزمنى ، الذى يحدد لنا فترتنا ، موضوع بحثنا ، والمقدمات الأولية لما نعرفه بالفعل عن فكر يونانى الألف الأولى ق.م .

لقد هدانا الله ، بفضل جهود عالمين إنجليزيين كبيرين ، هما : J. Chadwick, و M. Ventris فى الستينات ، إلى فك رموز الكتابة الخطية الثانية ، التى كانت سجلاً لوثائق العصر الميكينى (1600 - 1150 ق.م) [3] وعرفنا منها – بطريقة غير

---

(1) نيلسون ، هو أول عالم إقترح (وقد صدق إحساسه وإستنتاجه) وأشار إلى أن الخطوط الرئيسية للأساطير اليونانية تم وضعها إبان العصر الميكينى ، وأخذت شكلها المعروف فى العصور المظلمة (أى 1200 - 800 ق.م) .

Nilsson, M.P., The Mycenaean Origin of Greek Mythology, Berkely, 1932.

(2) راجع أحدث كتاب عربى فى الموضوع ، حيث يناقش المؤلف ، ضمن إطار عام ، المشكلة الهومرية برمتها : أحمد عتمان ، الشعر الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1984 ، ص ص 13 - 75 .

(3) حسب تأريخ العلامة اليونانى ميلوناس ، والذى باشر حفائره فى عاصمة تلك الحضارة لسنوات طويلة أو 1100 ق.م طبقًا لتأريخ : =

=Wace, H., French, E.W. Williams, Ch. : Mycenae, (Guide,) W.S.A. (9th edition), 1974, p. 5.

مـبـاشـرة[1] عن مجموعة آلهة وإلاهات يونانية كانت تستقبل القرابين ، وكيف أن الكثيرين من العبيد كانوا فى خدمة دور عبادتهم . منها عرفنا أسماء لآلهة يونانية ظلت عالقة بأذهان السكان الأصليين ، إلى أن جاء الجنس اليونانى الأوروبى ، مع الغزو الدورى ، فى نهاية القرن الثانى عشر ، أو بداية القرن الحادى عشر ق.م . منهم زيوس ، وبوسيدون ، وأبوللون ، وهيرا ، وأثينا ، وأرتميس[2] .

إن الموروث الدينى لدى العنصر اليونانى – إبان العصور التاريخية كما قلنا ذلك فى مقدمة مادتنا هذه عن تاريخ الفكر اليونانى – لايمكن أن ينشأ بين يوم وليلة ، أو عشية وضحاها ، فنقرأ فى القرن الثامن ق.م عن عالم آلهة أوليمبية ، يتناولها هوميروس تناولاً ، يدل على هيمنة وسيطرة هذا العالم السريانى – بآلهته الكثيرة – على تفكير المجتمع اليونانى ، فى كل مكان ، وحيث نسمع عن أدوار هذه الآلهة فى تصريف الكثير من أمور البشر .

هنا ، تجـدر الإشارة إلى حـقـيـقـة هامـة جـداً ، وهى أن ذلك الموروث الدينى اليونانى والذى توارثه اليونانيون عن الحضارة الكريتية المينوية ليس إلا – فى كثير من تفاصيله – تأثيراً شرقيًا عقائدياً ، كان قد وصل إلى تلك المراحل الحضارية السابقة ، عبر قنوات الإتصال التجارى والتفاعل الحضارى فى شرق البحر المتوسط منذ بدايات الألف الثانية ق.م بين شعوب وحضارات تلك المنطقة ، وذلك من واقع النتاج الحضارى للحضارات الشرقية القديمة ، السومرية والبابلية والمصرية على السواء .

كما أنه لاأدل على ذلك كله ، من واقع الكشف الأثرى ، الذى لايترك مجالاً للشك ، فها هى آثار كريت تحمل ، بين ماتحمل ، دلائل التأثيرات الشرقية على العقيدة والفكر الدينى لأهل كريت[3] .

وينتقل الفكر اليونانى – بعد فترة غياب عن وعيه ، استمرت أكثر من قرنين (1100 - 900 ق.م) . ليدخل عصراً جديداً فى حياة أولئك ، وهو مانسميه – نحن

(1) Stubbings, F.H., The Expansion of Mycenaean Civilization, C.A.H., Revised edition of volumes I & II), Cambridge 1964, p. 17.

(2) أنظر سيد الناصرى : الإغريق تاريخهم وحضارتهم ، ص ص 59 - 63 .

(3) راجع بحثين لنا فى هذا الخصوص :

1) "The Renderingof Ta-wrt in Creto - Mycenaean Art.", The Congress of Mycenaean Studies, Kalamata, Greece 1980 .

2) "Pre-Saïtic Egyptian Deities in Crete", Hagio. Nikolaos, Crete 1981 (in International Congress of Minoan Studies) .

الأثريون – بالعصر الجيومترى ، استغرقت هى الأخرى حوالى قرنين من الزمان (1000 - 800 ق.م) ، وهو أول نتاج فنى يونانى أصيل [1] ، من صنع ذلك الشعب الجديد الذى إمتزجت عناصر سكانه الأصليين ، الآخيين ، بالعناصر الغازية ، الأوروبية ، التى نعرفها باسم الدوريين . فآثار هذا الفن ، ونقصد على وجه الخصوص بالإناء الفخارى العملاق ، المعروف باسم «ديبلوأمفوريا» (Dip´ylou Amphoréa) من أثينا ، يصل إرتفاعه إلى1.62 سم، والذى كان شاهداً لقبر من القبور ، أو علامة مميزة له ، تسجل لنا موضوع جنائزى ، هو الوحيد من نوعه فى تلك الفترة ، يتناول بكاء وعويل أهل الميت عليه ، وهو مستلقى على أريكة فى وسطهم ، كل ذلك فى خطوط هندسية ، دون تفاصيل تذكر .

إنه نفس العصر الذى كان ضرورياً ، وطبيعياً ، بعد الهدوء النسبى الذى خلف الغزو ، أن تبدأ فيه المدن فى التكوين والتشكيل ، على أساس سكانى يمارس أهله حرفة الزراعة والرعى أساساً . ولكن لم يلبث أن زاد التعداد السكانى لكل مدينة ، وفى غياب التجارة والثراء الذى يتبعها ، انتشرت عادة الإعتداء والقرصنة والغارات ، ولم تعد تلك العمليات تسبب عاراً لمحترفيها ، بل كانت ضرورة ملحة ، تحت ضغط قسوة الحياة وقلة موارد المدن – الدول الفقيرة أصلاً .

ومع تلك الظروف القاسية ، وانتشار العنصر الغازى ، ونظراً لضيق رقعة الأرض ، سواء للسكنى أو للزراعة والرعى انتشرت كذلك عادة حرق الموتى ، بدلاً من الدفن التى كانت معروفة من قبل وهو أسلوب فرضه الواقع اليونانى آنذاك .

وفى هذا المجتمع البسيط الذى يعيش على الكفاف ، والذى يتغاضى عن أعمال القرصنة والغارات ، راح يبذل قصارى جهده فى حرف وصناعات فقيرة ، مثل الأدوات الفخارية ، المنزلية ، وصناعة الأسلحة ، والملبوسات الصوفية ، حتى داخل المنازل ، من قِبل النساء بالذات . وظهرت مع بدايات القرن الثامن ق.م الملاحم ، وشاعرها هوميروس ، وراح كثير من المنشدين يسمعون أولئك أمجاد ماضيهم التليد ، خالطين هذا كله ببعض الواقع الذى كانوا يعيشونه ، ويحاولون الهروب منه بسبب قسوته ويلجأون إلى الخيال فيحيون فيه – إلى حين – مستمتعين بصوره وجماله .

وهكذا فمن «الإلياذة» و «الأوديسيا» ، نستطيع أن نتعرف على واقع وحقيقة

(1) Barnett, R.D., Elements Orientaux dans la religion grecque ancienne, Colloque de Strasbourg 1958, Paris 1960, pp. 143 ff.

وكذلك أنظر مقالتى فى مؤتمر كريت الدولى الخامس 1981 «الآلهة المصرية فى كريت حتى العصر الصاوى» باللغة اليونانية الحديثة (سبق ذكره باللغة الإنجليزية) .

ماكان يعتقده اليونانى وقتئذ ، وصورة إيمانه وفكره الدينى تلك الصورة ، وذلك الفكر، الذى أوضحه لنا أكثر وأكثر شاعر ملحمى آخر – سبق الحديث عنه – هو هيسيودوس، الذى جاء بعد هوميروس ، وكتب لنا قصيدة «أنساب الآلهة» . ومن هذا كله ، نستطيع الآن ، أن نحدد معالم متميزة لذلك الفكر الدينى ، يمكن أن نوجزها فيما يلى :

(1) تقوم فكرة الإيمان عند يونانى ذلك الزمان على أساس الأسطورة ، فكان تعدد تلك الأساطير وتنوعها من مكان لآخر هو إنعكاس لبساطة تفكير اليونانيين القدماء ، من ناحية ، كما أنه ، من ناحية أخرى ، لدليل على التأثيرات الشرقية، التى تعددت الماديات الحضارية ، إلى الروحانيات الإيمانية وتركت بصماتها واضحة على فكر أولئك اليونانيين [1] ، وهكذا يمكننا القول أن الدين ، آنذاك ، كان بدائياً نفعياً برجماتياً ، إرتبط برموز المجتمع اليونانى القديم ، وفسّرها تفسيراً أسطورياً ، لعجزه عن فهمها فهمًا كاملاً ، ناقلاً عن الشرق أشهر معتقداته وطقوسه لملء الفراغ الدينى عنده .

(2) إن ماكان يحدث بين لقاءات الآلهة اليونانية بالبشر ، كما نرى فى الإلياذة والأوديسيا مثلاً ، ولاسيما عندما تأخذ هذه الآلهة أشكالاً آدمية وتتخفى فى ثوب بشرى ، فإن ذلك لايقلل من الإله نفسه ، بقدر مايرفع من شأن الإنسان وقيمته ، فإلهه على شاكلته ، والأكثر من هذا أنه لم تحدث – عند اليونانيين القدماء – أية تفرقة أو أى تعارض بين ماهو إلهى وماهو آدمى ، فيما يخص السلوكيات فقط .

(3) إن الدين اليونانى القديم كان دائمًا يُقدِّس كل ظواهر الطبيعة ، فتصبح أشياء إلهية مقدسة ، مثل النهار ، والليل ، والقيام والنوم ، والأرض ، والسماء ، والبحار ، والأنهار ، والمحاصيل وأشجار الزيتون ، والخمر . فكان كل تعبير عن الطبيعة ، مادى الشكل أو الإحساس ، يصبح دليلاً على وجود إله[2] . وكانوا يؤلهون كل هذه الأشياء ، فتثير فيهم الرعب أو الإعجاب ، وأعطوها الصفات البشرية ، ومن أهمها الطول ، والقوة ، والجمال ، والخلود ، الذى هو أهم صفات الآلهة ، لدرجة أن هوميروس وكذلك هيسيودوس كانا يشيران بصفة «الخالدين» (Athánatoi) إلى الآلهة ، بينما يستخدمان صفة «الفانيين» (Thnetoi) للدليل على البشر .

---

(1) يذكر سيد الناصرى (الإغريق تاريخهم وحضارتهم ، القاهرة 1981 ، ص 14) أسطورة الخلق عند المصريين القدماء ، وكذلك تفسير الأستاذ أحمد أمين لكلمة (الفوضى) الموجودة فى الأسطورة اليونانية والديانات الأخرى ، إلى كلمة «العماد» كدليلين على التأثيرات الشرقية قديماً، والمقابل الإسلامى لهذا كله .

(2) نفس المرجع السابق ، ص 183 .

ولكن الآلهة كان تأكل طعامًا إلهيًا مقدسًا ، سماه هوميروس «أمبروسيا» (Ambrosia)ويشربون شراباً إلهياً هو «نكتار» (Nektar) . ولما كانوا كالبشر ، فهم يحبون ويحقدون ، يتسامحون ويغارون ، يتحاربون ويتعاركون فيما بينهم . وهم دائماً بالقرب من الإنسان ، لايراهم ، ولايدركهم ، إلا إذا تقمصوا شخصيات آدمية أخرى يساعدونه فى الحال ، أو ينزلون به العقاب.

(4) هناك روايات كثيرة ، ومختلفة لكل أسطورة على حدة . وقد خلق اليونانيون تلك الحكايات ليشرحوا لأنفسهم ، ولغيرهم ، ويصفوا حياة وأصل الآلهة ، ويصفوا مغامرتهم . وجميع هذه الأساطير ، مجتمعة تكّون مادة الأساطير اليونانية ، والتى تدرس كمادة منفصلة لدارس الحضارة اليونانية فى الجامعات الأجنبية .

(5) ويجلس على عرش هذا الملكوت الإلهى ، مجموعة من الآلهة ، تسكن جبل الأوليمبوس فى شمال شرق اليونان . ويمكننا اختصار عرضهم هذا – من باب المعرفة فحسب – دونما داعى للتفاصيل(1) .

أولاً : زيوس (Zeus) ، رب الأرباب ، وكبير الآلهة ، رب السماء والأرض ، يجمع السحاب ، ويرسل الأمطار والبرق . كان يقطن أعلى قمة فى جبل الأوليمب ، مع زوجته هيرا ، ربة الزواج . وكان لزيوس ثلاثة أبناء وثلاث بنات ، آلهة بالطبع كذلك ، فالأبناء كانوا هم :

أيوللـون : (Apóllon) وكان أجمل الآلهة ، وهو إله الضوء ، والموسيقى ، والنبوءة .

آريـــــس : (Áres) إله فظ وقوى ، فكان بحق إله الحرب .

هرميس : (Hermés) إله التجارة وأهل العلم ، ورسول زيوس ، ومزود بأجنحة أعلى قدميه! (إذ هكذا تم تصويره ، دائماً ، فى الرسم والنحت اليونانى) .

أما البنات فكن :

أثينـــــــة : (Athená) وهى ربة الحكمة ، والتى خرجت – طبقاً لروايات الأساطير

(1) لمن يريد الإستزادة حول موضوع الأساطير اليونانية وآلهة الإغريق ، يمكنه أن يراجع : عبداللطيف أحمد على – ومحمد صقر خفاجة ، أساطير اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1959 ، وكذلك مايلى :

Rose, H.J.A., Handbook of Greek Mythology, Methuen, (Revised Edition) 1958

Pinsent, J., Greek Mythology, London 1969.

– أمين سلامة : معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1955.

– عبدالمعطى شعراوى : الأساطير الإغريقية ، الجزء الأول «أساطير البشر» ، القاهرة 1982.

- من رأس والد هازيوس ، مدججة بالسلاح كاملة الاستعداد بالدرع والرمح.

أفـروديتــي : (Aphrodíte) ربة الجمال والتى خرجت من زبد البحر ، فى مكان ما بالقرب من قبرص[1] ، ولحكمة بالغة (؟!) زوجتها الآلهة من أقبح ذكورها ، إله النار، هينا يستوس (Hephaistos) .

أرتمـــيس : (Ártemis) ربة الصيد ، والقمر ، والغابات وكانت حامية للحيوانات المتوحشة ، غير المستأنسة .

ثانياً : إخوة زيوس وهم آلهة مهمون كذلك :

پُوسـيـدُون : (Poseidón) إله البحر والموج وصاحب الشوكة الثلاثية المفجرة للصواعق .

پلـوتُـون : (Ploúton) إله العالم السفلى ، فى هاديس (Hádes) المظلمة ، حيث الأرواح .

ديمـــتْــرَا : (Démetra) كانت حامية الزراعة والزُّراع والمحاصيل ، وترعى خصوبة الأرض.

هيسْتيَـا : (Hesteía) حامية الحياة الأسرية ، وكان لها فى كل بيت مذبح لتقديم القرابين لها .

هيفايستوس : (Hephaístos) إله النار ، وحامى الحدادين . كان أكثر الآلهة الأولمبية تعاسة ، فهو أعرج وقبيح وكان يعمل فى صناعة المعادن تحت وهج النار ، صانعاً قصور الآلهة الأخرى وصواعق كبير الآلهة زيوس .

هذا ، بالإضافة إلى وجود مجموعة أخرى ، كما يقول بذلك التراث الأسطورى اليونانى ، من الآلهة المحلية ، أو الأقل شأناً ، وكانت عبادتها تقتصر على بعض الأماكن المحددة . ومن هؤلاء ، الإله ديونيسوس (Diónysos) وهو أكثرهم شهرة وقريباً إلى قلوب غالبية الناس . إنه إله أشجار الكروم ، والخمر . بالإضافة إلى پيروسيفونى (Persephóne) ، إبنة الربة ديميترا ، والتى قضت حياتها ، مناصفة ، بين الحياة الدنيا ، والعالم السفلى .

(1) ليس ببعيد أن يكون إسم قبرص قد اشتق من إحدى مسميات الربة «أفروديتى» ، وهو «كبريس» (Kypris) ولاسيما أن هذه الجزيرة كانت أهم مراكز عبادتها فى النصف الأول من الألف الأولى ق.م .

ولم ينحصر تفكير اليونان الأقدمين على هذه المجموعة بعينها من الآلهة ولكنها تعدتها إلى ماهو أعم وأشمل خارج دائرة الوجود والحس للإنسان ، فكانوا يعتقدون بوجود حوريات ، في ينابيع المياه والغابات ، حيث كانت تسكن هذه الحوريات العذارى[1] .

أما حوريات البحار ، التى كانت تسكن أعماق المحيطات والبحار فقد سماهن اليونان باسم «نيريذيس» (Neiraïdes) وكن يحمين البحارة وراكبى هذا العالم الواسع المخيف ، المتقلب المزاج .

ويبقى سؤال ، كيف هدى تفكير اليونانيين هؤلاء حتى يعبروا عن شكرهم ، ويتوسلون إلى آلهتهم . وبألفاظ أخرى ، ماهى الوسائل التى وجد فيها اليونانيون ، طريقة للتقرب إلى آلهتهم وكسب رضاهم ، وحتى يقفوا إلى جانبهم وقت المحن والأزمات ؟ .

لما كان المنطق العملى يغلب على الشخصية اليونانية ، فضلاً عما منحه الله من خيال خصب ، فقد قام بالخطوات التالية ، حتى يتسنى له ترضية آلهته :

(أ) شيّد المعابد العظيمة ، الفخمة ، من أغلى أنواع الأحجار ، وهى الرخام بجميع أنواعه ، الموجود بكثرة على سطح أراضيه وفى جزره العديدة .

(ب) زُوِّدت هذه المعابد بتمثال «الإله» ، أو «الربة» يحتل وسط المعبد ، فى حجرة خاصة به تعرف باسم : «سيكوس» (Sekós) .

(ج) بنى مذبحاً ، خارج المعبد ، لتقديم القرابين عليه من أغنام وأبقار وماعز .

(د) أَوْجَدَ طقوساً معينة وصلوات ، كان على العابد أن يفرغ منها قبل لقاء الإله ، فى صورة الكاهن الأكبر للمعبد . فكانوا يقيمون صلواتهم واقفين ، ضارعين إلى السماء إذا كانوا يتوسلون إلى رب الأرباب زيوس ، وآلهة السماء الأخرى ، بينما نجدهم ساجدين على الأرض ، إذا كانت صلواتهم للإله بلوتون وآلهة العالم الآخر الأخرى .

---

(1) أقرب قصص هؤلاء إلى تاريخنا المصرى ، هى الحكاية المأساوية لزهرة الشباب ، فتاة يونانية«إيسيدورا» كانت تعيش فى مصر ، تحت الإحتلال الرومانى ، وعثر على مقبرتها فى تونا الجبل (محافظة المنيا) ، وخطفتها حورية النيل فغرقت فى مياهه . حول ترجمة النص اليونانى إلى العربية ، كاملاً لأول مرة ومباشرة عن اليونانية ، أنظر بحثى المقدم إلى مؤتمر طه حسين لعام 1985 ، بعنوان : «إيزادورا ، بين الإغريق وطه حسين» ، والمنشور فى أعمال هذا المؤتمر لعام 1986م ، أو العدد التذكارى لتكريم د/ سامي جبره ، الصادر عن دورية المتحف المصري للآثار (ASAE) ، عام 1986 م.

وبالإضافة إلى تقديم الأضاحى ، فقد كان اليونانيون يقدمون كثيراً من خيرات مجتمعهم لمعبد الإله ، مثل الخمر ، والزيت ، واللبن والحلويات والفواكه .

كما تميز المجتمع اليونانى القديم بتقدير وعبادة الأموات [1] ، فكانوا يقدمون لهم النذور والأضاحى ، وذلك اعتقاداً منهم بأن ذلك سيضمن حماية أولئك الأموات للأحياء ، ذلك لأنهم كانوا يعتقدون بأن هؤلاء الأموات هم أحياء فى العالم السفلى (هاديس) ويستمتعون بكل مايقدمه لهم ذووهم وأهلوهم من هدايا ونذور .

وبمرور الزمن ، زاد إيمان الناس الطيبين من أبناء الشعب اليونانى الفقير ، وكثر ترددهم على معابد آلهتهم المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد وزادت شهرة بعضهم فى أنواع محددة من مشاكل البشر وإيجاد حلول لها ، كما حدث بالنسبة للإلهة أبوللون، الذى إشتهر «بالنبوءة» . وكان معبده فى دلفى (Delphoi)[2] مكاناً مقدساً يحج إليه الرجل العادى للإستشارة ، أو حتى الملوك [3] والحكام لمعرفة رأى الآلهة ، على لسان كهنة المعبد .

وتبع هذا كله ، مجموعة من الأعياد والاحتفالات الدينية فى أوقات معلومات من كل عام ، أو عدة أعوام ، فلم يبق شهر – بسبب تعدد هذه الأعياد – إلا وشهد احتفالاً فى مكان ما من اليونان . كان بعضها محلياً صغيراً محدوداً ، ولكن معظمها كان هاماً ، على مستوى اليونان كلها وفى خلال تلك الأعياد كانت تقام المسابقات الموسيقية أو الرياضية . فالموسيقى بصفتها الدينية ، والرياضة باعتبارها نوعاً من أنواع الاهتمام بالجسد والعقل على السواء ، ومافى ذلك من تأدية لحقوق الخالق على المخلوق وحفظ الأمانة ، كانتا من وسائل اليونانيين للإحتفاء بذكرى الإله وأفضاله على البشر .

وإذا ما إستعرضنا الاحتفالات الدينية الكبرى ، نستطيع أن نميز بين أربعة منها، وهى :

---

(1) كما كانت هناك عبادة «الأبطال» كذلك ، بعد تأليههم ، كما كان الحال بالنسبة لهرقل وأجاكس ، عن هذا الموضوع إقرأ أحمد عتمان : الأدب اللاتينى ، القاهرة .

(2) تقع إلى الشمال الغربى من أثينا ، وأنه لم يتم العثور فيها على أى أثر مصرى أو من مصر حتى الآن ، ذلك لأنه عُثِرَ على أشياء أجنبية أخرى ، مثلاً فينيقية ، فى هذا المكان ، وعثر على أشياء مصرية كثيرة فى معابد أخرى ولاسيما فى ساموس ورودوس .

(3) لعل أشهر زيارة تاريخية ، أجمع عليها المؤرخون القدامى ، هى زيارة الإسكندر الأكبر لهذا المعبد ، وهو فى طريقه إلى الشرق ، منذ عام 334 ق.م . ولكن الكاهنة لم تجبه إلى طلبه ، فركلها بقدمه غاضباً ! .

أولاً : الأعياد البيثية (Ta pythia) ، وكان الاحتفال بها يتم كل أربع سنوات ، فى منطقة دلفى ، سرة العالم القديم[1] ، وذلك تكريماً للإله أبوللون .

ثانيًا : الأعياد الإثمية (Ta Ísthmia) ، وكانت تتم كل سنتين عند معبر قناة كورنثوس ، في وسط اليونان ، وذلك تكريماً للإله «بوسيدون» إله البحر .

ثالثًا : الأعياد النيمية (Ta Némeia) ، وتقام كل سنتان فى منطقة نيميا بمحافظة أرجوليذا ، لتكريم رب الأرباب والبشر على السواء ، زيوس .

رابعًا : الأعياد الأوليمبية (Ta Olympia) ، وتقام كل (4) سنوات فى مدينة أوليمبيا ، من محافظة إيليا، وذلك تكريماً ، أيضًا ، لكبير الآلهة جميعاً ، زيوس، ومعه زوجته هيرا .

لقد وصلت قضية الإيمان قمة إزدهارها ، بين الناس وفى قلوب عامة الشعب اليونانى ، عندما تم إنتصار اليونانيين على الفرس عام 480 ق.م . ومنذ ذلك التاريخ، يسجل التاريخ أزهى عصور الحضارة اليونانية ، التى لم تلبث أن تخلصت من هذا القيد على حرية تفكيرهم ، كما سمى الدين والعبادات بعض شعرائهم وفلاسفتهم فى أواخر القرن الرابع والثالث ق.م . وهنا بدأت قصور الدين ، التى تمثلت فى المعابد والكهنوت والسلطان فى الإنهيار ، رويداً رويداً ، معطية العقل البشرى ، حرية الإنطلاق إلى مابعد الطبيعة ، ولهذا إنتشرت الفلسفة بفروعها .

وإذا كان هوميروس قد أعطانا فكرة كثيرة الملامح ، مبعثرة التفاصيل وعليناأن نجمع نحن قصاصات صورتها من بين سطور ملحمتيه ، فإن هيسيود ذلك الداعية الوديع والحكيم ، قد قدم لنا أوضح وأشمل وصف لعالم الآلهة اليونانية آنذاك ، وذلك ضمن موضوع واحد ، كتبه خصيصاً لذلك وهو «أنساب الآلهة»[2] (Theogonia) .

وهى قصيدة من نوع الشعر التعليمى ، فى شكل قصيدة شعرية ملحمية تحذو حذو هوميروس ، تعلم اليونان أصول دينهم ونشأته وتكوينه وعلاقات وأنساب آلهته . فكانت بمثابة كتاب مقدس ، يجلُونه كل الإجلال ، ويحترمونه كل الإحترام ، حتى أن

---

(1) دلفى ، فى الأساطير اليونانية ، هى المكان الأوسط بين العالم أجمع ، ولهذا يرمز إليها بالسُرَّة، وكثيراً مانجد آثاراً تدل على ذلك فى منطقة دلفى ومعروضة الآن بمتحفها هناك .

(2) هي كلمة مكونة من كلمتين الأولي وهي : (Theós) وتعني إله . والثانية وهي : (génos) وتعني: «نسب» و«ميلاد» ، وهي تشبه كلمة : أصل . ومن ثَم ، فإن هذه الكلمة المركبة تعني«أصل الآلهة» أو «العنصر الإلهى» .

هيرودوت ، أبا التاريخ القديم ، إعتبَر ناظمِها «خالق الدين اليوناني» وواضع أُسسه مع هوميروس .

إن روح هيسيود المؤمنة والمتدينة تحس بها إحساساً كاملاً من خلال ما كتبه، في المقام الأول ، في «الأعمال والأيام» تلك القصيدة التى تعتبر مؤشراً على تطور الدين اليونانى ، لأنها رفعته إلى منزلة سامية وجردته من صفته المادية التى كان بها فى أشعار هوميروس . فالدين عند هيسيود وجد لخدمة العدالة التى سهر كبير الألهة على تطبيقها ويعاقب الخارج على قوانينها ، كان ذلك تمهيداً لظهور الفلسفة الخلقية[1] .

ويقول عبد الواحى وافى[2] : **«وقد أستمد المؤلف مادتها –أى «أنساب الآلهة»– من الأساطير المنتشرة فى عصره ، بعد أن جمع شتاتها ، وربط عناصرها ببعض ربطاً محكماً ، ووفق بين المتنافر منها هذب ما كان يعوزه التهذيب من مسائلها ، ورتب حوادثها ترتيباً منطقياً يسوده الإنسجام ، ومتفق مع مناهج البحث التاريخى السليم ، وحرص على ألا يضمنها إلا العقائد العامة التى يعتنقها جميع اليونان»** .

وإذا ما أردنا تكوين صورة كاملة الأبعاد عن عقيدة وفكر اليونايين الدينى فإننا نستطيع أن نقول بإيجاز شديد ، أن القدر (Moira) ، كان له اليد الطولى فى مجريات الأحداث جميعها ، وسواء للآلهة أم للبشر ، فلا راد لهذا القضاء والقدر ، ثم يتلو ذلك العديد من الآلهة ، وعلى رأسهم زيوس –كما ذكرنا– الذى جاء إلى الأرض والملكوت عقب معركة فاصلة مع عمالقة السماء (Gígantoi) ، ثم أنصاف الآلهة وهم حاشية وأتباع الآلهة أمثال : والساتيرى (Sátyroi) أتباع ديونيسوس وأخيراً الأبطال الذين يؤلهون . كل ذلك أخذ شكل الأسطورة تبسيطاً لمظاهر الكون ، وتجسيماً لقوى الطبيعة وتيسيراً لفهمها .

وإذا ما استعرضنا بعض آراء هيسيود فى الآلهة والدين وجدناه يقول :

(1) إن الآلهة والبشر على السواء ، هم أبناء الأرض ، الأم الكبرى والأفضل للجميع .

(2) إن القدر يحمل للبشر الشر وكذلك الخير ، بينما عطاياه للآلهة الخالدين لا مفر منها .

(3) **«صلّي للآلهة .. فإننا نكرم الآلهة وتقدم لها القرابين»** .

---

(1) محمد صقر خفاجة : تاريخ الأدب اليوناني ، سلسلة الألف كتاب (61) ، القاهرة 1965 ، ص62.

(2) الأدب اليونانى القديم ، دار النهضة بمصر للطبع والنشر ، القاهرة 1979 ، ص97 .

هكذا كان هيسيود ، بحق ، داعية الإصلاح والمساواة بين البشر ، على أساس العدالة الإجتماعية التى كان على ثقة من أنها ستسود مجتمعه ، فى النهاية ، وأن المدينة العادلة لن تقاسى أية مصائب .

(2) ثانياً -الفكر الملحمى :

كما قلنا من قبل ، إن أول مصادرنا عن حياة وفكر يونانى العصور التاريخية فى بلاد اليونان ، جاء واضحاً فى الإلياذة والأوديسيا ، وهكذا يصبح هوميروس ، أو من ألفوا هذين العملين الخالدين ، بمثابة المرجع للفترة فيما بين 1200 - 800 ق.م .

يقول أحمد عتمان[1] : «ومن ثم لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن هذا التراث الشعرى الشفوى وما به من تأثيرات شرقية واضحة يعد الفصل الأول الذى بدونه لايفهم كتاب الأدب الإغريقى» . والحقيقة أنه بدون هوميروس ، لا يستطيع أحد أن يتكهن بأوضاع المجتمع أو المجتمعات اليونانية إبان الفترة التاريخية التى سبق ذكرها .

لقد حتم هذا الوضع ، أن يكون الفكر الملحمى البطولى ، هو الشكل الشائع لدى يونانى تلك الأربعة قرون من تاريخ الهيلليين المبكر ، وما مر ببلادهم من أحداث وما عاشه أسلافهم من ماضٍ مجيد ، يقوم على الحروب والبطولات الفردية منه والجماعية .

لقد كان تراث المجتمعات القبلية اليونانية فى القرنين التاسع والثامن ق.م . لايتعدى الأساطير ، والعديد من الحكايات الشعبية الفولكورية ، التى تروى بطولات عديدة ، قام بها أسلافهم ، فى الماضى البعيد ، الذى سطروه بحروبهم واعتداءاتهم المتكررة وغاراتهم المستمرة وأعمال القرصنة البحرية على سواحل البحر المتوسط وجزره .

ولهذا تسمع عن أن أولئك الآخيين كما ذكرهم هوميروس[2] كاسم مرادف ، يقومون بحربهم ضد طروادة التى أصبحت ملحمة الملاحم البطولية فى إلياذة هوميروس . ويعود أوديسيوس بالبقية من رفاقه من حرب طروادة ، فتكون المغامرات المثيرة التى كانت موضوعاً لملحمة ثانية خالدة هى الأوديسيا .

كما نسمع عنهم يقومون بغزو قبرص واحتلالها فى نهاية القرن الثالث

---

(1) المرجع السابق ، ص18 .

(2) الإلياذة ، النشيد الأول ، سطور 42 ، 71 .

عشر[1] . ثم نراهم تقريباً فى نفس الوقت يعتدون على الساحل الشمالى لمصر ، فيقوم مرنبتاح ، الفرعون بطردهم وهزيمتهم شر هزيمة ، فيعودون أدراجهم من حيث أتوا . إن هؤلاء ، هم أنفسهم القراصنة الذين عرفوا فى المصادر الحيثية باسم أهياوا أو أكاواشا (ACHIYYAWA)[2] ، والذين كانوا مع بقية شعوب البحر[3] .

وجدير بالذكر أن تكون الحرب الطروادية ، كما جاءت فى إلياذة هوميروس هى الحرب اليونانية (الهيللينية) الوحيدة فيما قبل التاريخ ، التى تجمع فيها العديد من قبائل هيللاس تحت إمرة أشهر ملوكهم وأمرائهم ونبلائهم لخوض معركة ضد عدو أجنبى ، إختلقوا لها الأسباب والعلل الواهية -فى نظرنا- وأخفوا أطماعهم الإستعمارية الإقتصادية خلف سبب أخلاقى وجدوه كافياً -ربما- لاستثارة حماسة وكرامة قبائلهم المتفرقة . ولما كان إنتصار اليونانيين كاسحاً ، فقد ظلت هذه الحرب تثير فى نفوسهم اعتزازهم بكرامتهم وأخذهم بثأرهم من الأجنبى . وغدت تلك الملحمة ، فى العصور التالية ، أى فى العهد الهومرى (850 - 750ق.م)[4] ، رمزاً لوحدة واتفاق الهيللينين وانتصارهم لعزة نفوسهم .

يقول أحمد عتمان[5] : «بعبارة أخرى ، فإن رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هى رواية أسطورية ، أى الرؤية الشاعرية والملحمية لحرب حقيقية، وقعت بالفعل فى تاريخ يقع ما بين 1280 ، 1183 ، برأى معظم المؤرخين . المهم أن هوميروس يصف أحداثاً تاريخية قديمة جداً بالنسبة له ، إذ تسبقه بحوالى ثلاثة قرون، وهو يستمد روايته من الموروث الشعبى المألوف والمتداول شفاهة» .

إذن ، نحن أمام واقع تاريخى ، تناولته ألسنة المنشدين والشعراء بالترديد

---

(1) GURNEY, O.R., The Hittites, Pelican Edition, pp. 46-50 & Bury, J.B., A History of Greece, HongKong 1972, pp. 43-44.

(2) Hammond, op. cit., p. 66 : "The term 'Akhaioi' seems rather to have been a traditional one harking back to the days when the Hittite king had had diplomatic relations with the king of 'Ahhiyava'".

راجع ذلك عند العلامة بيرن فى كتابه : Burn, A.R., The pelican History of Greece, Great Britain, 1965, pp. 48-53.

وورد ذكر هؤلاء فى النصوص الهيروغليفية بالحروف التالية : (K - W I SH) .

(3) أنظر أحدث كتاب عن الموضوع : Sandars, N.K., The Sea-Peoples, London, 1978.

(4) كما أرّخ لها د. أحمد عتمان ، المرجع السابق ، ص23 ، وواضح أن القصد هنا هو تاريخ لهوميروس نفسه .

(5) المرجع نفسه .

(1) الترجمة العربية للدكتور لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص27 ، (الإلياذة : 670 - 674) ،

والتكرار ، وبالطبع بالإضافة ، وتكسّبوا من ذلك ، بما يقدمونه من مادة مسلية لمستمعيهم .

ومن هذا الواقع التاريخى نسمع أحد أمراء أو ملوك اليونانيين آنذاك ، وهو نستور ، ملك پيلوس ، يقول : «**كنت فى شرخ الشباب ، ولدى من القوة ما كنت أملك ، حين شب نزاع بيننا وبين أهل إيليس بسبب غارة الحصول على الماشية .. لقد كانت الغنائم التى أخذناها كثيرة**[1] » .

وبالمثل ، فإننا نسمع أخيليوس الشخصية البطولية المحورية فى الإلياذة يقول :

«**أن الحياة تحصل عليها مرة واحدة ، أما الماشية فتستطيع الحصول عليها فى أية غارة**»[2] .

هكذا تتضح شخصية وروح عصر ما قبل هوميروس ، الذى كان يصفه وكأنما يعيشه ، فأجاد وأبدع وخلد كل عصره ، حتى غدت إنجيل كل العصور اللاحقة .

ولكن ماذا عن المجتمع الهومرى ذاته؟

هذا كله لا يعنى أن حياة القرن التاسع ق.م . فى بلاد اليونان ، كانت قاصرة على التسلية والروايات البطولية ، التى تخلد الماضى المجيد لهؤلاء القوم من الناس . كما كانت حياة الهيلليين حياة نابضة بالحركة والنشاط الدائب فى شتى أمور حياتهم. فقد عرف اليونانى القديم الزراعة والرعى ، كأهم مصادر إقتصاده ومعيشته[3] ، وقد مارس حرفتى التجارة والصناعة فضلاً عن استعداده الطبيعى للهجرة إلى خارج بلدهم الفقيرة[4] .

وحقيقة الأمر أن المجتمع الهومرى كان يعيش فترة انتقال حضارية ، مع ما يصاحب مثل هذا التغيير التدريجى فى حياة أمة من الأمم من مظاهر القلق والتفكك وهدم الاستقرار ، والتأرجح بين القديم والجديد . فكانت تلك المجتمعات عبارة عن تجمعات قروية ، وقبلية بدائية ، يسيطر على أنظمتها الأغنياء من النبلاء والأمراء . حتى المدن الكبيرة ، لم تكن تشكل تجمعات متكاملة متكافلة ، فكانت العشائر والأسر ،

---

(1) الترجمة العربية للدكتور لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص27 ، (الإلياذة : 670 - 674) ، وفيها يذكر هوميروس تلك الغنائم من بقر ، وخيل وماعز ، (سطور 678 - 680) .

(2) المرجع نفسه .

(3) المرجع نفسه ، ص ص 30 - 32 .

(4) المرجع نفسه ، ص ص 33 - 39 .

هى أساس تقسيم تلك التجمعات[1] .

ورويداً رويداً ، بدأ الملك يفقد سلطانه ، ولم يعد دور النبلاء والأشراف إستشارياً فحسب ، بل تعدى إلى الرأى والفصل فى المشاكل ، بعد أن تعرض حق الوراثة الملكية لاعتراضات الطبقة الأرستقراطية[2] . فها هو تليماخوس يشكك فى الرأى السائد بأن أسوأ شىء فى الدنيا هو أن تكون ملكاً[3] .

ولكن طبقة العامة من نفس المجتمع الهومرى المعاصر كانوا بين أمرين :

الأول : كسواد أعظم يعملون أجراء عند الإقطاعيين وأصحاب الأملاك ، فكانوا كالعبيد، لايملكون حق تقرير مصيرهم ، أو حتى رفع عقيرتهم بالشكوى . فها هو المسكين ثرسيتيس ، الذى نال من التحقير والمهانة والضرب حتى **«انفجر باكياً وألتهب ظهره من أثر الضرب وجلس وقد بدا عليه الذعر وغلبه الألم ، حيث طفرت الدموع من عينه ، وجعل ينظر حوله فى حالة تدعو للرثاء»**[4] . بينما راح الآخرون يسخرون منه رغبة منهم فى التسلية . وهذا كله بسبب جرأته على توجيه اللوم للملك أجاممنون ، طالما هو من عامة الشعب وأحقر من تبع آل أتريوس إلى طروادة .

والثانى : أهل حرف وصناعات حقيرة صغيرة ، أو تجاراً فيما بين قراهم وتجمعاتهم الصغيرة الفقيرة .

وعلى عكس الإلياذة ، نجد روح السلام ، ومظاهر الفرح والطمأنينة والاستقرار تسيطر على أبيات وأناشيد الملحمة الثانية «الأوديسيا» ، والتى تروى رحلة العودة للرفاق اليونانيين بعد حربهم فى طروادة ، والمغامرات الشيقة التى عاشوها ، بما فيها من أخطار وأهوال .

وقد كان وصف هوميروس لمجتمع الفياكيين[5] وصفاً لمجتمع مثالى –بدأ بالفعل يحل محل مجتمع الحرب والغارات والإقتتال كما كان معروفاً مع العصر البطولى الميكينى– ، وهذا فى حد ذاته دليل أدبى (؟!) على روح العصر الجديد الذى بدأ المجتمع اليونانى ، فى القرن الثامن ق.م ، يتحلى به ، عندما بدأت بوادر الأنماط

---

(1) لطفى عبدالوهاب ، المرجع نفسه ، ص40 .

(2) المرجع السابق ، ص ص 42 - 45 .

(3) الأوديسيا ، النشيد الأول ، الأسطر : 391 - 392 .

(4) الإلياذة ، النشيد الثانى ، الأسطر : 265 - 269 .

(5) الأوديسيا ، النشيد السابع والثامن .

الإجتماعية الجديدة تأخذ طريقها إلى حيث التجمعات الهيللينية المتفرقة ، فتدفعها إلى الإيمان بضرورة الوحدة السياسية ، كلما سمحت بذلك الأحوال والتضاريس الجغرافية. وهكذا وجدنا القرى الصغيرة تتحد وتصبح مدناً أكبر ، ثم تتحد تلك المدن بدورها فى هيئة مدن أكبر وأكبر لتكون مدناً –دول (Póleis-Kráte) ، كانت هى جوهر كل تقدم أحرزته العقلية اليونانية فيما بعد من عصور الازدهار والنمو الحضارى .

وما يقوله الفياكيون ربما كان أبلغ مؤشر لحياة العصر الجديد ، عصر المتعة الجسدية والعقلية ، على السواء : **«إننا نجيد الملاكمة والمصارعة ، ولكننا عداءون أيضاً وبحارة من الطراز الأول . كما تهوى قلوبنا المأدبة والقيثارة ، التى تصاحب الاحتفال الحافل ، ونعشق الرقص والملبس والحب والنوم[1] »** .

وهكذا نجد وصفاً خيالياً ، بعيداً كل البعد عن حالة المجتمع اليونانى إبان إنشاد تلك الملاحم ، فى القرن الثامن ق.م . ولكننا بالقطع أمام أوصاف مجتمع ملكى بائد ، منذ عدة قرون مضت . وربما كانت ملامحه تلك من بقايا التراث الأقدم الخاص بأحد المجتمعات الثرية على أرض بعض الجزر اليونانية ، وعلى الأرجح ، أن تكون جزيرة ثيرا أو كريت . فلماذا إذن نميل إلى هذا الترجيح ؟ . إننا –فى ضوء الدليل **الأثرى المتاح حتى الآن– لانعرف حضارة معاصرة لهوميروس بهذا الوصف ، ومن ثم علينا أن نبحث عن أرضية واسعة تتجسد فى كل تلك الملامح السابقة الذكر ، كالتالى:**

(1) أنه كان مجتمعاً ملكياً ثرياً ، بغض النظر عن مصادر هذا الثراء ، حيث لاإشارة إلى ذلك . وكانت كريت وثيرا ، فى القرن 15ق.م قد عرفتا حياة رغدة جداً ، بشهادة الحفائر فيهما .

(2) أنهم كانوا بحارة مهرة ، إذ يؤكد النص الهومرى صلتهم القوية بالبحار والتجارة مما يزكى كريت وثيرا أكثر من غيرهما .

(3) حب المجتمع الفياكى –الذى لانعرف له مكاناً ولاذكراً فى أى دليل أثرى حتى الآن– للرياضة والموسيقى ومتاع الدنيا ، جاء أوضح ما يكون فى حفائر ثيرا (لوحة الغلامين المتلاكمين) وكذلك كريت ، وبصفة خاصة لوحات السيدات وملابسهن المزخرفة وزينتهن الرائعة (انظر شكل رقم 12) . هذا فضلاً عن الميكياچ المودرن جداً لصورة المرأة الپاريسية (!!!) . كما وصفها مكتشفها آرثر إيڤانز (شكل رقم /11) .

---

(1) الأوديسيا ، النشيد الثامن ، الأبيات : 61 ، 100 - 103 .

(3) ثالثاً -الفكر التعليمى :

بعد أن سيطر الفكر الملحمى الأسطورى على عقلية اليونانيين فترة طويلة من الزمان ، إستغرقت قروناً ، ظل العقل اليونانى فى القرنين التاسع والثامن ق.م، يعيش خلالها على أمجاد الماضى التليد . وبعد أن بدأ المجتمع اليونانى يعرف أنماطاً جديدة للطبقات الإجتماعية والسلوك الإجتماعى ، على أثر حركة الإستيطان الكبيرة التى شهدتها سنوات هذين القرنين وما تلاهما ، شرقاً وغرباً ، وما نتج عن تلك الحركة من ثراء واسع عاد بالخير على طوائف جديدة من المجتمع ذاته ، الذى أفرز بدوره ، مجموعة هائلة من العلاقات الإجتماعية المستحدثة ، بفعل هذا التراث الضخم ، المنقول عن الشرق العريق بحضاراته الأقدم ، فإن هذا كله أدى فى نهاية المطاف إلى تكوين الملامح الفريدة للعقلية اليونانية وللتفكير اليونانى .

وإذا كان هناك من فضل للفنيقيين يجب أن نذكره فإنهم هم الذين نقلوا لليونانيين أشكال أبجديتهم[1] . وراح اليونانيون، بما جبلوا عليه من دقة فى النقل والتقليد والمحاكاة ، وما آتاهم الله من عبقرية الإضافة والتجديد ، يرسمون هذه الحروف بأشكال جديدة تفردت بها هذه الحروف اليونانية التى نعرفها حتى يومنا هذا.

عندئذ ، كانت المدن -الدول قد بدأت تأخذ أشكالاً محددة ، وواضحة المعالم ، بما ظهرت معه الحاجة إلى ضرورة إيجاد تعاليم ثابتة ، تكون بمثابة قوانين وضعية يسير على هداها هذا المجتمع الجديد الذى يؤلف بين قلوب شتى من أصحاب الحرف والصناعات ، ويقنن العلاقات الإجتماعية بين أفراده من ميراث وبيع وشراء وتزاوج وغيرها . كل هذه التعاليم كانت تصاغ فى صورة أبيات من الشعر ، إتباعاً لنفس الأسلوب القديم فى إنشاء الملاحم القديمة .

ويقول سيد الناصرى[2] ، واصفاً نظام المدينة -الدولة (Polis-Krátos) :

«لقد كان الفكر الإغريقى يجمع ما بين العملية والواقعية وبين التأمل المثالى وقد تحقق ذلك فى مجتمع دويلة المدينة ، حيث وجدوا الحلول لمسألة الجمع بين

(1) فى هذا الموضوع ، إقرأ ، سيد الناصرى : الإغريق : تاريخهم وحضارتهم ، الطبعة الثالثة القاهرة ،1981 ، ص ص 129 - 133 .

(2) المرجع السابق ، ص 102 ، لابد أن يقتصر هذا الوصف على المجتمع الخيالى الإنسانى فى عقلية الشاعر ، وليس بالضرورة على الواقع المرير الذى كان يحياه الفقراء آنذاك .

الثقافة والحرية السياسية ، وذلك عن طريق المساواة والإخاء بين المواطنين فى المدينة، لا فرق بين الغنى أو الفقير ، أو الحاكم أو المحكوم»[1] .

هذا وإن كانت الممارسات الحقيقية داخل المجتمع اليونانى وبين طبقاته ، تختلف كل الإختلاف عن تلك الروح الإنسانية المثالية ، وإحقاقاً للحق ، فإن نشأة المدن -الدول اليونانية ، كان بمثابة الخطوة الأولى على طريق تشكيل المجد الحضارى لشعب اليونان ، الذى أبهر وأدهش العالم أجمع وإذا كانت كل مدينة- دولة، هى أنسب الأوساط والأنماط للمجتمعات البشرية ، التى تزاول فيها ومن خلالها جميع أنشطتها بحرية تامة لكل فرد فيها ويمارس كل حقوقه السياسية كاملة :

(1) الحرية السياسية . 1) Eleuthería :

وحيث يجد نفسه داخل مجتمع ذى سيادة مستقلة ذاتياً ، تنبع من داخله :

(2) الإدارة الذاتية . 2) Autonomía :

وحيث يعيش حياته على إقتصاديات مدينته المكتفية ذاتياً كذلك :

(3) الإكتفاء الذاتى . 3) Autárkeia :

لقد كان القرنان ، العاشر والتاسع ق.م ، بحق فترة هدوء نسبى ، راحت خلالها المجتمعات القبلية اليونانية تستشعر إمكاناتها وتتعرف على هويتها - عقب الغزو الدورى والاختلاط المستمر مع العناصر القادمة والهجرات الجماعية الذاهبة من مكان لآخر - وصدق وصف بعضهم لها بأنها كانت فترة «بعث حضارى»[2] .

ويقول لطفى عبدالوهاب[3] ، كذلك ، : «إن المجتمع المنظم كان هو المحور الأساسى الذى يدور حوله مفهوم الدولة فى الفكر السياسى اليونانى فى أواسط القرن التاسع ق.م - كما نستنتج ذلك من المشاهد التى تضمنها ملحمتها الإلياذة ، والأوديسيا المنسوبتان إلى هوميروس ، مجرد مجتمع منظم له أركان ثابتة مستقرة ، سياسياً واقتصادياً ودفاعياً ، واجتماعياً ، يصلح هيكلاً أو تكويناً للدولة المنشودة - ولكن المجتمع اليونانى الذى ظهر فى هذا الفكر ، مالبث أن شهد تطورات جديدة غيرت من

---

(1) فمثلاً نجد فى الأوديسيا ، مثلاً لذلك من النص 3 ، كيف أن الأميرة ناوسيكا ، كانت تغسل ملابسها مع خدمها (الكتاب السادس ، الأسطر : 38 - 40) . ولكننا نحن نرى أن ذلك يخص المجتمع البطولى الأقدم وليس مجتمع هوميروس نفسه ، أو حياة المدن - الدول ، المقصودة هنا بالشرح ، إبان القرنين الثامن والسابع ق.م ، ومن ثم فقد جانب الصواب أستاذنا ، يرحمه الله .

(2) Coldstream, N., Geometric Greece, London 1977. p. 367.

(3) اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، الأسكندرية (بدون تاريخ نشر) ، ص233 .

أبعاده بعض الشئ وأدى هذا التغيير ، بالضرورة إلى نظم الملحمتين المنسوبتين إلى الشاعر اليونانى هيسيودوس «سلالة الآلهة» (Theogonia) .

ويقول الأستاذ أمين سلامة[1] ، عن هيسيود مايلى :

"He was the first who, by his glorification of justice and honest work, raised the standard of Greek morality".

ذلك لأنه – فى نظر الباحث نفسه – «أول مثال لشاعر ، يُدخل ويقدم فلسفة جديدة إلى العالم اليونانى ، تلك الفلسفة التى عالجت – فى المقام الأَول – السلوك والمظاهر الأخلاقية [2] . كما أعطاه لقباً – جديراً به – هو[3] :

"The first peaceful voice of wisdom"

ويؤكد لطفى عبدالوهاب [4] ، وهذا شأنه دائمًا فى كل أبحاثه ، على القيمة الإجتماعية والتاريخية لفكر وفلسفة هيسيود ، فى تلك المرحلة التاريخية من تطور المجتمع اليونانى وسلوكياته . فهو يؤكد – كما أكد الشاعر اليونانى نفسه – على مظهرين أساسيين لابد أن يكونا سلوكاً للمجتمع «الطيب» ، كما أسماه د. لطفى ، وهما: العمل والعدالة . ويستشهد مؤرخنا المدقق ، على قيمة العمل ، كمعيار أساسى عند هيسيود . (ولقد آثرت أن أكتب المصطلحات والتسميات بأسمائها الحقيقية فى اللغة اليونانية، حتى يتسنى للدارس معرفة شكلها الأصيل ويرجع إلى نصوصها إذا أراد الإستزادة والبحث ، وذلك من أول الكتاب حتى آخره ، لعل الفائدة تكتمل لبناء المجتمع اليونانى النامى آنذاك) ، بما جاء عند ذاك الشاعر ، إذ يقول :

(1) «إذا كنت تصبو إلى الثروة ، فطريقات إلى تحقيق ذلك هو أن تَنْكَب على العمل ثم العمل» .

كما نجد نحن كذلك أمثلة أخرى كثيرة تؤكد على نفس القيم ، مثل :

(2) «إن العمل ليس عاراً ، ولكن العار هو البطالة» [5] .

---

(1) Amin Salama, Hesiod's Ethical Poetry, A Thesis Presented to the Univ. of Fouad 1, for the Degree of M.A., 1946, Cairo, p. 46.

(2) Ibidem, p. 46.

(3) Ibidem, p. 47.

(4) المرجع السابق ، ص ص 233 - 239 .

(5)Hesiod, I. 311 : "Ergon d, oudén ónoidos, aergie de t, ónoidos" .

وإذا كان العمل سيحقق الثراء وكثرة الأموال ، فإن شاعرنا ، وإذا جاز لنا القول ، فإن مصلحنا الإجتماعى أو الداعية ، يوضح أيضاً طريقة الحصول على هذه الأموال ، فيقول :

(3) «لاتحصل على الأموال بطرق غير مشروعة (بالخطف) ، فإن عطاء الله أفضل بكثير» [1] .

- "Khrémata d, oúkh arpaktá, theósdota pollón ameino" .

(4) «فلايكون كسبك حراماً ، فإن الكسب الحرام يقودك (بنفس القدر) إلى الدمار[2] .

- "Mé Kaká Kerdaínein, kaká kérdia ísa átesen" .

وفى خضم هذا كله ، لم ينس هيسيود أنه فلاح فقير ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين غيره من أبناء الريف ، الأجراء عند النبلاء والأرستقراطيين ، أو صغار الملاك ، الذين كانوا يطمعون فى تحسين مستواهم الإجتماعى ، ولكن بشرف ، وبعرق الجبين ، كما سمعناه من قبل يحض على العمل الشريف فى مجتمع القرن الثامن ق.م.

ولهذا نجده يدعو إلى أخلاق فاضلة ، تكفل تحقيق مبدأ العدالة بين الناس حتى يتسنى للجميع الفرصة المتكافئة فى الكسب والثراء . وهو بذلك لايطمع فى دساتير وضعية وقوانين تحفظ حقوق الناس ، وبالذات للفقراء منهم ، لضعفهم ، ولكن يطمع فى أن تسود المجتمع سلوكيات حميدة ، تسمو بالأفراد ، فتحقق العدالة التى كان يسعى إليها وينادى بها بشتى الوسائل .

وهاهو يقول عن الغنى والفقر . مايلى :

(1) «إن العار لإحساس سئ ، يجلب الفقر للرجل [3] » .

(2) «إن الثروة (الأموال) هى دائماً أمل الناس المعدومين» [4] .

ذلك لأن المجتمع آنذاك ، فى بدايات القرن الثامن ق.م . كان يُقدِّر الثراء والغنى ، فكان مجتمع الأغنياء ، ذوى الامتيازات السياسية ، كنتيجة طبيعية لإمتيازهم الطبقى حيث كان :

---

(1) IBID., I. 320.
(2) IBID., I. 352.
(3) IBID., I. 317 : "aidos d, oúk agathe kekhreménou ándra komízei" .
(4) IBID., I. 686 : "Khrémata gár Psykhe péletai deiloisi brotoisi" .

(3) «المجد والشرف يسيران خلف الثراء» [1] .

ثم يواصل هيسيود حديثه عن أخلاقيات أخرى يتمناها أن تنتشر وتعم المجتمع الجديد ، فيعرف طريق الخير وطريق الشر ، ويدعو إلى الإعتدال فى كل شئ ، فيقول:

(1) «إن طريق الشر ممهدة وقريبة جداً ، بينما طريق الخير طويلة ، ممتدلة ، وشاقة صعبة[2] .

(2) «لاتتسرع فى عمل أى شئ ، فإن الإعتدال[3] هو أفضل الأشياء» .

ويتطرق هيسيود إلى أمور كثيرة جداً ، تشمل الحياة الاجتماعية بكل علاقاتها وسلوكيات الأفراد ، من صدق وكذب [4] ، ومن إحسان وعطاء [5] ، ومن صداقات وأخلاقيات وعلاقات للرجل مع المرأة [6] ، وغيرها الكثير . إنه رجل ذو تجربة ذاتية خاصة فى المجتمع الذى كان يعيش فيه ، وكانت له رؤيته الخاصة التى سجلها لنا ، وكنا محظوظين ، فعلاً ، بالتوصل إليها . إنها – فى مجموعها – فلسفة هيسيود فى حياته ، التى كانت جزءاً من حياة المجتمع اليونانى آنذاك .

---

(1) IBID., I. 315 : "Ploúto d, areté kai kydos opedeí" .


(2) IBID., I : 289 - 291.

(3) لايذكر النص اليونانى كلمة الإعتدال ، بل كلمة (méson) ، أى «أنصاف» أو «أواسط الأمور» .

(4) «إذا بدأت بالكذب ، فإن فائدته قليلة ، ولكن عاقبته شائنة وسيئة على السواء» .

(5) نحن نُحسن إلى المحْسِن ، ولانعطى لمن لايُحْسِن» .

(6) «ليس أفضل للرجل من زوجة صالحة ، وليس أسوأ له من زوجة طالحة» .



الباب الرابع

تاريخ الرياضة عند الإغريق

(دراسة تاريخية - أثرية)

الفصل الأول

في الألف الثانية قبل الميلاد

الفصل الثاني

تاريخ الألعاب الأوليمبية القديمة

(فلسفتها - بدايتها - تاريخ ألعابها)

الباب الرابع

تاريخ الرياضة عند الإغريق

(دراسة تحليلية أثرية) [1]

الفصل الأول

فى الألف الثانية قبل الميلاد

إن أقدم إشارة أدبية لدينا عن بداية ممارسة الرياضة وبعض لعباتها عند اليونانيين القدماء (الهيللينيين) جاءت فى إلياذة هوميروس بصفة عامة حيث جاء على لسان ملك «الفِياكِيُون» ، ما يمكن ترجمته كالتالى :

«إننا نجيد الملاكمة والمصارعة ولكننا عداءون أيضاً وبحارة من الطراز الأول» كما تهوى قلوبنا المأدبة والقيثارة التى تصاحب الاحتفال ، ونعشق الرقص والملبس والحب والنوم» .

وتلك إشارة من القرن التاسع ق.م -حيث يؤرخ بعض الدارسين للعصر الهومرى ، عن مجتمعين مختلفين تماماً ، فالمجتمع الأول ، فى الاشارة الأولى حول احتفالات أخيليوس البطل المحورى فى الإلياذة عند إقامته لطقوس جنازة أعز أصدقائه باتروكلوس ، تلك الاحتفالات التى كان من بينها سباق العربات . وفى ضوء الدليل الأثرى الذى وصل إلينا بفضل الحفائر الدائمة فى اليونان وقبرص يمكننا القول بإمكانية وقوع مثل تلك الأحداث الرياضية ، ذات المغزى الدينى كطقس من الطقوس الجنائزية ، طالما أن العجلة الحربية التى تشدها الخيول ، كانت سلاح النبلاء والأمراء فى المعارك والاعتداءات . وهكذا نملك اليوم الدليل الأثرى على مصداقية هذا الجزء الأول من الوصف الذى ينطبق على أواخر العصر الميكينى .

ومن أهم أحداث تلك الفترة الحرجة هو حينما وقعت الحرب الطروادية حوالى بدايات القرن الثانى عشر ق.م وهو الموضوع الذى خلدته لنا واحدة من أقدم آنية أتيكا الموقعة باسم مزخرفها ، الفنان الرسام الآثينى القديم .

---

(1) ألقى هذا البحث فى المؤتمر الأول لتاريخ الرياضة - كلية التربية الرياضية (1986) - جامعة المنيا . وتم نشره في مجلة قسم التاريخ -كلية الآداب ، جامعة المنيا ، مجلة التاريخ والمستقبل ، المجلد رقم (1) -العدد الأول 1987م .

أما الإشارة الثانية فى الأوديسيا فهى تتحدث عن مجتمع سمّاه هوميروس «الفياكيون» ذلك المجتمع الذى لانعرف فى الواقع حتى الآن عنه شيئاً . ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى القول بأن هذا الوصف ما هو إلا عمل من خلق خيال الشاعر ربما خلط فيه الشاعر بعض المعلومات التى كان يعرفها عن مجتمع بحرى ، يقطن احدى جزر البحر الإيجى من المحتمل أنها كانت جزيرة ثيرا إبان العصر الميكينى (1600 - 100ق.م) . هذا على أحسن تقدير ، ذلك لأنه لم يكن باليونان كلها -فى العصر الهومرى- أى مجتمع يونانى يحيا تلك الحياة ذات المتعة الجسدية والعقلية على السواء ، من ناحية ، كما أن آثار ثيرا ، من ناحية أخرى ، هى الوحيدة بين آثار حضارات اليونان فيما قبل التاريخ اليونانى ، التى خلفت لنا لوحة جدارية واحدة تحكى لنا موضوعاً للملاكمة بين شابين . وهكذا يتضح الخط العام عند هوميروس ، تلك الأعمال الشعرية الشفهية ، التى جمعت تراث اليونان الأقدمين فى صورة روايات مسلية تجمع بين الخيال الجامح مع بعض حقائق الماضى التاريخية فى وقت اشتدت فيه حاجة المواطن اليونانى ، فى مجتمعاته وتجمعاته المختلفة ، إلى الإحساس بالوحدة السياسية وضرورة الاتحاد بين قبائله ومدنه -الدول وعدم الشعور بواقع قوى ملموس . فراح يفتش عن ذلك كله فى طيات الماضى المجيد حينما تجمعت بعض القبائل اليونانية (الميكينية) لأول مرة ، ولآخر مرة ، كذلك فى التاريخ القديم ، تحت راية واحدة وقيادة واحدة وضد عدو مشترك هم الطرواديين ممثلى الشرق ، فى ذاك الصراع الأبدى بين حضارات الشرق والغرب ، منذ ذلك التاريخ البعيد .

إن الحقيقة التاريخية الأثرية لايمكنها أن تسجل لنا إلا ما تُسفر عنه الحفائر . فى ذلك التاريخ البعيد من مشوار الحضارة اليونانية ، ولهذا لايمكننا أن نركن إلى القول الثانى فى الإشارة الأخيرة حول إدعاء الفياكيين بأنهم كانوا يعرفون ويمارسون رياضات وألعاب (الملاكمة والمصارعة ، والجرى) طالما أننا لايمكننا أن نؤرخ لأولئك ونحدد هويتهم الجغرافية . ولكننا مع ذلك لابد أن نقرر بعض الحقائق الأخرى هى :

أولاً : عرفت الحضارة المينويّة الكريتية لوناً من ألوان رياضة الثيران وكان ذلك اللون أقرب إلى استعراض ضمن الاحتفالات الدينية يقوم بها رياضيون مدربون فى صورة حركات بهلوانية «أكروباتيّة» (تشترك فيها الفتيات المدربات تدريباً عالياً) ويقفزون فوق ظهر الثور عند مواجهته بعد الإمساك بقرنيه ، فيلمسون ظهره بأيديهم ثم يدفعون أنفسهم بقوة ليهبطوا إلى خلف الثور حيث يتلقف اللاعب لاعب آخر يساعده حتى لايقع الأول على الأرض أو أن اللاعب يقفز من أمام الثور وماسكاً بقرنيه ، ويثب فينقلب على ظهره ويلمس ظهر الحيوان

برجليه بينما يظل ماسكاً بقرنى الثور حتى يتأكد من سلامة وقفته ولبرهة وبعدها يدفع نفسه مرة ثانية لينزل خلف ذلك الحيوان المقدس فى عقيدة الكريتيين القدماء فى الألف الثانية ق.م .

ولكن هذه الرياضة لم تكن رياضة عادية يمارسها أبناء الشعب العادى بل كانت رياضة أو طقس من الطقوس المقدسة ولاتندرج ضمن الرياضات العامة الآمنة مثل الصيد والقفز والجرى .

ويبدو ذلك واضحاً ، بما لايدع مجالاً للشك عندما نجد الموضوع نفسه وهو القفز على ظهور الثيران قد صورته لنا يد الفنان الكريتى على إناء مقدس مخروطى الشكل يدعى ريتون (The Boxer Rhyton IB) أى حوالى 1450ق.م فى الوقت الذى أكد فيه الرسام على الجو الدينى للموضوع بإظهاره –فى خلفية المنظر– بعمود يحمل فوقه تربيزة قرابين ، مما يعكس ممارسة تلك الرياضة ضمن إطار احتفال دينى مقدس.

لكننا كذلك نشاهد لوحات أخرى لرياضات غير تلك الأولى التى ارتبطت دائماً بإجراء الطقوس الدينية فى المعابد فمثلاً نجد تصويراً غائراً على خاتم أسطوانى عثر عليه بالقرب من قصر كنوسوس ويؤرخ بنهاية العصر المينوى الوسيط أو بداية العصر المينوى المتأخر أى حوالى نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن السادس عشر ق.م . يسجل ذلك المنظر لوحة فريدة فى نوعها وفى موضوعها وهى لرجلين اثنين يقفان على أيديهما ويتلامسان بأرجلهما فى الهواء فى اتجاهين عكسيين لكل منهما . إن مثل هذا التمرين الأكروباتى لابد أنه كان –فى الغالب– تدريباً أساسياً لإتمام طقس القفز فوق الثيران الذى سبق الكلام عنه .

هنا ، تجدر الإشارة إلى موضوع جديد تماماً وهو الملاكمة . الجدة فيه هو أنه يظهر لأول مرة فى آثار كريتِ المينوية وقد جاء المنظر على سطح الإناء المقدس السابق الذكر من منطقة أغياترِياذا شمال غرب قِصرِ فايستوس فى جنوب كريت . ففى إحدى المناظر الأربعة على سطح ذلك الإناء رسم رجلان يلبسان خوذتين وهما يمارسان لعبة الملاكمة . وهكذا لم تعرف كريت القديمة حتى حوالى 1400ق.م إلا لعبات تتصل إتصالاً وثيقاً بإتمام عملية تقديم الطقوس الدينية مثل القفز فوق الثيران والملاكمة ، هذا فضلاً عن العثور على أدوات ألعاب مسلية –مثل علبة الزهر المصنوعة من العاج فى كنوسوس وغيرها والتى كان لها– على الأرجح وظيفة دينية أو سحرية .. ولكننا إذا ما اتجهنا شمال كريت عبر مياه البحر الإيجى وصلنا إلى

جزيرة هامة من جزر الكيكلاذيس وهى جزيرة ثيرا ، حيث كشفت الآثار عن أكبر وأوضح رسم جدارى لموضوع الملاكمة فيما قبل التاريخ اليونانى وهو المعروف باسم (Fresco of Boxing Children) ويعتبر واحداً من أقدم المناظر التى تسجل لنا رياضة الملاكمة حتى ولو كانت بين طفلين كهذين ربما بين أخ وأخته . وقد ظهرت فيها الأيدى مغطاة بقفازات خاصة بهذه الرياضة . إن مبانى أكروتيرى فى ثيرا ولوحاتها الجدارية الرائعة كانت فى الغالب ضمن عمليات إعادة البناء والتشييد التى تمت فى تلك المنطقة من الجزيرة منذ حوالى بدايات القرن الخامس عشر ق.م (حوالى 1500ق.م) عقب البركان الكبير الذى تعرضت له الجزيرة فى تلك الفترة وأعقبته سلسلة من الزلازل القوية العنيفة التى أطاحت بكل شىء على سطح تلك الجزيرة .

ذلك المنظر الذى يصور لنا غلامين أو شابين يلاكم كل منهما الآخر فتى وفتاة كما ذكرنا سابقاً وقد وضع كل ملاكم قفازاً واحداً فى إحدى يديه . هكذا نرى للمرة الثانية رياضة الملاكمة ، قد انتقلت من كريت وعرفتها جزيرة ثيرا القريبة منها إلى الشمال ومارسها أبناء البيت الحاكم داخل أروقة القصور الملكية المترفة .

ومن كريت كذلك جاءنا نموذج تشكيلى آخر ولكن من العاج هذه المرة –لشاب رياضى يقوم بحركة أكروباتية وينم جسمه عن رشاقة بالغة كما توضح حركته إحدى مراحل القفز فوق الثيران .

وخلاصة القول ، أن أهل اليونان القديمة فيما قبل تاريخهم أى فيما قبل 1000ق.م لم يعرفوا –فى ضوء الدليل الأثرى الحالى إلا رياضتين هما :

(1) القفز فوق الثيران (Tauromakhia) .

(2) الملاكمة (Pygmakhia) .

وكانتا رياضتين مكملتين للطقوس الدينية فى زمانهما وليس لمجرد التسلية وذلك فى ضوء ما نعرف من أماكن كشفهما وملابسات ممارستهما ، وكذلك الفترة التاريخية لظهورها وهى فترة ليست أقدم من بدايات القرن 16ق.م حينما كانت الديانة والعقائد الإيمانية عندهم تقدس عناصر القوة ورموزها فى الطبيعة سواء فى الإنسان أو الحيوان فاتخذت من الإنسان القوى ملكاً ورفعته إلى مصاف الآلهة وقدست الثور كرمز للقوة الجسدية كما كان يحدث فى الشرق القديم .

ولكننا أيضاً فى ضوء الدليل الأثرى نتعرف على وجود العجلات الحربية وذلك بعد اكتشاف خاتم فى كنوسوس بكريت تحمل فصه رسماً خيالياً لعنزتين تجران عربة

حربية تقليدية دقيقة التفاصيل ولكن بداخلها شخصين ويؤرخ هذا الخاتم بالفترة المينوية المتأخرة أى حوالى 1500ق.م .

وهكذا ، نستطيع أن نضيف العجلات الحربية كرمز جديد ربما يستخدم كذلك، أى بعيداً عن كونه أداة حرب بل كوسيلة من وسائل الرياضة والمسابقات كما سنعرف فيما بعد .

هنا ، نقف قليلاً ، لنحاول فهم مدى مصداقية هوميروس فى وصفه للمسابقات الرياضية التى أقدم عليها أخيليوس فى الإلياذة كوسيلة من وسائل تكريم ذلك القائد البطل الشجاع لأعز أصدقائه الذى أنقذ حياته من الموت المحقق يوماً ما. ولكن بطل ملحمتنا لم يستطع أن يفعل شيئاً له الآن وهو ميت إلا أن كرمه ميتاً . أقام تلك المسابقات وها نحن نسردها بنفس تسلسلها عند شاعر خالد . وقبل أن نستعرض أنواع تلك المسابقات الرياضية لابد من أن نوضح حقيقة تاريخية معروفة لدى دارسى الأدب اليونانى القديم ، وهى أن هوميروس نفسه أو من كتبوا الملاحم كانوا معاصرين للقرن التاسع ق.م وكأنهم تناولوا موضوعات تمتد جذورها إلى ماضى تليد، مجيد ، وصفحات خالدات من تاريخ الأمة الهيللينية إبان العصر الميكينى عصر البطولات وكان آخر تلك البطولات المجيدة هى الحرب الطروادية التى يؤرخ لها بحوالى 1184ق.م أو بالتقريب بدايات القرن الثانى عشر ق.م . وهذا يعنى أن هوميروس أو غيره كانوا يقصون وينشدون روايات وحكايات غدت من التراث الشعبى الموروث وتعتبر أقدم من عصرهم هم بما لايقل عن «3» ثلاثة قرون خلت .

وعندما تسمع وتقرأ فى الإلياذة عن مسابقات رياضية فى لعبات معينة – سنعرفها فيما بعد– فإننا سنكون بهذه الطريقة نعيش فترة امتداد حضارى لما كانت عليه كريت من شأن عظيم . ولا سيما إذا عرفنا أن أهل الحضارة الميكينية الآخية هم الذين ورثوا تلك الحضارة الكريتية المينوية فى كل شيء وأنه من الطبيعى أن نجد، على الأقل ، نفس اللعبات التى عرفتها كريت وجزر الكيكلاذيس من قبل الآخيين بقليل فلابد –وهذا حتمية تاريخية حضارية ، ألا يفصل بين إزدهار كريت فى القرنين السادس والخامس عشر ق.م وبين السيادة الميكينية على هذه الجزيرة وغيرها فى بلاد اليونان سوى قرن من الزمان على أكثر تقدير .

والحقيقة أن سرد الإلياذة ، مع ما فيه من تفاصيل كثيرة نجده يفرد لتلك المسابقات كتاباً خاصاً بها أو بالأحرى أنشودة كاملة ، هى الأنشودة الثالثة والعشرين

مما يوضح بجلاء أهمية ذلك فى حياة أولئك اليونانيين الأوائل .

إنه بمجرد أن تم حرق جسمان پاتروكلس صديق أخيليوس الحميم طبقاً لعادة القوم آنذاك ، طلب البطل الهيللينى المغوار من زملائه وبقية الحاضرين من الجيش اليونانى الذى كان يحاصر طروادة أن يظلوا فى أماكنهم ولكن فى جمع غفير لمشاهدة المسابقات وذهب هو بنفسه إلى سفنه وعاد منها ومعه هدايا قدمها إلى الفائزين فى كل مسابقة تمت وكانت تلك الهدايا عبارة عن :

أولاً : آنية معدنية رائعة الصنعة جميلة المنظر .

ثانياً : مواقد للنار من البرونز –ذات قيمة فنية عالية .

ثالثاً : جياد وبغال وثيران قوية .

رابعاً : نساء جميلات المظهر والملبس .

وجدير بالذكر هنا أن تلك الأبيات الخاصة بهذه الهدايا مشكوك فى أصالتها ، ويحتمل أن تكون قد أضيفت فى فترات تاريخية لاحقة وهذا ما قال به علماء الإسكندرية فى العصر البطلمى ، حينما كانت مكتبة الإسكندرية ودار العلم من أهم مراكز الإشعاع الثقافى فى العصر الهيللينى طيلة الثلاثة قرون الأخيرة من الألف الأولى قبل الميلاد .

تبدأ المسابقات الرياضية وذلك بسباق العربات الحربية حتى يتبين قدرة سائقيها على القيادة ويتضح تفوق الخيل القوية المدربة تدريباً عالياً وقد رصد لها أخيليوس أغلى وأقيم الجوائز التى ستوزع على الخمسة الأوائل .

فالجائزة الأولى للفائز الأول كانت عبارة عن امرأة تُجيد أعمال المشغولات اليدوية الجميلة ، وموقد للنار ذى مقابض . والجائزة الثانية للفائز الثانى كانت جواداً (أنثى) بلغ من العمر ست سنوات ، وتحمل فى أحشائها مهراً صغيراً . والجائزة الثالثة للفائز الثالث عبارة عن إناء ضخم جيد الصنعة ولم تمسها النار بعد وذى لون أبيض . والجائزة الرابعة للفائز الرابع عبارة عن عملتين ذهبيتين من فئة التالنت . بينما الجائزة الخامسة عبارة عن إناء ذى مقبضين اثنين لم تلمسه النار كسابقه ولكنه أصغر حجماً وأقل قيمة .

أولاً -سباق العجلات الحربية :

تلا ذلك مباشرة قيام أخيليوس بإلقاء خطبة فى الحاضرين من أهل قومه الآرجيين أو كما كان يسميهم هوميروس فى بعض الأحيان الآخيين ، تعبيراً لهم عن الشرف الذى سيناله الآخيون إذا فاز هو بالجائزة الأولى وهذا مؤكد لسرعة وقوة خيوله الخالدة التى أعطاها الإله أبوللون لوالده وأعطاها له والده ثم تحدى الجميع وكل من يثق فى خيوله وعربته الحربية التى يجرونها .

لقد أفاض شاعر الملحمة فى وصفه لسباق العجلات الحربية حتى أنه استمر لما يقارب أربعمائة بيت من الشعر ، بينما لم تنل كل المسابقات الأخرى (وهى الملاكمة والجرى والمصارعة ورمى الرمح -أو المبارزة به- ورماية السهام) إلا سرداً قصيراً لم يزد عن مائتين وخمسين بيتاً شعرياً لها كلها . وهذا يوضح بجلاء اهتمام يونانىَ تلك الفترة من تاريخ الحضارة الهيللينية الميكينية (1600 - 1100ق.م) بالعجلات الحربية كوسيلة للقتال وللتسلية والرياضة فى أوقات الفراغ وعند إقامة الاحتفالات .

نعم . لقد كان المجتمع الميكينى مجتمعاً أرستقراطياً ترتبط مكانة أفراده بما يملكون من أراضى وثروات وبما يسلكون ويقومون به من أعمال بطولية قوامها الاستعداد العسكرى والمهارات العالية فى القتال والاهتمام الكبير بعدة القتال سواء بالخيل أو بالعربات الحربية التى تجرها حيث يقف فيها سائق العربة وإلى جواره المقاتل ، ذلك الذى يحمل معه أدوات قتاله ، مثل الرمح ، والدرع .

ولكن جاء الوقت لمعرفة كيف كان يتم مثل هذا السباق للعربات الحربية فى سهل مفتوح وعلى أرض فضاء؟ .

هنا يجب أن نقرر منذ البداية أنه لايمكننا الإعتماد كلياً على ما جاء بالإلياذة كدليل إثبات بعيد عن الشك ولكننا سنعرضه بهدف العلم بالشىء ، لا أكثر ، لما جاء فى هذا العمل الأدبى الذى خلق عالماً خاصاً به واعتمد فيه على بعض الحقائق التاريخية :

كخطوة أولى يركب المتسابقون عرباتهم ويقفون فى صف واحد متساوى بعد أن تحدد نقطة العودة ويعرفونها جميعاً جيداً ، بالضبط كما فعل أخيليوس مع رفاقه المتسابقين . وإذا ما جاءت لحظة الإنطلاق يرفع الجميع فى نفس الوقت تقريباً السياط فى أيديهم ويهْوون بها على خيولهم ويضربونها بأربطة ألجمتها وينادون عليها ويحثونها بالألفاظ بشغف شديد . وبسرعة خاطفة يصبحون بعيداً عن سفنهم وقد قطعوا السهل بسرعة . ويخيل إليك التراب والغبار وقد أثاروه تحت أرجلهم وانعقد

فوقهم كما لو كان سحاباً أو عاصفة ترابية .

كان الشاعر دائم الوصف للمتسابقين بأنهم «متلهفون على النصر (أى الفوز)» وكيف أنه كان يجدر على المتسابق والفائز على وجه التحديد أن يحلف يميناً يقسم بأنه لم يستعمل الغش والخداع فى تحقيق هذا الفوز . كما حدث فى حالة خروج أنتليوخوس عن طريق السباق المتفق عليها وأراد أن يقصر ويختصر المسافة فخرج بعيداً عنه مما أغضب أحد المتسابقين وهو أجاممنون ، القائد العام للجيش اليونانى من الآخيين . ولا يفوتنا أن نذكر الحوار الذى دار بين أنتيليوخوس هذا وبين أخيليوس كذلك عندما إتهم الأول الثانى بأنه حاول أن يسرق منه جائزة وما تبع ذلك من روح طيبة وكرم أخيليوس وارتفاع منه فوق الشبهات (وهو البطل الرئيسى فى الملحمة والشخصية الفذة فى كل شىء فى حزنها وفرحها ، فى بطولتها وإنسانيتها) ، وجاءت النصيحة خالصة –على لسان واحد من أحكم رجالات الهيللينين المشاركين فى الحملة على طروادة وهو مينيلاوس الذى وجهها إلى الشاب المخادع وقال له : **«لا تحاول فى المرة القادمة أن تخدع من هم أفضل منك»** ذلك لأنه بما أقدم عليه **«ترك شبابه يتغلب على عقله»** ولم يفكر فى الأمر ملياً .

ثانياً -الملاكمة :

وننتقل إلى الملاكمة (Pygmachia) حيث أحضر أخيليوس من هناك كذلك جائزة لمن سيفوز وجائزة أخرى للمنهزم ولكنها بالطبع أقل قيمة فى نظر مجتمع العصر البطولى آنذاك .

دارت المباراة بين رجلين اثنين على مرأى ومسمع من القادة الآخيين والجنود قدم لهما أخيليوس وأظهر لهما الجائزتين وعرّف الفائز بأنه : **«ذلك الذى سيمنحه الإله أپوللون القدرة على التحمل»** .

وبعد أن ارتدى كل منهما حزاماً حول الوسط ثم إزاراً مصنوعاً من جلد ثور ، قد أحسن قَطْعه ، خطا الإثنان إلى وسط مكان التجمع حيث يلتف حولهم المشاهدون ، ورفعاً أياديهما إلى أعلى ، ثم هوت تلك الأيادى القوية بضربات ولكمات عنيفة .

هنا يجب علينا أن نشير إلى دقة وصف شاعرنا لحالة المتلاكمين بعد فترة من بدء المباراة وكيف كان الفزع يخرج من بين أصطكاك أسنانهما ويتصببان عرقاً من كل عضو من جسميهما . وإذا جاز لنا الآن أن ندقق النظر فى النماذج التى ذكرناها حتى الآن عن الملاكمة نجد أقدمها فى ضوء الدليل الأثرى عند الكريتيين منذ القرن السادس عشر ق.م حيث كان الملاكم يرتدى خوذة لتحمى الوجه من اللكمات ثم

تقدمت أساليب حماية الأيدى وقبضتها فاخترعت الأربطة والقفازات كما ترى ذلك واضحاً فى الرسم الجدارى الذى تم الكشف عنه فى جزيرة ثيرا ويؤرخ بالقرن الخامس عشر ق.م . وكان جسد اللاعب ، دائماً ، عارياً تماماً ، إلا من إزار بسيط يستر عورته.

ولكن ما تلا ذلك من مسابقات –فى الإلياذة– مثل رمى الرمح وقذف القرص ورمى السهام ..إلخ ، لايعتبرها الكثيرون من الدارسين أجزاء متممة أصيلة للعمل الأصلى أى أنها مدسوسة ودخيلة على هذا العمل البطولى الملحمى ، ولاحقة عليه .

وبالرغم من نتائج الغزو الدورى السلبية على مشوار الحضارة الهيللينية القديمة ، وبالرغم من أن اليونان منذ مجيء الدوريين حوالي 1100ق.م عاشت عصوراً مظلمة وبدت كما لو كانت قد مسحت من ذاكرتها كل أمجاد العصر البطولى وراحت تعيش أسوأ فترة فى تاريخها تميزت بعدم الاستقرار والمعاناة الإقتصادية ....، إلا أنها لم تنس موروثها الحضارى المتمثل فى دينها وآلهتها ومعتقداتها وسلوكهم الفردى وأخلاقياتهم وصدق المؤرخ والعالم الكبير هاموند (Hammond) حينما قال :

The Iliad and the Odyssey were indeed the fountainhead from which almost all forms of later Greek poetry flowed. But, what was more important in the late ninth and eighth centuries, they revealed to the people of the Mainland the full beauty of the late Mycenaean civilization in the material achievements, its religious beliefs, its ideals of personal conduct and its conception of universe".

وهكذا كان طبيعياً أن يواصل الموروث القديم المكينى تواجده ولكن بشكل يتوائم مع الظرق الجديد فى ظل المجتمع الدورى الذى نشأ عن اختلاط هذا العنصر الجديد القادم من الشمال مع من تبقى من أهل البلاد الأصليين من الهيليين ، ولهذا نجد الإحساس القومى بضرورة التضامن والتقرب حتى ولو كان لمدة أسبوع واحد هو الباعث الحقيقى للتفكير فى أعياد بانْهيللينية (Panhellenic) أى لكل اليونانيين وذلك من أجل تحقيق الأمل الذى كان رواده القبائل اليونانية لمئات السنين منذ تلك المرة الخالدة الوحيدة التى اتحدت فيها معظم القبائل اليونانية تحت قيادة واحدة فى الحرب الطروادية التى تحدثت عنها الإلياذة .

ومن هنا خرجت إلى النور فكرة الأعياد الأوليمبية (Ta Ol´ympia) مثل الأعياد الأخرى بهدف تكريم إله من آلهة الأوليمب . وإنه لشيء طيب واعتراف

بالحقيقة العلمية أن نسمع ذلك من الدارسين اليونانيين اليوم فيؤكدون على أن الهدف الأول من إيجاد فكرة الأعياد الأوليمبية وغيرها كان هو الحرص على الإحساس بوحدة اليونان كلها حتى ولو كان ذلك على فترات زمنية متباعدة كل أربعة أعوام مرة ولذلك وصفت تلك الأعياد بأنها كانت بانهيللينية -كما ذكرنا سابقاً- ومن أهدافهم كذلك كان حرص اليونانيين على ألا تعكر صفو تلك الأيام أى حروب أو اعتداءات وكان تحريم القتال أثناء الأعياد من أهم ما اجتمعت عليه آراء كل الهيللينين احتراماً للهدف السامى وتكريماً للآلهة .

إن فكرة الألعاب الأوليمبية لم تنشأ فقط عندما بدأت وظهرت إلى الوجود فى 776ق.م كجزء من الاحتفالات الدينية وبهدف استغلال تلك المناسبة الطيبة المباركة للمشاركة فى إحياء منافسات شريفة نقية ليس فيها غش أو خداع وليست طمعاً فى مكافأة أو جائزةٍ لكنها كما رأينا -كانت لها جذور قديمة امتدت إلى القرن الخامس عشر ق.م وخلدتها أحداث البطولة فى الإلياذة والتى تؤرخ بنهايات القرن الثالث وبدايات القرن الثانى عشر ق.م وربما كان ذلك هو الذى دفع كاتب مقال عن الرياضة فى الموسوعة البريطانية فذكر يقول :

"Athletics is the oldest form of organized sports, having been a part of the Olympic Games from about 1370 B.C.to A.D. 393".

هذا وإن كانت صياغةِ الجملة الإنجليزية من وجهة التاريخية ليست دقيقة ذلك لأن الألعاب الأوليمبية لا يعرف لها وجود قبل 776ق.م وبالتالى يمكن تصحيح الجملة -تاريخياً وأثرياً فى ضوء ماسبق- بأن الرياضة المنظمة كانت لها بدايات بسيطة فيما قبل التاريخ اليونانى (أى قبل 1000ق.م) ولكنها صارت أكثر تنظيماً وازدادت إتساعاً فشملت لعبات أخرى كثيرة منذ أن أصبحت جزءاً من الأعياد الأوليمبية وغدت أهم عناصر تلك الاحتفالات حوالى 776ق.م . ومنذ ذلك الحين حرص اليونانيون أن يبنوا استاداً كبيراً (يصل طوله ما بين 180 إلى 200 ياردة (فى نفس المنطقة الدينية جنباً إلى جنب مع المعبد والمسرح كما أطالوا من مدة الاحتفالات فصارت أسبوعاً كاملاً بعد أن كانت يوماً واحداً وقاصرة على سباق الجرى .

ومن الطريف أن نذكر رواية -عن هيرودوت- مفادها أن أهل إليس (Elis) - الإقليم الذى توجد به مدينة أوليمبيا (Olympia)-كانوا يتفاخرون بأنهم قد حققوا أقصى درجات العدل فى تنظيماتهم الخاصة بالألعاب الأولومبية لدرجة أن المصريين أنفسهم وهم المعروفون بأنهم أحكم الخلق لا يستطيعون أية إضافة أفضل مما فعل أهل

إليس . وحتى يتحققوا من ذلك الإدعاء أو الإحساس الذى داخلهم أرسلوا سفارة إلى مصر وملكها أبسماتيك الثانى ،حوالى 610 ق.م، الذى أوجد لهم ثغرة فى قوانينهم المنظمة للألعاب الأوليمبية وهى أنهم يقصرونها على الإغريق الهيللينيين دون الأجانب . ولكنهم لم يقتنعوا بذلك لأنهم إن أشركوا الأجانب يهدمون الهدف الأول من تنظيم الألعاب الأوليمبية وهو إيجاد نوع من الوحدة القومية بين قبائلهم . وقد نجحوا فى إيجاد وسيلة لتحقيقها حتى لو كان ذلك لعدة أيام كل أربعة أعوام[1] .

---

(1) برجاء مراجعة كل هوامش هذا المقال ، الذى بين أيدينا (ص ص 141 - 151) ، فى مجلة قسم التاريخ ، بكلية الآداب ، جامعة المنيا : التاريخ والمستقبل ، العدد الأول (المجلد الأول) 1987 ، حيث كان النشر كاملاً ، كما كان فى أعمال المؤتمر السابق الذكر ، عام 1986 بكلية التربية الرياضية ، بالجامعة نفسها .

الفصل الثانى

تاريخ الألعاب الأولمبية القديمة(*)

(فلسفتها - بدايتها - تاريخ ألعابها)

• التقديم :

يقول أحد شعراء القرن التاسع قبل الميلاد مايلى :

«.... أيها الرب ، أبوللون ، رامى السهام ، عديدة هى معابدك ، والخمائل المُشْجرة ، وكل الأماكن ذات الأفق العريض هى عزيزة عليك ، وكذلك الفراشات البهيجة للجبال العالية ، والأنهار التى تنساب إلى البحر . ولكن ، فى ديلوس(1) ، يافويبوس(2) ، فإنك الأسعد ، حيث يأتى الأيونيون(3) ، ذوى الملابس الطويلة ، من أجلك ، بصحبة أطفالهم ، وزوجاتهم المُكَرَّمات . إنهم يتذكرونك (بإقامة مباريات) الملاكمة ، والرقص ، والغناء ، وذلك لإسعادك ، عندما يحتفلون بالألعاب . إن الإنسان يمكن أن يقول أنهم كانوا خالدين ، وكلهم شباب للأبد ، ذلك الإنسان الذى يأتى ، عندئذ ، عندما يجتمع الأيونيون ، ويرى الرجال والنساء ، بملامحهم الجميلة ، وسفنهم السريعة ، وكل مايملكون ....» .

ويواصل الشاعر (؟!) ، الذى سجل ذلك النشيد ، تكريماً للإله أبوللون ، حديثه فيقول ، وإذا سأل سائل عن شاعرهم المفضل ، فيمكن أن تجيب :

«إنه رجل أعمى ، ويسكن جزيرة خيوس(4) الصخرية» .

(*) كان لى شرف المشاركة فى الإشراف على رسالة دكتوراة ، فى كلية التربية الرياضية بجامعة المنيا 85/1986 ، مع الأخ الأستاذ الدكتور / فاروق عبدالوهاب ، عميد الكلية ، حول : تنظيم الدورات الأوليمبية وتأثير سياسات الدول عليها ، لصاحبها أ. عبدالعزيز خليفة .

(1) ديلوس (Délos) ، إحدى جزر الكيكلاذيس (Cycládes) ، وسط البحر الإيجى ، وكانت مركزاً للعبادة اليونانية ، للإله أبوللون ، فى القرن 6 ق.م .

(2) فويبوس ، أحد أسماء الإله أبوللون ، أو صفاته منذ ولادته ، عندما قتل التنين (Pytheion) ، فى دلفى ، كما تروى الأساطير . راجع :

Burn, A.R., The Pelican History of Greece, England 1965 (Rep. 1970), p. 81.

(3) أهل إيونيا (Ionians) ، اليونانيون الشرقيون ، على الساحل الغربى لآسيا الصغرى (تركيا الحالية .

(4) خيوس ، إحدى جزر اليونان الشرقية ، المحانية للساحل الغربى لآسيا الصغرى .

ومن المعروف أن التراث اليونانى يعتبر ذاك الشاعر الأعمى ، من خيوس ، أنه هو هوميروس نفسه ، وهذه هى الإشارة الوحيدة لمكان مثل ذلك الشاعر !!!

وكـانت إليس (Elis) مكاناً مقدساً ، منذ عصر البرونز ، للإلهة الكبرى ، (Great Goddess) ، والتى هى هيرا ، فيما بعد الغزو الدورى . ولما كانت تلك الألعاب لتكريم الإله «زيوس» (Zeus) ، كبير آلهة الأوليمب [1]، فقد سمي المكان أوليمبيا (Olympia) .

ويقول بيرن مؤرخاً لتلك الألعاب :

"The establishment, or re-establishment, of The Olympic games is traditionally dated 776 B.C., but only by a much later calculation".

وذُكرَ أن هيبياس ، أحد أعلام مدينة إليس ، بعد ذاك التاريخ بحوالى 350 عاماً (أى حوالى عام 420 - 416 ق.م) قد قام بجمع كل أسماء المنتصرين الفائزين ، وفق ذاكرة التراث اليونانى آنذاك فى المدن اليونانية المستقلة (أى المدن – الدول) ، فبالدورات الأوليمبية التى عرفها وقال له بها مفكرو زمانه ، وقام بترتيبها فى نظام مقبول ومعقول ، فوجد أنها يمكن أن تصل إلى ذاك التاريخ ، أى 776 ق.م (؟!) .

ويقرر بيرن[2] :

"; but we cannot be sure that the list is complete, or that all are genuine, or that the festival was originally (as it was in classical times) four yearly. Hippias did his best with what material he had; later people 'canonized' his results".

كانت تقام ، الألعاب الأوليمبية ، عند إكتمال القمر الثانى ، بعد منتصف الصيف . ربما كانت ديلوس ، قبل أوليمبيا ، هى موطن الألعاب والمسابقات ، باعتبارها مكان عبادة الإله أبوللون ، رب الشباب وراعى النشاط والرياضيين منذ العصر الهومرى . وذلك باعتبار الدليل الأدبى ، الهومرى ، أقدم إشارة لإشراف الإله على المتنافسين فى الألعاب ، فضلاً عن الدليل الأثرى .

* (النص الأدبى) : والذى ينسب إلى هومـر ؟! . ومن يدرى ، لعل ذلك كـان صحيحاً ؟ ، أو على الأقل لأناس ، جاءوا بعده بقليل ، مما يعطيهم الحق فى الحديث

(1) الأوليمب (Olympos) ، أعلى جبال اليونان ، على الإطلاق ، شمال شرق بلاد هيلاس ، فى إقليم ثساليا ، أخصب وأوسع أراضى اليونان .

(2) Burn, op. cit., p. 82.

عن موضوع مثل ذلك ، بنوع من الأصالة والمعاصرة القريبة من تواريخ وقوع الأحداث !!! .

ولكن ماهى حكاية تلك الألعاب ، وماهى تنظيماتها وإجراءاتها طيلة أيام إنعقادها ؟ هذا ماسنعرفه بالتفصيل فى العرض الموجز الآتى .

الألعاب الأوليمبية القديمة

(1) نشأتها :

بدايةً ، يجب الإشارة إلى أن اليونانيين أنفسهم كثيراً مايعترفون بسبق الحضارة المصرية القديمة ، وكذلك أحد أجناسهم متمثلاً فى حضارة كريت ، فى الإهتمام بألعاب الأطفال والأكروبات والمصارعة والكرة ، ولكنهم يؤكدون على سبقهم فى تنظيم تلك الألعاب فى صورة مسابقات منظمة لها قوانينها وذلك لإحياء روح المنافسة بين اللاعبين [1] .

حقًا إن روح المنافسة كان من أهم خصائص الشخصية اليونانية ، وذلك نظراً لفقر بلادهم الذى أورثهم الجد والإجتهاد وروح التحدى كسبيل وحيد للحياة فى تلك الظروف الصعبة التى كانوا يعيشونها فى بلادهم آنذاك ، وليس بغريب لهذا السبب أن تكون كلمة «رياضى» (ATHLETE) فى اللغات الأوربية الحديثة هى من أصيل يونانى (Athletés) .

والدارس للحضارة المصرية القديمة وظروف نشأتها وتطورها وأهم مظاهر الحياة والنشاط السكانى ليتأكد من ذلك إذ أن طبيعة الحياة على أرض مصر لاتساعد على إذكاء روح التنافس والتحدى فكل شئ مسيور وسهل الحصول عليه دون عناء كبير، والعكس صحيح فيما يخص المجتمع اليونانى القديم .

إنه من الثابت بالدليل الأثرى الذى لايقبل الشك أن المصريين القدماء قد عرفوا أنواعاً من الألعاب الرياضية المختلفة ، مثل الملاكمة والمصارعة وألعاب الكرة كما هو مصور على جدران مقابر «بنى حسن» فى محافظة المنيا وذلك من مطلع الألف الثانية قبل الميلاد ، أى منذ حوالى عام 2000 ق.م . كما لحق بالمصريين

(1) Lazarides, Istoría tou Athletismoú, Athena 1984, p. 472 .

وقلدهم فى ألعاب أخرى – فتيان وفتيات من القصر الملكى فى كريت إستكمالاً لبعض الاحتفالات والطقوس الدينية ولقضاء أوقات ترفيهية طيبة وذلك منذ القرن 16 ق.م[1] وكذلك عرف الحيثيون سباقات جرى بين الأمراء والنبلاء ، كما تدل آثارهم من القرن 13 ق.م .

أما العنصر اليونانى الأصلى ، الذى ظهر عند هوميروس فى الإلياذة وهو ماسمى بالعنصر الآخى (ACHAIOI) فقد عرف المسابقات المنظمة والمنافسات[2] ، والتى لم تكن تهدف إلى إسعاد المتفرجين فحسب أو كانت تتصل بطقوس دينية ، بل كانت منافسات حقيقية إظهاراً للتفوق والقلق والتحدى للحصول على شرف الإنتصار والحرص على سعادة وتكريم المجتمع اليونانين كله على الملأ ، وتقدير بنى مدينته ووطنه لشخصه الفائز [3] .

كل ذلك نجده واضحًا عند هوميروس فى تفصيلات كثيرة ويمكن تتبعه ، وبصفة خاصة فى سباقات العربات والجرى ، وفى الأوديسيا نسمع أحد الأبطال يقول لابنه بعض نصائحه :

«يجب أن تتميز دائماً وتتفوق على الآخرين» .

كما نسمع عن المسابقات لتكريم باتروكلوس والتى أشرف عليها بطل الإلياذة الأول «أخيليوس» ، وكانت بين قادة الجيش اليونانى وأمراء ونبلاء اليونانيين المشاركين فى الحملة على طروادة ، وكان ذلك يؤرخ بحوالى عام 1184 ق.م . وكانت سباقات كثيرة مثل سباق العربات ، والملاكمة والمصارعة ، والجرى ، والرمى بالقوس والرمح ... إلخ ، وكانت الهدايا للفائزين كجوائز لشرف السبق والتفوق متنوعة وقيّمة . وهذا مايمكن أن ننتظره فى مجتمع أرستقراطى ملكى ، وكانت الرياضة والمسابقات الرياضية بين أعضائه ليست إلا ترفيهاً أرستقراطياً على قدر مقامهم .

ولكن يجب الإشارة إلى أن تلك المسابقات لم تكن مرتبطة بأى مكان أو زمان، بل كانت تلقائية وغير ذات مغزى دينى .

ومن المعروف أن هناك بعض الأعياد الدينية والاحتفالات التى كانت أصلاً تكريماً لبطل محلى مات دفاعًا عن بلده ، أو إحتفالاً لذكرى إنتصار ما على أعداء

---

(1) راجع / حضارة كريت المينوية ، بالباب الثانى من هذا الكتاب .

(2) راجع الموضوع السابق ، على هذا مباشرة ، فى الفصل الأول من هذا الباب الرابع ، بعنوان / تاريخ الرياضة فى الألف الثانية ق.م .

(3)Lazarides, op. cit., p. 473 .

الوطن ، وبعضها كان مرتبطاً بطقوس دينية فى مواعيد الإنبات والحصاد وعبادة بعض الآلهة تقرباً لها وتفادياً لنقمتها وغضبها . عندئذ كان الرياضى يتقدم بألعابه طالباً العون من الإله المعبود أن يكلل محاولته بالنجاح ومعتبراً أى فوز له وتفوق ماهو إلا أداءً كريماً طيبًا من أجل الإله مما جعل اللاعب «أثليتيس» (Athletés) يحس ويدرك أن فوزه هو من الإله .

ولما كانت هناك فى اليونان القديمة أماكن معينة إكتسبت شهرة دينية منذ أقدم العصور وإرتبطت بأساطير معينة يرددها الناس شفاهة وتتناقلها الأجيال ، جيلاً بعد جيل ، ووصلت شهرة بعض الأماكن حداً إلى درجة التقديس ، للإعتقاد بأنها موطن إله معين أو بطل عظيم . وكان طبيعياً أن تقام فى تلك الأماكن ، فى وقت معين من العام ، إحتفالات وأعياد تكريماً للإله المعبود فى ذلك المكان ، وبالتالى فقد كانت ذات طابع جنائزى ومن تلك الأماكن :

(1) أوليمبيا (Olympía) ، فى شمال غرب البلوبونيز من جنوب اليونان – حيث كانت تقام الألعاب الأوليمبية (Tá Ol´ympia) .

(2) دلفى (Delphoí) ، حيث كانت تقام الألعاب أو الإحتفالات البيثية (Tá P´ythia) تكريماً للإله «أبوللون» إله الشباب والقيثارة .

(3) كورنثا (Kórinthos) ، حيث كانت تقام الإحتفالات الإثمية عند مضيق كورنثا فى وسط اليونان تكريماً للإله «بوسيدون» إلها لبحر .

(4) نيميا (Neméa) ، حيث كانت تقام الإحتفالات النيمية (Tá Nemémea) شمال شرق البلوبونيز من جنوب اليونان ، تكريماً للإله زيوس (Zeus) .

وبعد عصر الإستيطان الخارجى (القرن 8 - 6 ق.م) ظهرت إحتفالات وأعياد محلية تكريماً للأبطال مؤسسى المدن اليونانية والمستعمرات الخارجية فى آسيا الصغرى وشمال أفريقيا والبحر الإيجى .

ومع إنتشار الديانة اليونانية والإيمان بآلهة الأوليمب الكثيرة وعلى رأسها كبيرهم الإله «زيوس» إنتشرت الاحتفالات والأعياد تكريمًا لها ، بدلاً من تلك الإحتفالات القديمة ذات المضمون الجنائزى للأبطال والمؤسسين الأسطوريين القدماء، الذين لانملك نحن اليوم أى دليل مادى على وجودهم سوى تلك الروايات والحكايات التى جاء ذكرها عند هوميروس وعند هيسيودوس فى أعماله الخالدة «الأعمال والأيام» و «أنساب الآلهة» .

وبازدياد سيطرة وسطوة أهل إليس (Elis) فرضوا عبادة الإله زيوس فى إقليم أوليميا ، ولكن الناس لم يسنوا البدايات الأولى لاحتفالاتهم وأعيادهم فكانوا يقدمون أضحية – كل عام – على شكل خروف أسود تكريماً لمؤسس الألعاب الأسطورى الملك بيلوبس (Pelops) – ذلك كرمز للموت وللذكرى البعيدة للبداية الجنائزية للاحتفالات والألعاب .

هكذا كانت البداية فى إقليم أوليمبيا ، وعلى أيدى أهل مدينة إليس شمال غرب البلوبونيز .

هنا لابد من التذكير بأن تلك البداية الأسطورية لايمكن التأريخ لها بشكل علمى ولكن الدليل الأدبى ، والروائى ، كتراث حضارى شفاهى ، يضع هذه الأمور فى العصر الميكينى بين (1600 - 1100 ق.م) تقريباً .

(2) الاحتفالات الأوليمبية :

هى أشهر كل الأعياد والاحتفالات اليونانية القديمة على الإطلاق .

يقول پندار (Píndaros) – أشعر شعراء تلك الاحتفالات – **«فكما لايوجد بالنهار فى السماء أى نجم أوضح أو أكثر إضاءة من الشمس فإن لايوجد ، كذلك ، مسابقة أرقى من المسابقات الأوليمبية .»** كما جاء ذلك عند أحدث المراجع[1] .

(أ) المكان :

فى وادى أوليمبيا – شمال غرب شبه جزيرة البلوبونيز ، ذلك المكان ، ذو الرهبة والجمال والخضرة الدائمة ، حيث الغابة المقدسة المعروفة باسم «ألتيس» (Altis) وهى تمتد بما لايزيد عن 200 متراً طولاً ، وحوالى 175 متراً عرضاً . ومع مرور الزمن إمتلأت من الداخل بالمعابد والمذابح المقدسة والآثار والتماثيل .

وأهم آثار ذلك المكان هو معبد الربة «هيرا» (Héra) ، والمعروف باسم هيرايون ومعبد كبير الآلهة زيوس (ZEUS) والذى تم إنشاؤه عام 456 ق.م ، حيث حوى معظم تماثيل الإله على الإطلاق ، والذى كان مصنوعاً من الذهب والعاج بيد أعظم فنانى ونحاتى اليونانى «فيدياس»[2] .

---

(1) Lazarides, op. cit., p. 476.

(2) وهو نحات تماثيل البارثينون ، فوق الأكروبوليس ، الصخرة المقدسة ، في أثينا ، حيث توجد إلي يومنا هذا درة العمارة الدورية الكلاسيكية . راجع بحثنا «البارثينون : بين الأثر والآثار» ، المؤرخ العربى ،1999 .

(ب) الزمان :

إن البدايات الأولى للألعاب والاحتفالات الأوليمبية لانعرف لها زمناً محدداً ، إذ أنهـــا – أى تلك البـــدايات الأولى – تدخل فى خــــضم علم الأســـاطيـــر (MYTHOLOGY) ، الذى تتضارب رواياته وتتشعب تفصيلاته .

وفيما يخص الألعاب الأوليمبية فإن الروايات الأسطورية حول نشأتها كثيرة ومتناقضة فيما بينها ، مما يعكس الإختلافات الدينية المحلية والإنتماءات السياسية للمدن اليونانية (Póleis-Kráte) الكثيرة والتى تتعارض فيها طموحاتها .

تروى الأساطير أن هرقل (Herakles) هو الذى أقام تلك الألعاب ، وكان أن جاء من كريت ومعه إخوته (KOURETES) وأقام مسابقة فى الجرى . وهناك روايات أخرى كثيرة ، ولكن أشهرها أن پيلوپس (Pélops) هو الذى أقـــام تلك المسابقات . ويشهد الدليل الأثرى الذى يؤرخ بالقرن الخامس ق.م – من واجهة سقف معبد الإله زيوس – على ترجيح هذه الأسطورة[1] .

ومع مرور القرون ، إرتبطت بالمسابقات الأوليمبية أسماء العديد من الآلهة والأبطال ، فالروايات تجعل زيوس نفسه فائزاً أوليمبيا فى المصارعة على عدوه كرونوس (Krónos) وأبوللون يفوز على هيرميس (Hermes) فى الجرى ، ويفوز على آريـــس (Ares) فى الملاكمة ، وجميعهم آلهة يونانية ، إنتشرت عبادتها مع إنتشار وإزدهار الحضارة اليونانية من القرن الثامن وحتى العصر الهيللينستى (القرن ٤ ق.م) .

قبل ذلك ، إذن ، لاتعطينا الأساطير تاريخاً محدداً لبدايات المسابقات . إن فترة الأساطير وانتشارها كانت فترة إضطرابات وهجرات للعناصر اليونانية القادمة من الشمال ، المعروفين باسم الدوريين (Dorieis) منذ مطلع القرن 12 ق.م .

وبعد إستقرار الأوضاع فى اليونان وانتشار وسيادة العنصر الغازى وتآلفه مع العناصر والقبائل المتبقية على أرض اليونان ، وقد إستغرق ذلك أكثر من (3) ثلاث قرون بأكملها ، نجد أن عام 776 ق.م هو التاريخ المقبول من كل المؤرخين القدماء ، كبداية للألعاب والاحتفالات الأوليمبية . وكانت أن أصبحت كل دورة أوليمبية – مرة كل خمس سنوات – هى وسيلة للتقويم اليونانى حتى عهد هيرودتوس الذى كان يؤرخ للأحداث التى يكتب عنها حسب وقوعها بعد كل دورة ورقمها فى التسلسل الزمنى لهذه الاحتفالات العظمى .

---

(1) Lazarides, op. cit., p. 477.

ووفقاً للروايات التاريخية فإن الملك إفيتوس (Iphitos) – ملك أهل إليس هو الذى أعاد تنظيم الاحتفالات والمسابقات الأولمبية القديمة عام 776 ق.م ، وذلك تكريماً لفوز العداء الإيلى (من إليس) كوربيوس (Kórpios) فى مسابقة الجرى عندئذ.

وعندئذ إتفق ثلاثة ملوك هم إفيتوس – ملك إليس ، وكليوسنتيس ملك بيسا (PISA) ، ولوكورجوس (Lykoúrgos) ، ملك أسبرطة (Spárte) على أن تقام هذه المسابقات كل خمس سنوات ، على أن تكون هناك هدية مقدسة لإيقاف الحروب والإعتداءات كشرط أساسى لتطوير وتوسيع تلك الألعاب والمسابقات . ومن حسن حظ المحدثين والمعاصرين من الدارسين فقد تم العثور على نص هذه الإتفاقية – باليونانية القديمة – مكتوباً على لوح برونزى كان موجوداً حتى أيام باوسانياس (Pausanias) ، – مؤرخ ورحالة من القرن الثانى الميلادى ، داخل معبد الربة هيرا ، كأقدم وأغلى أثر فى ذاك الزمان ، وأعظم دليل على تنظيم الدورة الأوليمبية منذ أقدم بداياتها التاريخية.

لقد كان المنادون يعلنون بداية الهدنة المقدسة فى صيف كل سنة خامسة للدورة السابقة فى طول البلاد وعرضها لتعرفها كل المدن اليونانية . وكان ذلك يستغرق حوالى شهراً قبل البداية الفعلية للمسابقات ، ثم إستغرق ذلك شهرين وفى النهاية كان إعلان الهدنة فى كل العالم اليونانى والمستعمرات الخارجية ثلاثة أشهر ، وذلك حتى يتسنى للاعبين والملاحظين ، مراقبى المسابقات ، وزوار وجمهور المدن البعيدة أن يصلوا إلى أوليمبيا بسلامٍ واطمئنان . وكانت الحروب – كما قلنا – تتوقف وكذلك تتأجل العقوبات بالموت ويحرِّم دخول أى إنسان مسلح إلى أرض إقليم إليس حيث تقام الألعاب .

كان الدورة الأوليمبية تعقد – كما سبق – فى السنة الخامسة من إنتهاء الدورة السابقة ، فى الشهر القمرى الثامن لأهل إليس والذى يقابل شهرى يوليو – أغسطس ، وتبدأ من اليوم الثانى عشر وحتى السادس عشر من الشهر ، أى لمدة خمسة أيام[1] .

فى بداية الدورات الأوليمبية كانت كل المسابقات تتم فى يوم واحد ، ولكن مع إضافة ألعاب أخرى أضيف يوم آخر لإنجاز كل المنافسات وكان ذلك عام 680 ق.م ،

---

(1) ممدوح درويش ، تاريخ الألعاب الأولمبية ، الأسكندرية ، (رسالة دكتوراة غير منشورة) ، ص ص 59 - 71 .

ثم أضيف يوم ثالث عام 632 ق.م ومنذ عام 472 ، أى الدورة الأوليمبية الـ 77 ، أصبحت الدورة تعقد لمدة خمسة أيام [1] .

(3) تنظيم الدورة الأوليمبية القديمة :

من المعروف أن الدورات الأوليمبية القديمة إستمرت 1168 منذ عام 776 ق.م وحتى عام 393 م عندما ألغاها الإمبراطور البيزنطى «ثيودوسيوس الأول» THEODOSIUS I وفى خلال تلك الفترة عقدت 293 دورة .

وجدير بالذكر أن هناك – وفقًا لرواية باوسانياس – 14 دورة أوليمبية وهى الدورات الأولى والأقدم ، كانت مقصورة على مسابقة الجرى فى الإستاد بطول 192.28 مترا وكانت جائزة الفوز – فى الست دورات الأولى – تفاحة واحدة ! ولكن منذ الدورة السابعة ، أى منذ عام 752 ق.م وبناءً على إقتراح من نبوءة معبد دلفى ، أصبح الفائز الأول فى كل مسابقة يحصل على غصن الزيتون المعروف باسم «كوتينوس» (KOTINOS) المجهز على هيئة تاج يوضع فوق رأس الفائز ، شريطة أن يكون هذا التاج من شجرة الزيتون القديمة التى أينعت خارج الزاوية الجنوبية – الغربية للحجرة الخلفية لمعبد الإله زيوس فى أوليمبيا – وكان من المعتاد أن يقطع ذلك الفرع من الشجرة طفل يعيش والديه على قيد الحياة (PAIS AMPHITHALES) وذلك بواسطة منشار من ذهب [2] ! فياله من كهنوت محكم !! .

وبمرور الزمن إتسعت دائرة الألعاب الأوليمبية وشملت العديد من اللعبات الجديدة حتى أصبح البرنامج الأوليمبى العادى يشتمل على 16 لعبة . وهاكم اللعبات وتواريخ إدخالها على البرنامج الأوليمبى ، وبتسلسل تأريخى :

(1) مسابقة جرى الإستاد (مرة واحدة) : من البداية عام 776 وحتى عام 724 ق.م.

(2) مسابقة جرى الإستاد (مرتان) من عام 724 ق.م .

(3) مسابقة دوليخوس [3] : عام 720 ق.م .

(4) مسابقة بنتاثلون [4] : عام 708 ق.م .

---

(1) Lazarides, op. cit., p. 478.

(2) Ibid.

(3) دوليخوس هى مسابقة جرى بمسافة الإستاد حوالى من 7 إلى 12 مرة متتالية .

(4) هى مصطلح يونانى مركب من لفظتين : الأولى (Pénta) وتعنى (خمسة) ، والثانية (Athlos) بمعنى (لعبة) ، إذن هى «الخماسى» ، أو الرياضة ذات الخمس لعبات من ألعاب القوى .

(5) مسابقة المصارعة : عام 708 ق.م .

(6) مسابقة الملاكمة : عام 688 ق.م .

(7) مسابقة العربات التى تجرها أربع خيول : عام 680 ق.م .

(8) مسابقة البانجراتيون[1] : عام 648 ق.م .

(9) مسابقة الخيل : عام 648 ق.م .

(10) مسابقة جرى الأطفال : عام 632 ق.م .

(11) مسابقة مصارعة الأطفال : عام 632 ق.م .

(12) مسابقة بنتاثلون الأطفال : عام 628 ق.م .

(والتى تم إلغاؤها فى الحال) .

(13) مسابقة ملاكم الأطفال : عام 616 ق.م .

(14) مسابقة جرى المشاة المسلحين : عام 520 ق.م .

(15) مسابقة أبينى [2] : عام 500 ق.م .

(16) مسابقة كالبى [3] : عام 496 ق.م .

وهناك لعبتان تقررتا عام 444 وألغيتا ، بالإضافة إلى مسابقات النفخ فى البوق وبانجراتيون الأطفال .

لقد كان تنظيم الدورات الأوليمبية عملاً شاقاً وصعباً وذلك لمواجهة كل المشاكل الناجمة عن تواجد كل هذا العدد الضخم من الرياضيين وانتقال عشرات الآلاف من ممثلى المدن اليونانية والزوار وإعداد أماكن المسابقات والمعبد ، وكذلك توفير عدد كاف من المراقبين والحكام لكل لعبة ، وتزويدهم بالزى الخاص بهم . فبعد أن كانوا فقط إثنان حتى عام 580 ق.م أصبحوا (12) حكماً واستقر الرأى على أن يكونوا عشرة (10) منذ عام 238 ق.م .

كان هؤلاء المراقبون الذين يسمون باسم «هيللانوذيكيس» (HELLANODIKES) هم المسئولون عن :

---

(1) عن البانجراتيون ، وهى خليط من المصارعة والملاكمة ، راجع : O.C.D., op. cit., p. 775.

(2) أى سباق العجلات التى تجرها البغال .

(3) أى سباق الخيل المحملة بالأثقال .

(أ) تنظيم الدورة .

(ب) التحكيم فى المسابقات .

(ج) تطبيق القوانين واللوائح المنظمة .

وجدير بالذكر أن هؤلاء المراقبين كان يتم إنتخابهم بالقرعة من بين أهل إليس، كما كانت سلطتهم واسعة ، لدرجة أنهم كانوا يملكون صالحية إيقاف وحرمان أى لاعب يقترف خطأً تنظيميًا فى لوائح الدورة . وكذلك لهم الحق فى فرض العقوبات الملائمة مثل الغرامات المالية أو الإيقاف أو حتى الجلد على رؤوس الأشهاد من جمهرة الحاضرين . ويساعد أولئك على حسن تأدية عملهم مجموعة من الرجال لحفظ الأمن ومعاقبة الخارجين ، أى قوة بوليسية تحمل العصى أو السياط .

لقد كانت أهم الأخطاء التى يمكن أن يقترفها أحد الحاضرين للأعياد الأوليمبية والتى تقع تحت طائلة العقوبة الواجبة من قِبل منظمى الدورة هى :

(أ) عدم الوصول إلى إليس فى التوقيت المناسب .

(ب) عدم إتباع التعليمات واللوائح المنظمة للدورة .

(ج) الرشوة .

وكانت الرشوة تقابل بعقوبة مالية ضخمة سواء على اللاعبين المشتركين فى الدورة القائمة أو على المدن التى يتبعونها .

ومن أهم حقوق اللاعبين المشاركين فى الدورة الأوليمبية هو حق التظلم ضد قرارات الحكام ، واستئناف أحكامهم ، وكان ذلك يتم فقط أمام مجلس الشورى (Boule) الإيلى لأهل «إليس» ، هذا بالرغم من السمعة الطيبة التى إشتهر بها أولئك المراقبون .

ولقد أولت مدينة إليس إهتمامًا خاصًا لراحة هؤلاء الحكام وإقامتهم فى مكان مخصص لهم ، كان يسمى «هيللانوديكيونا» (HELLANODIKEONA) ، حيث يتم إطلاعهم على واجباتهم ، وعلى الترتيبات الإدارية وعلى اللوائح المنظمة للمسابقات . كما كانوا يتابعون تمرينات اللاعبين الإيليين فى جمناسيون[1] مدينتهم . كل ذلك كان يتم قبل بداية الدورة بعشرة شهور كاملة . وإليهم هم كذلك كان

(1) هذه كلمة يونانية (Gymnásion) ، وتعنى المكان الذى يمكن أن يتعرى فيه الشباب ، بغرض عمل تمارين رياضية وممارسة الألعاب . وعن تاريخ وتطور مفهوم الجمناسيون فى الحضارة اليونانية، راجع بحث لنا فى مؤتمرالمؤتمر الدولي الأول لتاريخ الرياضة ، بجامعة المنيا 1987 .

اللاعبون المشاركون فى الدورة يجب أن يعطوا أسماءهم حتى يتم تسجيلهم ويمكن أن يبدأ ذلك قبل عام كامل من بداية الدورة .

كان على اللاعبين أيضًا ، أن يحضروا إلى إليس ، قبل بداية الدورة بشهر تقريبًا ، وذلك حتى يتمكن منظمو دورة من إتمام الإجراءات الضرورية ويستطيع اللاعبون المشاركون أنفسهم من الإعداد الكافى . وكان يرافقهم مدربوهم كما كان يرافق شباب اللاعبين آباؤهم وإخوتهم .

والآن ننتقل إلى أهم شروط الإشتراك فى المسابقات الأوليمبية – كما عرفناها عن التنظيم الأوليمبى القديم – وهى :

(1) التمتع بالجنسية اليونانية إذ كان التأكد منها ضرورياً وصارماً .

(2) حرية المواطن ، وكونه من أبوين أحرار ، أى ليسا عبدين أو برابرة أجانب.

(3) عدم خرق الهدنة المقدسة ، سواء على يد أفراد أو مدن .

(4) ضرورة أداء اللاعب الراغب فى الإشتراك فى الدورة ، لقسم يؤكد فيه أنه أمضى (10) عشرة أشهر فى التدريب اللازم .

وعند إتمام كل هذه الإجراءات التنظيمية وإكتمال إستعداد اللاعبين طوال شهر كامل من الإقامة قبل بدء الدورة ، يخرج الجميع فى جمع مهيب يتقدمه مراقبو المسابقات ، ويسيرون فى الطرق المقدسة التى توصلهم إلى مدينة أوليمبيا ، وفى الطريق كانوا يقدمون الأضحيات والقرابين للآلهة ثم يتطهرون بطقوس معينة .

ومن الطريف أن نعرف أنه كان محرّمًا على النساء ، سواء الفتيات أو المتزوجات ، دخول الغابة المقدسة حث تجرى الألعاب والمسابقات فى أولمبيا ، وإلا تعرضن لعقوبة الإعدام ، وكانت السيدة الوحيدة التى يسمح لها بحضور سباق الجرى فى الإستاد ، هى كاهنة الإلهة ديميترا (Démetra) .

وأخيراً ، نصل إلى برنامج الدورة الأوليمبية خلال الخمسة أيام التى كانت تنعقد فيها المسابقات كل خمس سنوات :

*** اليوم الأول :**

كان يتم حفل الإفتتاح فى صباح ذلك اليوم ، بأن يؤدى الجميع القسم الخاص بالدورة فى حضور الكهنة أمام تمثال الإله زيوس ، فى معبده الكبير .

(أ) كان اللاعبون يقسمون بأنهم تدربوا لمدة عشرة أشهر وبأنهم سيتنافسون بشرف ودون غش أو خداع .

(ب) كان المراقبون يقسمون بأنهم لن يعلنوا أو يفضحوا الأسباب التى أدت إلى قراراتهم وأحكامهم .

وبعد ذلك – وبالتحديد بعد عام 396 ق.م – كانت تقام مسابقات البوق والذين سيقدمون خدماتهم خلال إنعقاده الدورة .

*** اليوم الثانى :**

كان يبدأ بمسابقات الخيل والعربات فى المضمار ، وفى المساء (عند الظهيرة) تقام مسابقات الخماسى (پنتاثلون) . بينما ينتهى اليوم بمراسهم إحتفال دينى ليلى وتقديم القرابين وإنشاد الترانيم الجنائزية تخليداً وتذكيراً بالبطل المؤسس الأول (پيلوپس) .

*** اليوم الثالث :**

وكان يوافق اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى ، وهو أهم أيام الدورة الأوليمبية ، وكله تكريم للإله زيوس وعبادته . ففى الصباح ، تقدم القرابين على مذبح معبده ، حيث يتم ذبح مائة ثور يقدمها أهل إليس كل دورة للإله . وبعد الظهيرة تقام مسابقات الجرى القصير والطويل ، ونهائيات كل مسابقة .

*** اليوم الرابع :**

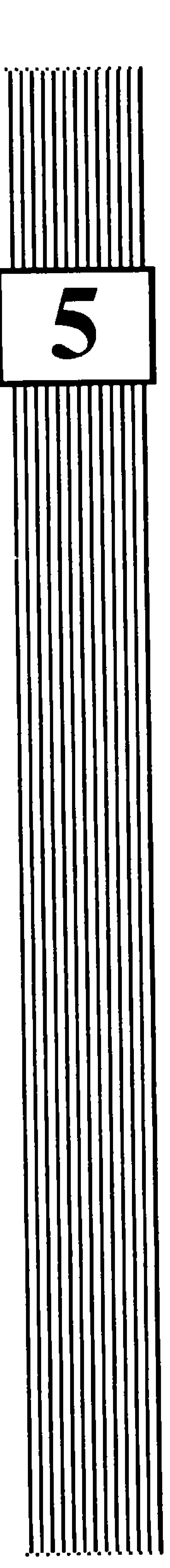
كانت تقام الألعاب والمسابقات الثقيلة مثل : المصارعة ، والملاكمة والبانجراتيون ، وجرى المشاة المسلحين .

*** اليوم الخامس :**

وهو يوم إعلان الفائزين الأوليمبيين وسط إحتفال ومراسم كلها أفراح حيث يتم تقليد الفائزين بأكاليل الغار (غصن الزيتون) فى مدخل معبد الإله زيوس ، أمام تمثاله، وبحضور آلاف المتفرجين الذين يملأون ساحة المكان ويرمون الفائزين بالأزهار وأوراق الأشجار . بعد ذلك تمتد موائد الأكل فى مكان إدارة المهرجان ويستمر الأكل والشرب حتى ساعات متأخرة من الليل فترتفع الأصوات بأغانى الإنتصار والفوز ، ويخرج الجميع جماعات فى طريق العودة إلى مدنهم وكلهم نشوة وطرب تحت ضوء القمر الساطع .

ولنا كلمة أخيرة ، وهى أننا هنا أمام أجمل وأشمل توظيف للسياسة فى خدمة المجتمع اليونانى كله ، وكذلك نستوثق ، بإجماع المؤرخين ، على حجم الإلتزام ، من كل الأطراف ، أفراداً وجماعات ، بالقانون والقرارات ، ومن ثم فإن هذه الألعاب هى ، حقاً وصدقاً ، أقدم تطبيق فعلى للديمقراطية الحقيقية !!! .





الباب الخامس

ملامح عامة

عـــن

العصـــر الكلاســـيكى

[دراسة فى المقدمات الحضارية فى ضوء نصوص عصرها]

(أ) الروح اليونانية فى العصر الكلاسيكى .

(ب) أثينا فى العصر الكلاسيكى .

(ج) مراحل تطور الديموقراطية الآثينية .



(أ) الروح اليونانية فى العصر الكلاسيكى (5 - 4 ق.م) :

لما كان الإنجاز اليونانى القديم ، فى العصر الكلاسيكى ، إبان القرنين الخامس والرابع ق.م ، هو المقصود دائماً عندما تتحدث عنه ألسنة الفخار الأوروبى وأبواق الدعاية الغربية ، بحثاً عن ماض مجيد لها يقارع عظمة الشرق القديم وسبقه الحضارى اللامحدود فى كل نواحى الحياة ، فإننا فضلنا أن نرجع إلى أبى التاريخ ، هيرودوت ، كأحد أهم شهود عصره ، لنتعرف منه على تلك الروح اليونانية الزاهية بانتصارها على الفرس فى معركة سلاميس 479 ق.م ، والتى كانت لاتزال تعيش أفراح ولحظات ذلك الانتصار المعجزة ، بالنسبة لهم ، ولاسيما بعد أن عرض الفرس ، فى فصل الربيع من العام نفسه ، أن يكونوا حلفاً مع الآثينيين ، الذين أخذت المخاوف تساورهم والشك يعصف بهم من موقف حلفائهم اليونانيين الآخرين فى بقية أنحاء المدن اليونانية ، وبصفة خاصة ، فى المنطقة الشرقية ، أى آسيا الصغرى[1] .

يقول هيرودوت[2] :

«إنه لو عُرِضَ علينا كل ذهب العالم أو حتى أجمل وأخصب أرض ، يمكن تخيُّلَها ، ما كنا رَغبنا أبداً فى عقْد حلف مع عدونا المشترك ، وأن نكون قوة لاستبعاد اليونان .....» .

ثم راح هيرودوت يعدد الأسباب -كما يراها هو كيونانى- التى جعلت أثينا ترفض العرض الفارسى ، فقال : **«أولاً ، هناك الحريق ، وتدمير معابدنا ، وتماثيل آلهتنا ، وهى التى تضطرنا إلى الإقدام على الإنتقام الأكبر ، من مرتكبيها ، أكثر من أن نتمكن من التوصل معهم إلى صلح . ثم هناك تراثنا اليونانى : «صلة الدم واللغة ، ومعابدنا المقدسة ، والأضاحى ، وأسلوب حياتنا المشترك ، وهى التى تصبح عديمة الفائدة إذا خانتها أثينا ....»** .

وأخيراً يطلق هيرودوت لنفسه العنان ، فى غلّها وتشفيها ، ويسمح لنفسه ، بالرغم من أنه ليس آثينياً ، لكى يتحدث بلسان حال المتحدث الرسمى اليونانى -ألا

---

(1) المقصود بها ، مجموعة مدن الجزر اليونانية الشرقية ، مثل : ساموس وخيوس ورودوس وغيرها .

(2) Herodotus, Histories, 8.144.

وهم الآثينيون– فيقول :

«إنه ما دام هناك ، على وجه الأرض ، آثيني واحد حيٌّ يُرزَق ، فلن يكون هناك صلح مع كزركسيس»[1] .

وبإمعان بسيط فيما سبق نستطيع أن نتأكد من بعض الخلفيات التاريخية الهامة، على الجانب اليوناني ، لتلك الروح التي تسفر عنها ، بصراحة ، لأول مرة ، في كل التاريخ اليوناني القديم ، حتى تلك اللحظة ، أو حتى فيما تلى من عصور لاحقة ، حينما كانوا هم مجرد أدوات تنفيذ في امبراطورية الاسكندر الأكبر ، المعروفة باسم «العصر الهيللنيستي» .

إننا لانذيع سراً تاريخياً إذا قلنا أن الأمة اليونانية القديمة ، لم تعرف الوحدة أو الاتحاد ، في بوتقة واحدة ، وكشعب واحد ، طيلة ذلك التاريخ القديم كله ؟!!!. حتى ما عرفنا من حروب اليونان (الآخيين) ضد طروادة ، كما جاء عند هيوميروس في ملحمته الخالدة (الإلياذة) لم تقم بها كل جماعات اليونانيين القدماء ، بل قبائل البلوبونيز (جنوب اليونان) فقط تحت إمرة ملكهم الأكبر أجاممنون . وسرعان ما تفرقوا ، كما كانوا قبل تلك الحرب(نهايات القرن الثاني عشر ق.م)[2] وعادوا يهاجمون بعضهم بعضاً ويقومون بإغارات ، كل على حدود إمارة جاره ، اليوناني(؟!!!) . ولم يكن مصطلح العصور التاريخية –منذ أوائل الألف الأولى ق.م وحتى تلك اللحظة التي تحدث فيها هيرودوت (أي عن عام 479 ق.م)– أي طيلة هذه الخمسمائة عام تقريباً بأفضل من القرون التي خلت قبلها . فكانت كل دويلة تشن الحروب على جاراتها ، طمعاً في ثرواتها ، أو تأميناً لحدودها هي . وفي الحالتين كانت الخسائر فظيعة من الجانبين : في الأرواح والممتلكات ، الأمر الذي جعل

---

(1) هو الملك الفارسي الذي ظل مصمماً على تأديب اليونانيين في عقر دارهم، فقام بحملتين عامي 490 و 480 ق.م ضد المدن اليونانية وأحرق أثينا ودمر تماثيل آلهتها ومعبدها الرئيس (الأكروبوليس).

(2) والحق أننا اليوم نعرف أكثر مما كان اليونانيون القدماء يعرفون عن أنفسهم آنذاك . راجع :
The World of Athens, Cambridge Univ. Press, Cambridge 1984, pp.1-2.
أو في مطلعه ، حوالي عام 1184 ق.م –كما جرى الاعتقاد بين الأدباءوالمؤرخين– لتأريخ حرب طروادة . وكان هيرودوت يعتقد بأنها حدثت قبله بحوالي 800 عام ، وقام المؤرخ الجغرافي إراتوسثنيس السكندري (حوالي 274 - 194 ق.م) بتأريخها ، حسابياً ، حوالي ما بين 1193 - 1183 ق.م . وراجع أيضًا المرجع الأحدث ، مارتن برنال ، أثينة السوداء ، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، تصدير وتحرير / محمود إبراهيم السعدني (مع آخرين) ، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة رقم 676 القاهرة 2005 ، ص 355 وما بعدها .

الأثرية إميلى ڤرميول (E. Vermeule) تعتقد حقاً وصدقاً بأن اليونان بلد من دول كثيرة منفصلة[1] .

إننا ، دونما إجحاف أو مبالغة منا ، نستطيع أن نحس المجهود الكبير الذى يبذله هيرودوت لإظهار اليونانيين كأمة واحدة –حتى ولو بالكلام– لأن ذلك هو أمنية السياسى الفاهم ، وصاحب الجولات والرحلات فى الشرق القديم ، حيث النظم الواحدة والإدارة المركزية فى دولها جميعاً ، فأصبح ذلك حلماً يراود هيرودوت ، وراح يبحث عن بذور لدعوته . وجاءته الفرصة مواتية ، وكانت فى انتصار الآثينيين على الفرس، انتصاراً مباغتاً ، قضى على كل طموحات الشرق (الفارسى) فى السيطرة والسيادة على الغرب(اليونانى) ، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى . وهنا نحاول أن نستقرأ المضامين التاريخية والحضارية من وراء عبارات هيرودوت كالتالى :

* لاحظ عزيزى القارىء ، كلمة «عدونا المشترك» .... بالرغم من أن الذى حارب الفرس ، وأنتصر عليهم ، بعد أن استسلمت معظم المدن اليونانية خوفاً من الجبروت الفارسى ، كانت هى القوة الآثينية فقط وكانت المعركة البحرية الفاصلة فى سلاميس مقبرة للأسطول العظيم (!!!؟) بزعامة السفن الآثينية ، والقيادة الآثينية . فأين بقية اليونان (؟!!!) .

* إن هيرودوت يحاول ، جاهداً ، إيجاد أرضية مشتركة ، فعلاً ، يلتف حولها اليونان جميعهم ، فجعل من أثينا ، صاحبة الانتصار ، زعيمة وحامية لتلك الوحدة المزعومة ، أو –إن شئت فقل– مشروع الأمة الواحدة !!! ، على أساس (كما قال هيرودوت) :

(أ) اللغة الواحدة .

(ب) صلات الدم والقربى .

(ج) المعتقدات الدينية الواحدة .

(د) التراث الحياتى الواحد والمشترك بينهم .

ولكن هيهات ، فقذ انفرط عقد التحالف اليونانى الجديد ، أمام الفرس بعد الانتصار عليهم بسنوات معدودة فقط ، كما رصد ذلك بالحق العالم بيرن[2] .

---

(1) Greece in the Bronze Age, Chicago and London 1972, p.l.

(2) Burn, A.R., The Pelican History of Greece, (1965), Rep. 1979, p. 208 ff., "..., but in a few years it was everywhere breaking down" .

(ب) أثينا في العصر الكلاسيكي :

لقد كانت أثينا (Athenai) ، [بعد انكشاف الغُمة ودَحر العدوان الفارسى عليها، ودمار أسطوله فى معركة سلاميس عام 480 ق.م ، وانسحاب القوات الفارسية الغازية عن أثينا عام 479 ق.م بعد أن أحرقت ودمّرت وخربت قلعتها الحصينة فوق ، الأكروبوليس ، تلك الصخرة المقدسة فى نظر كل الآثينيين وكل اليونانيين] يومئذ فى قمة نشوتها بالانتصار العظيم لأبنائها ، القليلى العد د والعُدّة ، على أعتى الجيوش العالمية آنذاك ، الجيش الفارسى .

وتبدّل الحال ، وراح اليونانى القديم يُنفّض غبار الزمن العتيق عن كاهله ، وخرج المارد الواثق من القمقم ، وأعلن عن نفسه الطموحة ، وروحه الجديدة ، فخوراً بانتصاره ، مزهواً بإمكاناته وقدراته ، فخلّف لنا تطوراً فى ميادين عدة .

(1) سبْق علمى فى مجالات العلوم ووضع القوانين والنظريات لظواهر طبيعية عديدة (كان قد سمع بها وعرف عنها ، من قبل ، من الشرق القديم) [1] ومن ثم كانت لهم الريادة الفلسفية .

(2) سبق سياسى ، فى ميدان نظم الحكم والإدارة العليا ، لتحقيق أعلى قدر من المشاركة الشعبية الممكنة وضمان عدالة الحكم ، ومن ثم التوصل إلى النظام الديموقراطى[2]– بعد معاناة طويلة مع نظم الحكم السابقة عليه من الأرستقراطية[3] إلى حكم الطغاة[4] والأوليجرْكية[5] – وذلك كأول مجتمع أوروبى يمارس ذلك ، بصورة رسمية ، منذ القرن الخامس ق.م ، بعد مشوار طويل فى تجارب صعبة مريرة ، دفع ثمنها المواطن اليونانى بعد أن غرّر به قادته وزعماؤه السياسيون والعسكريون ، لمدة لاتقل عن قرنين ونصف من الزمان.

---

(1) حول تأثير وفضل الحضارة المصرية القديمة ، مثلاً ، على اليونان القديم ، فى مراحل حضاراته المبكرة ، مثل كريت وموكيناى ، راجع : السعدنى ،العلاقات المصرية اليونانية القديمة ، (ندوة قسم التاريخ بجامعة القاهرة / أبريل 1985 : مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة 1986 ، ص ص 41 - 61 .

(2) E. g., Cloche, P., La Democracie athenienne, Paris 1951, P.26 ff.

وذلك لتقييم حقيقة الإنجاز السياسى الأثينى على أيدى بيريكليس (461 - 429ق.م) .

(3) راجع / سيد الناصرى ، الإغريق (تاريخهم وحضارتهم) ، ط 2 ، القاهرة 1976 ، ص 195 وما بعدها .

(4) المرجع نفسه .

(5) المرجع نفسه .

(3) سبق فنى ، وتميُّز واضح فى فنون المسرح [1]، والنحت[2] والزخرفة (على الأوانى الفخارية على إختلاف أحجامها ووظائفها) وكذلك العمارة ، ولاسيما بناء المعابد لآلهتهم الحامية [3] .

ومن هنا كان الشاعر الكوميدى ليسپوس (Lysíppos) على حق حينما راح يفاخر ببلده أثينا ، حوالى منتصف القرن الخامس ق.م ، فقال :

«إذا كانت لم تر أثينا ، فأنت أحمق . وإذا كنت قد رأيتها ، ولم تأسرْك ، فأنت حمار . وإذا كنت سعيداً عند مغادرتها فأنت بَغْل» [4].

فما هو السر الحقيقى وراء مثل ذلك الفخار ، وهل كان ذلك مرده الإنتصار السياسى الكبير على الفرس ، كما ذكرنا ، وهو الأمر الذى لم يكن يتوقعه اليونانيون أنفسهم ، فتضخمت عندهم «الأنا» ، وراحوا يزهون بأنفسهم وبوطنهم زهواً فاق كل الحدود ، وأنساهم واقعهم المر وفقرهم المدقع ؟!! .

إن الموضوعية التاريخية تفرض علينا أن نذكر المحاسن والمساوئ لكل شئ قيد الدراسة والبحث ، علّنا نخرج ، من بعد ذلك ، بيقين علمى نستريح إليه وتطمئن قلوبنا فى قرارها النهائى للإجابة عن ذلك السؤال الذى طرحناه آنفاً . وحقاً قال القدماء : إن لكل عملة وجهان ، ولكل شئ إيجابياته وسلبياته . ولعلنا – وصولاً إلى تلك الدرجة من الموضوعية المستهدفة من دراستنا هذه – نلقى بنظرة سريعة على الإقليم كله ، الذى تقع أثينا فى وسطه تقريباً ، وهى مركزه وعاصمته ، وهو إقليم أتيكى ، لنتعرف على إمكاناته وظروفه ، وبعدها ننتقل إلى أثينا لمزيد من التفصيل .

---

(1) راجع مثلاً / حمدى ابراهيم : الدراما الإغريقية ، القاهرة . وكذلك / أحمد عتمان : الشعر الإغريقى تراثاً عالمياً إنسانياً ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .

(2) حول البدايات الحقيقية للنحت اليونانى (فى عصوره التاريخية ، فيما بعد الغزو الدورى 1200 / 1100 ق.م) وعلاقتها بالنحت المصرى القديم ونقل اليونانيين وتقليدهم لبعض الملامح النحتية وتكنيك الصنعة من مصر إلى اليونان .

راجع محمود السعدنى : «هدايا مصرية إلى جزيرة ساموس ، دراسة تاريخية وأثرية» ، المؤتمر الأول للدراسات اليونانية والرومانية (الأسكندرية 22 - 24 نوفمبر 1986م) ، المنشور فى العدد الأول من مجلة الجمعية المصرية للدراسات اليونانية ، القاهرة 1988م .

(3) Melas, E., Temples and Sanctuaries of Ancient Greece, (A Companion Guide), Thames and Hudson, London 1970.

(4)Lysippos, frag. 7.

أولاً : إقليم إتيكى (Attike) :

(أ) الثروات الطبيعية (التضاريس - المناخ - المعادن) :

بالرغم من صغر مساحة إقليم أتيكى ، حيث لاتزيد عن (50) ميلاً مربعاً، وتهيمن الجبال والمرتفعات الصخرية عليه ، فإن به مساحة تقارب 1/4 إجمالى سطحه ، تصلح للزراعة . ولكن الأمطار به هى أقل مايكون قياساً ببقية أنحاء اليونان كلها .

كما أن مناخه معتدل ، إجمالاً ، حيث يسمح بفصل طويل للإنبات ونمو النباتات . ولكن فصل الجفاف يطول ، فى الصيف ، مما يقلل فرصة العديد من المحاصيل الصيفية من إكتمال نموها ، ماعدا أشجار الزيتون المعروفة بزهدها وقلة حاجتها إلى الماء .

وهكذا نلاحظ صغر وقلة الإمكانات الطبيعية ، بعامة ، فيما عدا ثراء الإقليم فى المعادن ، وبصفة خاصة الفضة . هذا ، فضلاً عن توافر أحجار البناء ، على إختلاف صلابتها وجودتها ، وكذلك طين الفخار (Pelós) . كما كان ميناء بيريه (Peraieus) ، فى جنوب الإقليم ، هو المنفذ الرئيسى لكل شئ مع الخارج .

ولكن فوق كل ذلك ، والأهم من ذلك كله ، كان المواطن نفسه بملامح شخصيته الفريدة ، والمواطن الآثينى بوجه خاص[1] .

وكان ثوكيديديس (Thoukydides) - أحد أعظم مؤرخى اليونان فى القرن الخامس ق.م - قد أشار إلى خصوصية طبيعة بلاده ، وخص بالذكر :

(1) فقر البلاد العام ، مما قلّل من فرص الإغراء للإعتداء عليها .

(2) الإستقرار السياسى الملحوظ[2] .

ويبدو أن طبيعة الإقليم الجبلية ، فى أتيكى ، وفى أثينا على وجه الخصوص ، قد شغلت أصحاب العقول المستنيرة آنذاك ، وعلى رأسهم فلاسفة ومؤرخو ذلك الزمان، فراح سقراط ، مثلاً ، يخاطب القائد والزعيم الآثينى الفذ بيريكليس[3]

---

(1) The Culture of Athens, Lactor, 129 (1978). p.2,

(2) Ibid., p.1.

(3) لمزيد من المعلومات عن بريكليس وعصره ، راجع / أحدث دراسة متخصصة لصاحبتها آمال أحمد محمود ، الحروب البلوبونيزية (رسالة ماجستير ، غير منشورة وتحت إشرافى ، كلية الآداب، جامعة حلوان 2007 م .

(Perikles) قائلاً :

«أنت ترى ، يا پيريكليس ، كيف أن بلدنا محاطة بجبال ضخمة ، وهى التى تمتد إلى داخل إقليم بيوتيا [1] ، ولها ممرات شديدة الإنحدار ، وضيقة ، داخل إقليمنا[2] ، كما أن الداخل ، كذلك ، محاط بمرتفعات شاهقة» [3] .

وكذلك كان الأدباء ، عمالقة المسرح اليونانى القديم ، أولى الناس جميعًا بتعميق روح الإنتماء الوطنى الآثينى فى قلوب المواطنين ، عن طريق إبراز مواطن الجمال والقوة والتفرد فى بلدهم . فها هو سوفوكليس [4] (Sofoklés) ، يتفاخر بثروات الإقليم الآثينى ، وبصفة خاصة ، فى منطقة كولونوس ، إحدى ضواحى مدينة أثينا ، فيقول :

«هناك نبات ، يزدهر بقوة ، فوق هذه الأرض – لامثيل له فيما سمعته عن آسيا أو البلوپونيز الكبير – هو دائم البراعم ، خالد ، يجدد نفسه بنفسه ، بسبب اليأس فى أسلحة الأعداء ، إنه شجرة الزيتون ، ذات الأوراق الرمادية ، وغذاء الشباب» .

هكذا يُحْسِن أهل الفكر التأثير على مواطنيهم ، ويختارون أبهى وأجمل ماعندهم، برغم فقرهم ، حتى يزدادوا ثقة فى أنفسهم ، ويعتدّوا بوطنهم ، ويشعرهم بتفرد مايملكون من خيرات ، على قلتها وندرتها ، ويغرس فيهم حب العمل والتفكير فى إستغلال كل شئ حولهم ، وهاهو نبات الزيتون ، مثلاً ، الذى منه :

(أ) يأكون ، سليماً كان أم معصوراً كزيت .

(ب) وتحته يستظلون ، من وهج الشمس المحرقة صيفاً .

(ج) ومن خشبه ، القوى ، يصنعون أسلحة ، ربما كانت سهاماً أو أقواس الرماة ، تحقق النصر على الأعداء .

(ب) التجارة :

لقد كانت التجارة ، (ولاسيما جلب الواردات اللازمة للإقليم كله لسد العجز الواضح فى المنتجات والمتطلبات اليومية) ، هى الملجأ الوحيد الطبيعى ، والحيوى ،

---

(1) يقع هذا الأقليم في الشمال الغربى من أتيكى .

(2) الترجمة الحرفية هى : «داخل بلدنا (وطننا)» .

(3) Xenophone, Memorabilia, III : 5.25.

(4) هو ثانى مؤلف مسرحى من العصر الكلاسيكى الذهبى ، ويؤرخ له بـ 496 - 406 ق.م . وكان قد طوّر لغة العمل الدرامى والحبكة والموضوع .

راجع / محمد صقر خفاجة ، تاريخ الأدب اليونانى ، القاهرة 1961 .

للمجتمع الآثينى ، بصفة خاصة ، وقد ساعدت الظروف المحيطة بيونانيّ تلك الفترة على نجاح مهمتهم وتحقيق المزيد من الأرباح ، ومنها :

(1) كثرة الموانىء الطبيعية للإقليم [1] .

(2) فضولهم الزائد ، وثقتهم الزائدة بأنفسهم عقب انتصارهم على الفرس .

(3) خبراتهم المتوارثة فى ركوب البحر ومعرفة الطرق البحرية وصناعة السفن.

(4) تشجيع القادة العسكريين والسياسيين للتجار وإغرائهم بالأرباح من أجل إستيراد القمح والأخشاب .

(5) طموحات المواطن الآثينى ، واليونانى بعامة ، فى حياة أفضل ، وحب المغامرة .

المجتمع الآثينى

ولعلنا – إستكمالاً للنشاط التجارى كأبرز نشاط لسكان أتيكى كلها – نزداد يقيناً بحيويته وأهميته لأثينا العاصمة ، فى ضوء شهادة كسينوفون ، الذى يؤكد على تجارة ميناء بيريه ، وبضائعه وتسهيلاته ، فيقول :

«ولسوف أقول ، الآن ، شيئًا لأبين أن أثينا لطيفة جداً ، وأنها مكان مفيد عند التجارة معه . وإننى أعتقد أنها ، فى المقام الأول ، تملك أفضل وأكثر التسهيلات البحرية أماناً للسفن ... ولكن التجار يمكنهم أن يأخذوا من أثينا ، فى مقابل بضاعتهم، أشياء كثيرة متنوعة ، تكون شعوبهم فى حاجة إليها ، وإذا لم يرغبوا فى حمل بضائع مقابل حمولاتهم ، فإنه بإمكانهم أن يربحوا أكثر بأخذهم الفضّة ، ذلك لأنهم حيث يبيعونها فإنه يحصلون ، دائماً ، على سعر أعلى مما أعطوا مقابلاً لها» .

إذن ، هكذا يحاول هذا المؤرخ البارع أن يروّج لأهم منتجات بلاده ، وهى الفضّة ، بعد أن راح يعدد مغريات أثينا وميناءها فى تسهيلات مضمونة ، مما يذكرنا بما سبق أن قرأنا ، أيضاً ، عن سوفوكليس ، الذى كان يفاخر بشجرة الزيتون .. وهكذا تكون مسئولية مثقفى العصر إزاء بلدانهم .

ولكن ، يبقى سؤال هام جداً ، فى تقديرنا نحن ، ونحن بصدد الحديث عن المجتمع الآثينى ، وطبقاته وسياساته . هذا السؤال هو بمثابة القاعدة الرئيسية لكل

---

(1) Xenophon, Poroi, (Revenues), I : 2-8, IV : 2-3.

إنطلاق صوب أى من الموضوعات اللاحقة . ويمكننا صياغته كالتالى :

ماهى القوة السكانية الفعلية لمدينة أثينا ؟ أو - بكلمات أخرى - هل يمكن إجراء تعداد لسكان أثينا ، فى العصر الكلاسيكى ؟ أو ، ثالثًا ، ماذا عند المصادر الكلاسيكية حول القوة العددية لمجتمع أثينا القديم ، فى عصرها الذهبى ؟ .

الواقع التاريخى والأثرى ، حتى الآن ، لايعطينا إجابات شافية وقاطعة لهذا السؤال ، إذ ليس هناك وسيلة محددة ، مثل تقارير إحصائية أو ضرائبية لكل سكان أثينا القديمة ، فى القرن الخامس ق.م مثلاً . ولكن كان الباحثون فى التاريخ اليونانى القديم محظوظين ، فعلاً ، بشهادة أحد أهم مؤرخى ذلك الوقت ، وأكثرهم موضوعية وأمانة ، وهو ثوكيذيذيس (Thoukydides) [1] ، حول أعداد المواطنين الأحرار ، فى أثينا ، من الشباب الذكور . وهذه التقديرات العددية ، لهذه الفئة العمرية من السكان ، وإن كانت لاتزال قصة وغير كاملة فيما يخص الفئات الأخرى ، إلا أنها تعطينا تصوراً قريباً ، مقبولاً ، للبقية الباقية من السكان .

لقد كان ثوكيذيذيس هو أقدم وأدق مصدر ، شاهد عيان ، لأحداث حرب مصيرية بين أكبر مدينتين يونانيتين فى العصر الكلاسيكى وهما أثينا ، التى ينتمى إليها، من ناحية ، وإسبرطة ، زعيمة الجنوب وصاحبة النظام السياسى الفريد [2] ، من ناحية أخرى .

لقد ذكر ثوكيذيذيس عدد القوات الآثينية ، ووحداتها العسكرية ، تبعًا لأسلحتها[3] ، كما يلى : (وذلك منذ بداية الحرب البلوبونيزية بين أثينا وأسبرطة عام 431 ق.م) .

(أ) قوات المشاة (أوپليتس [4] (Oplites) = 13.000 ، وقوات المشاة (الذين تحت السلاح من الشيوخ والأطفال) = 16.000 .

---

(1) Cf., O.C.D., op. cit., S.V. "Thucydides", pp. 1067-1070.

أهم إنجاز له هو كتابته لتاريخ الحرب البلوبونيزية بين أثينا وأسبرطة فيما بين 431 - 404 ق.م فى ثمانى كتب. كان قد ولد فيما بين 460 - 455 ق.م ، وأصبح جنرالاً عسكرياً فى عام 424 ق.م.

(2) حول النظام الأسبرطى القديم ومجتمعه ، راجع سيد الناصرى ، الإغريق ، تاريخهم وحضاراتهم، القاهرة 1988 ، ص ص 173 - 184 .

(3) Thucydides, II, 13 : 6-8.

(4) وهم قوات مسلحة تسليحاً ثقيل الحمل من الدروع والرماح وواقى الصدر (الصديرية) والساقين ، فضلاً عن الخوذ . وحركتهم بطيئة تبعاً لذلك ، وهم الذين فى الخدمة العسكرية الفعلية .

(2) فرقة الفرسان (إيبكى [1] : Ippikoí) = 1.200 .

(3) فرقة الرُماة (تُوكسوتى : Toxótai) = 1.600 .

وهكذا يصبح إجمال القوات الآثينية ، العاملة ومن هم تحت السلاح ، عند التعبئة العامة وقت الضرورة ، حوالى 31.800 (واحد وثلاثون ألفًا ، وثمانمائة مواطن) .

هنا يمكننا أن نُعمل ذهننا – إذا صدق تقدير مؤرخنا العسكرى هذا ونأخذ حساباته على علاتها – ونتوجه إلى البقية الباقية من فئات السكان ، من النساء ، على إختلاف مراحل حياتهن العمرية . عندئذ لن نكون مبالغين إذا أضفنا حوالى 20 (عشرين) ألفاً أخرى ، للرقم السابق الذكر ، مقابل البنات والأطفال الصغار وكذلك كل سيدات المجتمع الآثينى ، ليصبح الإجمالى النهائى ، الممكن ، لكل سكان أثينا ، آنذاك، حوالى 50.000 (خمسين ألفاً) ، وذلك فى ضوء إشارة عابرة ، غير مباشرة ، جاءت عند هيرودوت[2] . هذا ويزيد بعض الدارسين [3] هذا الرقم بعدد عشرة آلاف أخرى إضافية ، ليصبح الرقم الإجمالى ، أخيراً ، حوالى 60.000 (ستين ألفاً) . ولعل هذه الإضافة الجديدة وضعت فى إعتبارها أعداد العبيد ، مثلاً ، أو الأجانب المقيمين فى أثينا فى ذاك الوقت ، أم أن هذه الإضافة كان للمواطنين الأحرار الآثينين فقط ، أى «البوليتيس [4] : (Polítes) ؟ الحق أننا لسنا على يقين تام .

هنا يقفز السؤال المناسب ، فى هذا التوقيت بالذات ، حول «نظام المواطنة» الآثينية ، ومدى علاقته بالجيش والتدريبات العسكرية اللازمة للدفاع عن المدينة ، كواجب وطنى ، يأتى على رأس قائمة المسئوليات العليا المفروضة على المواطنين تجاه بلدهم .

---

(1) وهم راكبو الخيل . كلمة مشتقة من «إيپوس» (Ippos) ، أى / حصان ، فرس ، والفعل (Ippeúo) ، أى / اركب الفرس . ونحن ننطقها ، هنا ، نطقاً يونانياً حديثاً .

(2) Herodotus, VII : 144.

(3) لمزيد من التفاصيل حول هذه القضية لأعداد سكان أثينا الكلاسيكية ، راجع :

(a) Gomme, A. W., "Historical Commentary on Thucydides", Lactor, op. cit .

(b) Jones, A.H.M., Athenian Democracy, pp. 161-165.

(4) آثرنا أن نستخدم القراءة اليونانية الحديثة لكل المفردات القديمة لسببين ، هما : الأول لشيوع النطق وانتشاره حتى اليوم وفهم مضمونه بسهولة . والثانى ، لسهولة النطق الحديث على اللسان العربى واختصار نطق الأصوات المتحركة المزدوجة (Diphthongs) . ويكفى أن تعرف ، مثلاً ، أن هذه الكلمة ، بالقديم تنطق : «پوليتاى» (Politae) .

• إستراتيجية القوة ونظام المواطنة :

كلنا يعرف أن أثينا القديمة كانت تتكون من (10) عشرة قبائل «فيليز»[1] (Phylés) ، ومن ثم كان إسمها جمعًا ، أى أثينز [2] (Athénes) ، وقد توزعت أحياءها «ذيمى» (Demoi) بين هذه القبائل العشرة ، وهو التقسيم الرئيسى الذى تم على أساسه :

(أ) تقدير الحصص الضرائبية والتموينية .

(ب) التمثيل السياسى .

(ج) التنظيم العسكرى وتكوين الجيش الآثينى .

ويكفينا للتدليل على أهمية وحيوية هذا التقسيم الإدارى الثابت ، فى تاريخ أثينا القديمة ، أن نعرف أن الركن الثالث فى إسم الشخص الآثينى كان ذا دلالة جغرافية تشير إلى الحى [3] الذى ينتمى هو إليه ، ومنه جاء إلى مكان آخر ، وفيه عاش طفولته الأولى . ولنضرب مثالاً ، بالإسم الرسمى للزعيم الآثينى الأشهر بيريكليس [4] : (Perikles)

(1) فاسمه الأول (Periklés) هو : بيريكليس .

(2) واسم والده (Xanthíppos) هو : كسانثيُّوس .

(3) واسم الحى المولود فيه (Cholargós) هو : خولارجوس .

ويصبح إسمه ، بالترتيب هو : (Periklés Xanthíppou Cholargoú) .

كما نعرف ، أيضاً ، أن الشاب الآثينى ، إذا بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً كان يتم تسجيله كمواطن (Polítes) ، فى سجلات الحى الذى يعيش فيه ، ومن ثم يتم إعتراف المجلس النيابى الآثينى «البولى» (Boulé) بذلك التسجيل . وعندئذ يصبح إنخراط هذا الشاب فى الخدمة العسكرية ، الإجبارية ، ضرورياً ، مع بقية الأعضاء الآخرين من قبيلته .

---

(1) بالقديم : فيلاى (Phylae) .

(2) بالقديم : «أثيناى» (Athenai) مشتق من اسم الربة الحامية للمدينة ، الربة أثينا (Athená) .

(3) ظل الاهتمام بتاريخ أثينا ، بصفة خاصة ، دون بقية المدن اليونانية القديمة ، حتى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ، استناداً إلى أقدم الأعمال عنها من العصر الهيلليني عند إستروس (Istrus) تلميذ كاليماخوس ، الذى كتب «الشئون الآثينية : أتيكا (Attiká) ، وكان بوسنياس -Pausan) ias) معجباً بتاريخها (I : 27, 24, 29) .

(4) حول المختصر المفيد ، مشفوعاً ببعض البيليوجرافيا الرئيسية فى موضوعها ، راجع :
The Oxford Classcial Dictionary, op. cit ., s.v. "Pericles". pp. 800-801.

ويقول أرسطو [1]، فى هذا الخصوص ، مايلى :

«كان الآباء يعقدون إجتماعات على مستوى القبائل . وبعد أن يَحْلفون الأيْمان، يختارون[2] ثلاثة أعضاء ، من كل قبيل ، تزيد أعمارهم عن سن الأربعين ، وهم الذين يعتبرونهم أفضل ، وأنسب (العناصر) للإشراف على الشباب «الفتيان» (Epheboi) .

(جـ) مراحل تطور الديموقراطية الآثينية
(دراسة تحليلية للنص القديم)

إذا كان للشرق أن يتفاخر بماضيه المجيد وإنجازه الحضارى الشامخ ، ذى السبق التاريخى البعيد ، فإن لليونان القديم ، أيضًا أن تزهو بأنها صانعة النظام الديموقراطى الأول فى العالم القديم بأسره .

وعندنا ، فإن هذا الإنجاز السياسى الرائع لليونان ، بصفة عامة ، ولمدينة أثينا، بصفة خاصة ، لم يأت من فراغ أو عفويًا ، بمحض الصدفة التاريخية . ذلك لأن جرثومة الديموقراطية كانت تجرى فى الرجل اليونانى القديم مجرى الدم فى العروق، فولدت معه وعاشت قروناً طويلة ، حتى جاءتها الفرصة المواتية لتخرج إلى النور . بدأت أولاً على استحياء ، فى إصلاحات سولون (Solón) – مشرّع أثينا الأول فى مطلع القرن السادس ق.م . – وظلت تفرض نفسها ، رويداً رويداً ، على من جاء بعده من الزعماء والقادة ، حتى إبان أحلك سنوات أثينا السياسية ، أثناء حكم الطغاة (Tyrannoi) طيلة النصف الثانى من القرن 6 ق.م ، حتى إكتمل شكلها على أيدى كليستنيس (Kleisthénes) . ولكنها إزدهرت إزدهاراً عظيمًا على أيدى پيريكليس الذى إستمر حكمه حوالى 32 عامًا (461 - 429 ق.م) ، هذا بالرغم من إختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول حقيقة الإنجاز السياسى الآثينى[3] .

---

(1) The Athenian Citizen, (7th Printing, 1976), The American School of Classical Studies at Athens, (Excavations of the Athenian Agora, Picture Book No. 4), Athens 1960, p. 4.

(2) كان ذلك فى الغالب ، بالانتخاب ، كما يقول النص المترجم إلي الإنجليزية (المرجع نفسه) .

(3) Cloche, P., La Democracie athenienne, Paris 1951, p.26 ff.

وهكذا يكون ذاك المولود الجديد قد إستغرق حمْله حوالى 150 عاماً ، أى قرن ونصف تقريباً ، منذ أول سنوات حمله ، فى مطلع القرن (6) ق.م ، وحتى تم الوضع بسلام عند منتصف القرن (5) ق.م . هنا يفرض سؤال نفسه : أليست تلك الفترة هى أقصر المراحل التاريخية العالمية ، القديمة والحديثة على السواء ، لظهور مثل هذا النظام السياسى الفريد لحكم الشعب (Demokratía) ؟ .

لقد كانت جرثومة الديموقراطية تنمو يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام داخل كيان المواطن اليونانى الذى علمته مدينته روح الحرية والإستقلال داخل حدودها ، حتى غدا ولاءه لها قبل أن يكون لأى شئ آخر . وإن أغلى وأقيم سلوكيات غرستها المدينة - الدولة (Pólis - Krátos) داخل نفس المواطن اليونانى منذ القرن الثامن وطيلة القرن السابع ق.م . كانت حريته [1] (Eleuthería) ، فى كل شئ ، والإحساس الجماعى للصالح المشترك (To Koinón) :

* فها هو يسجل إسمه على كل شئ يخصه ، أو يقوم به بالإشتراك مع آخرين .
* وها هو يتسابق فى الدفاع عن مدينته وحدودها ، ولذلك لم تعرف اليونان ، قديماً ، أى نوع من الوحدة أبداً .
* وها هو يبدع ، بعد أن ينقل عن الشرق [مصر وسوريا والعراق] موتيفات ومصنوعات فنية كثيرة ، وكذلك تكنيك صناعة تماثيل الحجر الضخمة مع مطلع القرن السادس ق.م[2] .

وإذا ماحصرنا أنفسنا فى ملامح شخصية المواطن الآثينى ، لوجدناه ، لايقل ، بل ربما يتفوق على أقرانه ، بقية اليونانيين ، وذلك نظراً لخصوصيات هذا الإقليم وتلك المدينة التى تفرض على أصحابها روح التحدى كشرط لاستمرار الحياة على أرضها الفقيرة .

إن روح المواطن اليونانى الحر هى صاحبة الفضل فى تحقيق التقدم على طريق الديموقراطية ، ذلك لأنه فرضها فرضًا على حكامه وألزمهم بالسير على هداها، ولم تكن منحةً أو منةً منهم عليه . وهذا هو رأينا الصريح فى الموضوع .

---

(1) تم صياغة اللفظ وفق النطق الحديث للمفردة اليونانية .

(2) لمزيد من المعلومات عن علاقات اليونان بالشرق القديم ، وبمصر في النصف الأول من الألف الأولى ق.م ، راجع رسالتنا للدكتوراة (باليونانية الحديثة) :
Graeco-Egyptian Relations : 945-525 B.C., Athens 1982.

ولقد فرض تطور الحياة الإجتماعية والاقتصادية ، ذات الطابع التجارى للمجتمع الآثينى ، منذ مطلع القرن 6 ق.م ، أن تتوارى المظاهر الأرستقراطية ، بعد أن فشلت آخر محاولة لزحد النبلاء الآثينيين فى الإستيلاء على الحكم وإقامة نظام ديكتاتورى عام 630 ق.م . على أيدى كيلون (Kylon) ، الذى قبض عليه أرخون (Archon) المدينة الحاكم ، آنذاك وهو ميجاكليس (Megakles) ، وأعدمه . وبالرغم من ذلك، أى من إحباط تلك المحاولة الجريئة ضد مصالح الشعب الآثينى ، إلا أن مواطنى أثينا لم يسكتوا على جريمة الإعدام التى تمت لأنها كسرت – داخل نفوسهم – عرفًا دينياً وهو حق حماية العابد ، المعروفة باسم أسيلون (Asylon)[1] ، وبالتالى لم يغفر للأرخون أنه قد قضى على مغتصب للحكم ، فقاموا وأصروا على طرده ونفيه، هو وأسرته كلها، آل ألكمايون (Alkameonidai) . وكانت هذه أولى مظاهر الإجماع الشعبى الآثينى ضد الحاكم .

وجاء أرخون آخر ، حاكمًا لأثينا عام 621 ق.م ، وحكم المدينة وفق قوانين صارمة جاعلاً عقوبة الإعدام لأقل جرم يرتكب . كان ذلك هو دراكون[2] (Drákon) . وهنا لاتسعفنا المصادر القديمة ولانعرف أشياء كثيرة عن حكمه ودستوره . ويذكر سيد الناصرى تقييماً له فيقول :

«مهما يقال عن قوة قوانين دراكون إلا أنها أعطت الطبقات الدنيا حقوقًا أمام القانون بدلاً من الحرمان والتجاهل فى العهود السابقة . وهذه خطوة نحو الإعتراف بهم» [3].

وحقًا ، فإننا نرى كذلك ، أن مجرد قيام الحاكم بإرساء قواعد قانونية يسير على هداها مجتمعه (بغض النظر عن عدالتها أو جورها) ، فإن ذلك يعنى إحساسه بضرورة وجود نوع من الإلتزام ، على الجميع ، أمام الدولة ، دون الحاجة إلى إجتهاد مضطرب أمام كل موقف ، وتتداخل فيه النزعات الإنسانية الفردية ، ويفتح الباب ، على مصراعيه، لكل أنواع التحيز والمجاملات على حساب الصالح العام . وهذا فى نظرنا أولى بوادر الإعتراف بحق الأفراد فى المساواة أمام قانون واحد . ومن هنا ، أيضًا ، جاء اللجوء إلى شخصية ، معروفة بإتزانها وعدالتها ومحبوبة من الجماهير ، وهو سولون ، لكى يضع حلاً للصراع الطبقى الذى كاد المجتمع الآثينى أن ينفجر بسببه .

---

(1) وهى المعروفة الآن باسم الحصانة (Asylum) ، باللاتينية .

(2) ربما كان الإسم أسطورياً ، بهدف الدلالة على وحشية القمع والإجراءات التى أتبعها ذلك الحاكم، لأن اسمه اللفظى يعنى : التنين .

(3) الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم ، ط 2 ، القاهرة 1976 ، ص 196 .

المرحلة الأولى - تشريعات سولون :

تم إنتخاب سولون أرخونًا لآثينا عام 594 ق.م بهدف إيجاد حلٍ لكل الأطراف التيِ كانت نفوسها قد إمتلأت بغضاً وكراهيةً ضد بعضها البعض . «وسمي بالأرخون الموفق ، لأنه إستطاع عن طريق إرضاء كل الأطراف المتنازعة ، وعن طريق اللجوء إلى أنصاف الحلول ، من تهدئة الموقف ، وتمييع قضية الطبقات المحرومة» [1].

وبإطلاعنا على تشريعاته ، سندرك أنه لم يكن بالإمكان أبدع مما كان ، آنذاك، وأن أسلوب الترضية الحذر «أو المصالحة» (Symbibasmós) كان هو الحل الأوحد المقبول لتلك المرحلة الصعبة من مشوار الحريات الإجتماعية والمساواة القانونية ، التي إنتهت بحصول الشعب على كامل حريته السياسية عند منتصف القرن (5) ق.م. ويمكن تقسيم هذه التشريعات إلى ثلاثة أنواع في ضوء ثلاثة أنواع من المصالح:

(أ) للصالح العام للدولة .

(ب) لصالح الأغنياء .

(ج) لصالح الفقراء .

وإن كانت كلها – في النهاية – هي لخدمة الدولة ككل .

أولاً : تشريعات الصالح العام :

(1) إلغاء قوانين دراكون التعسفية :

مع الإبقاء ، من بينها ، على فرض عقوبة الإعدام على مرتكبي جرائم القتل . وفي ذلك قصاص مباح لصالح المجتمع كله ، دون تمييز أو محاباة لأي فئة من فئاته.

(2) تحريم تصدير القمح والحبوب :

وذلك لمنع جشع التجار ، من ناحية ، ولضمان الإكتفاء بالإنتاج المحلي منها للإستهلاك الداخلي .

(3) تشجيع الصناعة المحلية والتصدير :

شجع سولون أصحاب الحرف الأجانب (Metichoi) على زيادة الإنتاج

---

(1) سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص 126 .

والتصدير لمنافسة المنتجات الكورنثية من الأوانى التجارية المزخرفة . كما أعاد تنظيم الموازين والمكاييل والمقاييس ، فضلاً عن إستخدام النظام النقدى لجزيرة إقْيا (Eúboia) كما ألزم الصناع الآثينيين أن يعلموا أولادهم حرفة أو تجارة حتى لايشبوا عاطلين ، يهددون أمن المجتمع .

(4) الحد من البذخ والإسراف :

كان ضرورياً لعدم إستفزاز الفقراء وحقدهم وربما خوفاً من ثورتهم ، أن يتوقف إنفاق الأغنياء وإسرافهم عند حد معين ، قرره سولون كحد أقصى ، إنقاذاً لموارد الأغنياء ، من ناحية ، ودرءاً لخطر داهم من الفقراء ، من ناحية أخرى ، تحقيقًا لاستقرار المجتمع الآثينى .

* إعادة تنظيم طبقات المجتمع الآثينى :

وهى عملية تحصيل حاصل بالنسبة للوضع الإجتماعى السائد آنذاك ، وماهى إلا تقرير واقع فعلى ، لايستطيع سولون منه فكاكاً ، ولايقدر على تغييره حتى لو أراد، ذلك لأنهم – أى الأغنياء – لم يوافقوا عليه أرخوناً ، حتى يأتى لينتقصهم حقوقهم . ولكن – هنا – أراد توزيع الأدوار السياسية فى إدارة الدولة الآثينية ، بين فئات الشعب، كل حسب قدراته الفعلية ، وحسب ثروته ، فجاء تنظيمه تيموقراطياً[1] (Timokratikón)، وكما جاء عند أرسطو ، كانت طبقاتهم كالتالى :

(أ) **الطبقة الأولى – الأغنياء :** (Pentakosiomedimnoi) أصحاب الخمسمائة مكيال[2]، وقد خصهم سولون بأحقية اتوالى المناصب العليا فى الدولة ، وذلك لقدرتهم على العطاء والإنفاق ، دون إنتظار لراتب ، بل سعياً وراء الشرف والمجد المعنوى . فكان منهم الأراخنة ، حكام أثينا وقواد الجيش ورؤساء المصالح [3].

(ب) **الطبقة الثانية (الفرسان) :** (Ippeis) وهم أصحاب الثلاثمائة مكيال ، والذين

(1) وهى كلمة مركبة من لفظتين يونانيتين : الأول : تيمى (Timé) ، أى السعر ، الثمن ، والشرف . والثانى هو : كراتوس (Krátos) وتعنى : الدولة ، النظام . ومن ثم ، فإنها تعنى نظاماً قيمياً ، يعنى يقيم الممتلكات وما يمكن أن يتبعهامن تأثير سياسى مصاحب لها .

(2) وهو –باليونانية– الميديمنوس (Medimnos) ، وهو مكيال للسوائل أو الجوامد ، لتقدير ريع الأرض ، مثل زيت الزيتون أو القمح ..... إلخ.

(3) جاء عن أرسطو (نظام الآثينيين –ترجمة د. طه حسين ، المرجع السابق ، ص 335) ، تفصيل ذلك مثل : حفظة الخزانة ، والبوليتاى (Politai) والأحد عشر مسئولاً عن السجون العامة(Philakaí) ، والكولا كريتاى (Kolakritaí) المسئولون عن الموائد العامة (Ta Sympósia).

يقدرون على تربية فرس وتجهيزه للقتال . وقد منحوا حق تولى الوظائف الصغرى .

(ج) الطبقة الثالثة (الفلاحون) : (Zeugitai) وهم أصحاب المائتى مكيال ، من الفلاحين فى الغالب ، وبعض الحرفيين والتجار . وكان بمقدورهم ، أيضاً ، تولى المناصب الصغرى .

(د) الطبقة الرابعة (المعدمون/الأتباع) : (Thetai) وهم فقراء الآثينيين ، الذين لايملكون شيئاً ، وبالتالى لايقدرون على تولى تبعات أى منصب فجاء حرمانهم تبعًا لفقرهم ، والأفضل أن نعتبر ذلك تخفيفًا عن كاهلهم طالما أن كل وظائف الدولة، آنذاك ، كانت شرفية غير مأجورة برواتب ، بل تفرض على أصحابها أعباء مالية كبيرة لاقبل للفقراء ، أو محدودى الدخل ، القيام بها .

ثانيًا : تشريعات لصالح الأغنياء :

(1) تعزيز سلطة مجلس الأريوباجوس (Areopágos) :

«فقد حفظ هذا المجلس لسولون حماية القوانين وكلفه بمراقبة النظام ، كما كان ذلك من قبل، ومن حيث أنه كان يملك من السلطة السياسية أعلاها وأوسعها ، فقد كان يراقب أعضاء المدينة ، ويوقع الجزاء على من خالف القانون ، إذ كان كملك يقضى بالعقوبة أو الغرامة من غير أن يكون لقضائه مرد . وكان يؤدى إلى خزانة الحكومة مايجتمع من الغرامات التى قضى بها من غير أن يكون ملزمًا ببيان السبب الذى حمله على القضاء»[1] .

كما كان من حق هذا المجلس [الذى كان حكراً على أعضاء الطبقة الأولى من الأغنياء والنبلاء والأشراف ، (بالضبط كما كان إنتخاب التسعة الأراخنة – الحكام ، من بين الأربعين فرداً ، المرشحين من قبل القبائل الأربعة ، حكراً كذلك ، على أفراد تلك الطبقة الأولى)[2] أن يستدعى الأراخنة التسعة للإمتحان أمامه – كما كانت العادة قديماً – ولايقر إختيارهم «إلا إذا ظهرت له كفايتهم»[3]، (منهم فيهم .. زيتنا فى دقيقنا ؟!!!) .

إذن ، كان لأعضاء تلك المحكمة ، أو ذلك المجلس[4]، سلطة مطلقة فى تقدير

---

(1) أرسطو ، دستور الآثينيين ،(أو / نظام الآثينيين) ، ترجمة طه حسين ، ص 336 .

(2) المرجع نفسه .

(3) أرسطو : نظام الآثينيين (المرجع السابق) ، ص 337 .

(4) سُمِّى كذلك ، بالأريوباجوس ، نسبة إلى الصخرة (التل) الذى كان يجتمع عليه أعضاؤه ، عند السفح الشمالى الغربى لهضبة الأكروبوليس وسط أثينا .

الجزاءات والعقوبات دون إبداء الأسباب ، وكذلك إقرار الإقتراع (Kléros) ، لأعضاء المجلس الحاكم (الأراخنة التسعة) المختارين من بين مرشحى القبائل . فهو – كما نرى – كان اليد العليا فى تقرير السياسية الآثينية ، وتقرير مصير رجالتها العسكريين كذلك . ولم يكن هناك أحد – كما رأينا – فوق القانون الآثينى !!! وهذا درس يجب علينا أن نتعلمه الآن لنحلم بديمقراطية غداً .

(2) إنشاء مجلس الأربعمائة :

وهو مجلس الشورى ، يتلو فى الأهمية المجلس الأعلى «الأريوباجوس» ، ولكنه أكثر شمولية لأغنياء المجتمع الآثينى ، ومن خلال ترشيح القبائل الأربعة التى تتكون منها الجماهير الآثينية ، ثمائة عضو ، عن كل منها .

ثالثاً : تشريعات لصالح الفقراء :

(1) إلغاء الديون (Seisáchtheia) :

وقد باشر سولون بمجرد توليه منصب الأرخون بإعلان إعفاء المدينين من ديونهم وإسقاطها . وقد سبق ذلك إعلان بقية قوانينه ، مما يؤكد إهتمامه بهذه الظاهرة اللاإنسانية فى حياة المجتمع الآثينى . وحذر أن يتخذ ، فى الحال أو المستقبل، شخص المدين رهينة لدينه . وكان سولون – فى ذلك – شاملاً لكل الديون العامة والخاصة[1] .

(2) حق الإشتراك فى جلسات «الجمعية الشعبية»[2] :

وهكذا حقق سولون المعادلة الصعبة ، فأبقى ماكان للأغنياء من حقوق إكتسبوها بفعل الزمن وبقوة ثرواتهم ، وإعمالاً لشهادة هيسيود (Hesíodos) – منذ أكثر من قرن مضى قبل سولون – بأن المجد يسير خلف الثروة . كما رفع الظلم والقهر عن جموع الشعب الآثينى الفقير ، وحرر إرادتهم ورفع معنوياتهم ، وأشركهم ، لأول مرة ، فى جلسات الإكليسيا (Ekklesía) ، أى إجتماعات الجمعية العمومية لكل أفراد الشعب الآثينى ، فضلاً عن مشاركتهم – كمحلفين فى المحاكم بلا أجر .

وهنا يقرر الناصرى :

«وعلى ذلك يمكن القول بأن سولون وضع بين يدى الطبقات الدنيا سلطات

---

(1) يذكر أرسطو (المرجع السابق ، ص ص 332 - 333) كيف أن هذا الموقف أثار الفريقين عليه ، الديمقراطيون والأرستقراطيون ، وإن كانت رواية الديمقراطيين أقرب إلى التصديق .

(2) المرجع نفسه ، ص 335 .

كبرى وجعلهم هم المسيطرون على الدولة وهذا بداية الطريق الفعلى إلى الديموقراطية»[1] ، وإن كنا لانوافق تمامًا على مفردات تلك الصياغة المتفائلة جدًا لذاك الواقع ، بعد أن رصدنا أنواع التشريعات لكل فئة على حدة ، وبالتالى ليست هناك سلطات كبرى (؟!!) للفقراء (الثيتيس) ولم يسيطروا على الدولة (؟!!) . وذلك لأن تلك الجلسات الشعبية ، لم تكن وفقًا على الفقراء ، الطبقة الرابعة من طبقات المجتمع الآثينى ، بل يحضرها كل المواطنين ، من كل الطبقات ، وبالتالى فإن ماتقوم به من أعمال (؟!!) لايخص الفقراء وحدهم ولايعبر عنهم هم فقط دون بقية الطبقات.

تقييم عام لإصلاحات سولون

والآن ، جاء دورنا فى أن نقرر تقييمًا لما قام به سولون ، دونما شطط أو مبالغة، مع أو ضد ، لأننا ، ببساطة ، لسنا أصحاب مصلحة أو هوى ، للحكم على ماض بعيد ، وصلتنا أخبار متفرقة عنه . ولعلنا – إحقاقاً للحق – يجب علينا أن نستمع أولاً إلى دفاعه هو عن نفسه ، كما سجله لنا أرسطو بأمانة منقطعة النظير :

أولاً : دفاع سولون عن تشريعاته :

(1) يقول سولون[2] : «لقد منحت الشعب من السلطان مايكفى من غير أن أحرمه شيئاً من حقوقه ، أو أن أضيف إليه ماليس له . أما الذين كانوا يملكون القوة وكانت ثروتهم تعرضهم للحسد فقد حظرت عليهم أيضًا كل إشراف . لقد وقفت أمام الحزبين محتمياً بدرقتى ، أتقى بها من كل جانب ، ولم أسمح لأحدهما أن يتفوق ظلماً» .

(2) ويقول كذلك : «وقد وضعت حداً لآلام الشعب ، ولمَ ؟ لكيلا أشهد ، أمام الزمان، هذه الأم العظيمة الخيرة ، أم آلهة «أوليمبوس» ... لقد كانت أمَةً بالأمس ، وهى اليوم حرة . كثيرة هو عد هؤلاء الذين رددتهم إلى أثينا ، هذا الوطن الذين أقامته الآلهة . لقد بيع كثير منهم ، عدلاً مرة ، وجوراً أخرى . هؤلاء قضت عليهم الضرورة بالنفى ... وآخرون هنا أذلاء قد أذعنوا للسطوة القاهرة ، فهم يضطربون فزعاً أمام سادتهم ، لقد رددتهم جميعاً أحراراً . هذا

---

(1) المرجع السابق ، ص 199 .

(2) نظام الآثينيين ، المرجع السابق ، ص 342 .

ما فعلتُ بقوة القانون . لقد وفّقت بين القوة والعدلِ ، فوفّيت بكل وعودى . لقد شرعت القوانين للأخيار والأشرار ، ضمنتُ لكل منهم نصيباً من العدل ... لهـذا إضطرتنى مـقـاومـة الحـزبين إلى أن أجـدنى بمكان الذئب وقـد حاصرته الكلاب من كل جهة»[1] .

هكذا يقرر سولون ، بنفسه ، بأنه كان عادلاً معتدلاً بين طرفى النزاع : الأغنياء والفقراء ، وأنه لم يستمع لرغبات أى منهما ، ولكنه أعلى الصالح العام لأثينا فوق كل إعتبار ، هذا يتضح فعلاً من كل التشريعات التى أولاها لخدمة الملحة العامة للوطن ، فوصلت إلى خمسة إجراءات ، سبق ذكرها ، بينما تشريعاته لصالح الأغنياء ، فلم تكن جديدة ، أو إخترعها هو من عندياته . بل على العكس ، كانت تشريعاته الخاصة بالفقراء، هى جديدة تماماً وأثارت جدلاً واسعاً ضده ، ولكنه أصر عليها ، بل أعلن عن إسقاط الديون ، حتى قبل إعلان بقية القوانين . **ولهذا يمكن القول بأن سولون قد حمى الآثينيين من شر أنفسهم .**

ثانيًا : رأي أرسطو :

وإننا نرى ، أيضاً ، ضرورة فى الرجوع إلى أرسطو نفسه ، لنسمع منه رأيه فى إصلاحات سولون ، باعتباره أقرب مصدر قديم عن تلك المبادرة الجريئة ، الوطنية الخالصة ، لذلك الآثينى الصادق العادل ، فماذا قال عنه أرسطو ؟ .

لقد سجل أرسطو كلمة حق ، بطريقته التحليلية الدقيقة ، فلاحظ على تشريعات سولون ثلاثة إنجازات «كانت فيما يظهر أميل إلى تأييد الديمقراطية»[2] ، وهى كالتالى:

(أ) إلغاء الديون .

(ب) إعطاء المواطنين حق الإتهام لأى شخص ظالم .

(ج) حق الإستئناف أمام مجالس الحكم .

وعقّب أرسطو على ذلك بقوله : «هذا فيما يقولون مصدر ماحصل عليه الشعب فيما بعد من قوة عظيمة ، فإنه جعل الشعب صاحب السلطان على الإنتخاب بعد أن جعل النظام السياسى خاضعًا لأمره»[3] . وبالرغم من ذلك ، فإننا ، لانميل إلى

---

(1) أرسطو ، المصدر السابق ، ص 343 .

(2) المصدر نفسه ، ص 338 .

(3) المصدر السابق .

إستخدام الكلمات الضخمة ، والشعارات البراقة الخادعة ، فليس هناك - فى تشريعات سولون كلها أية إشارة إلى أنها جعلت الشعب صاحب السيادة والسلطان على الإنتخابات (؟!!) .

وبالرغم مما حدث بين صفوف الشعب الآثينى ، بكل طوائفه ، من لوم ومساءلة لسولون حول قوانينه وتشريعاته ، وأغراضه منها وتفسيراته لها ، مما أحزنه جداً وجعله يقرر ترك أثينا فى رحلة طويلة إستغرقت عشر سنين ، إلى مصر للدراسة فيها والتجارة معها . **«فقد كان يرى أنه ليس من العدل أن يبقى فى المدينة ليفسر القوانين ويؤولها . إنما كان يجب على كل عضو من أعضاء المدينة أن ينفذ القوانين كما هى»**[1] .

ويختتم أرسطو تقييمه لسولون ويحمد فيه موقفه الوطنى الصلب دون التحيز لأى من الفريقين المتصارعين : الأرستقراطيين وعامة الشعب ، فيقول **«فقد آثر إستنقاذ وطنه وشرع أعدل القوانين ، وإن عرّضه ذلك للبُغض والمقت»**[2].

وهكذا ، فإن سولون (فى رأينا) كان حاكم آثينى ، أرادته العناية الإلهية ، أن يخيب آمال الطامعين من الأغنياء ومن الفقراء ، على السواء ، وأن يقرر - بعدالة موزونة بميزان زمانها - رفع الظلم عن كاهل المدينين ، ويحررهم من ربقة الدين ، الذى كلفهم حرياتهم ، فأصبحوا بذلك أحراراً . وهى أولى خطوات الديموقراطية الحقة ، فكيف تتحقق المساواة السياسية فى ظل سادة وعبيد ، بين أبناء الوطن الواحد؟!. **ويكفى سولون ذلك أنه كان البادئ به ، فهو ، بحق ، أول بنّاء أرسى اللبنة الأولى فى هرم الديموقراطية العملاق .**

وعندها ، تدهورت الأحوال فى أثينا وزاد الإضطراب ، مدة غياب سولون عنها ، وإنتهت بانتخاب عشرة لمنصب الأراخنة ، بدلاً من أرخون واحد ، كان توزيعهم كالتالى :

- 5 يمثلون طبقة الأغنياء (Eupatrídai) .
- 3 يمثلون طبقة الفلاحين (Zeugitaí) .
- 2 يمثلون طبقة العمال والحرفيين (Métikoi) .

وكان طابع عدم الإستقرار ، وتصاعد الإضطرابات ، هو الغالب على الحياة الآثينية . وربما يكون مفيداً - فى هذه الجزئية - أن نستمع إلى ماكتبه أرسطو حول

---

(1) المصدر ، ص 341 .

(2) المصدر نفسه .

هذا الموضوع إذ يقول :

«كان بعضهم يعلل سخطه ، قبل كل شئ ، بإسقاط الديون ، الذى إنتهى بهم إلى الفقر . وآخرون كانوا يعلنون سخطهم لما أصاب النظام من تغيير شديد بعد هذه الثورة ، ذات الخطر . وقوم آخرون كان مبعثهم على السخط مايملأ قلوبهم من غيرة وحسد»(1).

وكانت أثينا ، آنذاك ، تنقسم على نفسها بين ثلاثة أحزاب سياسية ، تحمل أسماء أماكن سكناها ومزاولة نشاطها :

(1) حزب أهل الساحل : (Oi parálioi) .

(2) حزب أهل الوادى : (Oi pedíoi) .

(3) حزب أهل الجبل : (Oi diákrioi) .

وواضح أن الحزب الأول كان يضم التجار وأصحاب السفن وتجارة الصادر والوارد من البضائع ، والثانى يضم الفلاحين والزراع ، والثالث يضم الرعاة .

ويهمنا الحزب الأخير ، لأنه كان على رأسه داهية سياسية يُدعى پيسيستراتوس (Peisístratos) ، «الذى كان يظهر أنه أشد الناس ميلاً إلى نصر الديمقراطية»(2) .

ويبدو أن هذا الميل إلى جانب الديمقراطية ، والذى أظهره ذلك الطاغية [الذى إستولى على الحكم فى أثينا بالقوة](3) ، لم يكن إلا غطاءً أخفى پيسيستراتوس تحته مطامعه فى الحكم والاستئثار به ، له ولأولاده من بعده . فقد كان سياسياً ماكراً . فلم يفعل شيئاً إلا وكان وراءه هدف معين يعود عليه بالنفع المباشر . وقد فضحه أرسطو بالرغم من تأكيده على خلاله الطيبة وأخلاقه الحليمة الرفيقة ، وإقراضه المال للفقراء ليتمكنوا من إستثمار أرضهم(4) .

ولعل ماذكره أرسطو من أهدافه الخفية وراء تصرفاته هذه ، الطيبة المظهر ، يفضح به سياسته جميعاً ، ذلك لأن پيسيستراتوس كان يريد تحقيق :

(أ) تفريق الناس وإلهائهم فى أعمالهم حتى لايلتفتوا إلى الأمور العامة .

(ب) زيادة الضرائب وحصيلتها كلما زادت إنتاجية الأرض .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 350 .
(2) ظل يحكم أثينا لمدة (33) عاماً ، قضى منها (19) عاماً فى الحكم و (14) فى المنفى .
(3) المصدر نفسه ، ص 340 .
(4) المصدر نفسه ، ص 344 .

المرحلة الثانية : عصر كليسثينيس (Kleisthénes) :

لم يكن حكم الطغاة لأثينا ، والذى إستمر حوالى 49 (تسعاً وأربعون عاماً)[1] – فى نظرنا – إلا ردة عن مشوار الديمقراطية الذى كان سولون قد بدأه . فبنهاية حكم الطغاة ، حوالى عام 510 ق.م ، أغلق التاريخ الآثينى صفحة سوداء ، دامت حوالى (نصف) قرن من الزمان ، بعد أن وصلت دراما الحرص على الكرسى والسيادة حداً لدرجة أن هيبياس (Hippiás) لم يتورع أن يستعين بأعداء أثينا الخارجين ، مثل أسبرطة والفرس ، ضد معارضة الأرستقراطيين الآثينيين الذين كانوا يحاربوه وقتلوا أخاه .

ومن عجائب الأقدار ، أن يأتى نبيل من أسرة ألكمايون ، التى كان بيسيستراتوس قد شتت شملها ، ونفاها إلى خارج أتيكى ، ويعود ليتسلم حكم أثينا ، بعد فوزه فى صراعه مع ذنب من أذناب الملك الأسبرطى كليومينيس (Kleoménes) ، الذى جاء ليحرر أثينا من هيبياس (؟!) . إنها المصالح ، وراء المواقف ، وليست الأخلاق[2] . وكان إستياء الآثينيين كبيراً مما يجرى على الساحة الآثينية ، فاستغل الأرستقراطيون ، ولاسيما المنفيون (وعلى رأسهم كليسثينيس) ذلك وأحسنوا سبل تعاونهم وأكسبوها شرعية دينية فى نظر الناس ، مما جعلهم يفوزون فى النهاية[3] .

هنا ، يظهر السؤال :

ماذا كان عطاء كليسثينيس فى مشوار الديمقراطية الآثينية ؟ .

إن هذه المرحلة الثانية من مراحل تطور الديمقراطية الآثينية يمكن أن يُنظر إليها باعتبارها مرحلة إذابة الفوارق الطبقية ، كلما أمكن ، وصهر المجتمع الآثينى فى بوتقة واحدة ، هى الولاء للوطن وليس للطبقة الاجتماعية . وليس أدل على ذلك من فهمنا لكل الإجراءات التى إتخذها كليسثينيس ، وهى :

(1) تطوير التقسيم القبلى القديم ، واعتبار التقسيم المكانى (الحى) هو الأصل ، وبذلك قضى على النعرة القبلية القديمة ، وأبعد خطر ثوراتها .

(2) تدعيم شكل ونفوذ مجلس الشورى ، فأصبح تعداده (500) خمسمائة عضو ،

---

(1) المصدر نفسه ، ص 356 .

(2) لقد عالج أستاذنا د. الناصرى هذا الموقف الغريب من أسبرطة وأثبت أنها كانت صاحبة مصلحة حيوية فى القضاء على الطغاة فى أثينا ، برغم صداقتها ، المرجع السابق ، ص 220 .

(3) Biknell. P.J., "The exile of the Alkmeonidai during the Peisistratids Turanny", Historia, XIX (1970), pp. 129-131 .

وأعطاه صلاحيات كاملة : تشريعية ، وقضائية ، وتنفيذية ، وكذلك أمنية[1] .

(3) إنتخاب الأراخنة ، حكام أثينا ، بالإقتراع داخل مجلس الشورى ، بدلاً من التصويت المعروف فى السابق .

(4) إيجاد مجلس عسكرى من عشرة جنرالات (Strategoí) ، واحد من كل قبيلة ، وفق إختيارها ، ويكون على رأس هذا المجلس قائد جيش (Polémarchos) ، وذلك تفادياً لحالة الفوضى ، عند الضرورة ، كما حدث فى عهد الطغاة .

(5) تقنين نظام نفى غير المرغوب فيهم من المواطنين إلى خارج البلاد ، عن طريق الإستفتاء المكتوب على شقافات (Ostrakismós)[2]من خلال شرطين :

(أ) موافقة (100) مائة صوت ، على الأقل .

(ب) مغادرة البلاد لمدة (10) عشر سنوات .

وواضح أن الهدف كان هو التحجيم السريع لأية فرصة للخروج على الشرعية من قبل أفراد لهم أطماع غير دستورية ، ولاسيما رؤساء الأحزاب إذا عظمت قوتهم .

(6) إعطاء المواطنين الآثينيين (كل مواطن مُسجَّل فى حى وفى قبيلة) الحق فى محاكمة الأراخنة أمام مجلس الشورى ، عند نهاية السنة الوظيفية ، أى عند تقديمه تقريره السنوى عن أعماله .

وهنا ، حفظ كليسثينيس التوازن الضرورى بين الحاكم والمحكوم وأعطى لكل منهما الحق الدستورى اللازم لتحقيق الصالح العام .

• تقييم لدور كليسثينيس :

وكالعادة ، نصل إلى عملية تقييم سريعة لتلك المرحلة ، ويجئ فى المقام الأول، من وجهة النظر التاريخية ، حكم المصدر القديم على هذه التجربة ، فلنسمع إلى أرسطو الذى يقول :

«أصبح النظام الآثينى بعد هذا الإصلاح أشد قرباً إلى الديمقراطية منه فى عصر سولون . ذلك أن الطغاة لما أهملوا قوانين سولون ، كانوا كأنهم قد نسخوها . وكان

(1) Rhodes, P.J., The Athenian Boule, Oxford 1972 .

وكذلك حول الكتاب نفسه عرض له باسم :

Wyckerly, J.H.S, XCIII (1973), pp. 255-256 .

(2) Stanton, G. R., "The Introduction of Ostracism and Alcmaeonid Propaganda", J.H.S, XC (1970), pp. 180-182.

كليسثينيس كأنه قد وضع نظمًا جديدة مال فيها إلى إرضاء الشعب ، ومن بين هذه النظم «الأوستراكيزموس»[1] .

ويبدو أن أرسطو قد وجه إهتماماً خاصاً لنظام النفى عن طريق الشقافة ، فراح يعدد أسماء الذين طبّق عليهم هذا النظام ، حتى تم إقرار عودة المنفيين من الخارج ، على ألا يبرحوا منازلهم[2] ، عندما وقع إعتداء الفرس الثانى على أثينا عام 480 ق.م[3] .

ولكننا ، مع كل ماسبق ، لايمكننا أن نتجاهل الأحداث الجسام التى وقعت فى العالم اليونانى ، مع مطلع القرن الخامس ق.م ، وأهمها على الإطلاق الهجوم الفارسى على اليونان عند ماراثون (Marathón)[4] . وإستبسال القوة اليونانية وشجاعتها وتضحياتها العظيمة ، ولاسيما القوة الإسبرطية ، بقيادة ليونيذاس (Leonídas)[5] ، فى موقعة ثيرموبيلاى (Thermop´ylai) . ويعترف أرسطو، بل يحق له أن يفاخر بذلك الإنتصار على أعتى القوى العالمية آنذاك ، فيقول بأن إنتصار الآثينيين أعطى الشعب ثقة وجرأة[6].

وهكذا فإننا نعطى أهمية لأحداث عامى 490 و 480 ق.م ، باعتبارهما القول الفصل والباعث الأول وراء الإسراع بعملية الديمقراطية ، فلولاهما لما اضطر حكام أثينا أن يعطوا صلاحيات كبيرة للشعب أثناء وبعد تلك الحربين . ذلك لأننا ، حتى تلك اللحظة 490 ق.م ، لم تكن تشريعات كليسثينيس كلها أو حتى أغلبها لصالح الديمقراطية ، بل -كما قال أرسطو- وكأنه كان يبنى من جديد ، وكما لو كانت تشريعات سولون قد نسيت تماماً ، فنراه حذراً يعطى باليمين ، ويعود فيأخذ بيسراه ما أعطاه بيمناه . وسار على المنهج نفسه ، مع فارق فى الدرجة طفيف ، الذى كان سولون قد بدأه ، فحاول -هو الآخر- إقامة نوع من التوازن بين الفقراء والأغنياء ، وأضاف سلطة عليا ، ليست تشريعية أو تنفيذية ، بل عسكرية - ليجنب ، عند الضرورة ، كل تلك التنظيمات ويطلق يد العسكريين فى التصرف والحكم . ثم أضاف

(1) المصدر السابق ، ص 361 .

(2) فضلاً عن مساحة أخرى حددها القانون ، إذ يمكن لهم التجول داخلها ، وبالتالى فهذه أقدم صور للإقامة الجبرية ، من الدولة ، ضد بعض الأفراد .

(3) المصدر السابق ، ص ص 362 - 363 .

(4) حوالى 45 ك.م شمال أثينا . عندما ضحى (192) آثينيا بأنفسهم ، بقيادة ميليتياديس ، وخسر الفرس 6400 قتيلاً .

(5) فرقة انتحارية ، لم تستسلم تحت وابل السهام الفارسية ، حتى فنيت عن آخرها .

(6) المصدر السابق ، ص 362 .

وقنن عملية نفى الزعامات الحزبية التى يحس فيها خطراً على نظامه ، أى أنه اتخذ من هذا القانون درعاً لحماية نظامه وحزبه الديمقراطى[1].

فإذا كان ، من ناحية ، قد أذاب المجتمع الآثينى فى بوتقة جغرافية واحدة (تقوم على أساس المكان المحدد فهو الديموس (Démos) ، ثم طور النظام القبلى فأصبح عشرة قبائل ، لا أربع كما كان من قبل . وبهذا ضمن تشتيت قوى القبائل ، وأوجد نوعاً جديداً من الإنتماء) . مما دعم مركز الأغنياء بالضبط كما فعل سولون من قبل -بزيادة عدد أعضاء الجمعية (مجلس الشورى) ، من ناحية أخرى . وبالتالى كسب ولاءهم له ، باعتباره واحداً منهم ، أرستقراطى مثلهم . وقد عانى من حزب الجبل ، حزب الطاغية بيسيستراتوس وأولاده ، والذين كانوا يعتمدون على إثارة العامة والغوغاء وفقراء الآثينيين .

ولهذا كله ، فقد اختلفت الآراء حول تشريعات واصلاحات كليسيثينيس ، وبصفة خاصة حول مفهوم ومعنى كلمتى : إيسونوميا (Isonomía) ، وإيسيجوريا (Isegoria) ، وذلك فى ضوء بعض القيود التى عرفناها عن تلك الفترة ، مثل :

(أ) حرمان بقية إقليم أتيكى من هذه الإصلاحات وتطبيقها فقط على مدينة أثينا.

(ب) عدم اعتبار النساء (gynaíkai) مواطنات آثينيات ، بل هن فقط قاطنات المدينة (Astaí) . وحرمان اليونانيين الأجانب (*)، المعروفين باسم : ميتخى (Metichoi)، ومنهم العبيد ، من حقوق المواطنة الآثينية .

(ج) لازال الشك قائماً فى المعنى -آنذاك- لكلمة «إيسونوميا» والتى يمكن أن تعنى المساواة التامة بين المواطنين أمام القانون ، أو تعنى : المساواة الطبقية بفعل القانون ، أو ، كذلك ، المشاركة المتساوية لجميع طبقات الشعب فى الحكم . ونفس الشك يحوم حول جدوى حرية الكلمة «إيسيجوريا» داخل الجمعية الشعبية ، فأى مشاركة شعبية وقد انصرف الناس عن حضور جلسات تلك الجمعية إحساساً منهم بعدم جدوى ذلك[2] ؟!!! .

وأخيراً نستطيع أن نوجز نقاط الخلاف وأوجه الإتهام ضد النظام الآثينى فى أنه قام على دعاية ، غير حقيقية ، موجهاً سهامه إلى إسبرطة مدعياً بأنه كان رمزاً

---

(1) المصدر السابق ، ص 361 .

(*) اليونانيون الأجانب ، أي من خارج إقليم أتيكي ، وليسوا آثينيين .

(2) كان أستاذنا الناصرى قدعالج هذه الجزئية وأورد مراجع لها وأبرز نقاط الشك والاختلاف ، راجع : المرجع السابق ، ص ص 223 - 226 .

للعدالة الإجتماعية ، وكانت هي رمزاً للرجعية والظلم . وكذلك استند النظام الآثيني على جمهرة غوغائية تقوم على الإثارة والعواطف المجنونة . وليس الانتصار في حرب خارجية هو معيار نجاح النظام السائد في الداخل . كما تم تفسير انتصار أثينا على اسبرطة والحلف البلوبونيزي وإجبار أثينا لأعدائها على قبول مستوطنين منها يعيشون على أرض أخرى في مدينة خاليكس (Chalkís) .

ولنا -بعد كل ذلك من تفصيل يمكن أن يكون مملاً لغير الدارسين- أن نحكم على النظام الآثيني ، من خلال بعض القصص ، الثابتة تاريخياً في كل المصادر التاريخية اليونانية القديمة ، وليس من خلال تفاصيلها . فلعل فيها من المبالغة المقصودة ، ولكنها -على الأقل- قد وقعت بالضرورة .

• القصة الأولى :

تخص ميليتياديس (Melitiádes) ، القائد الآثيني البطل ، الذي كان سبباً مباشراً في انتصار القوة الآثينية على الفرس في ماراثون 490 ق.م ، وكيف لم يغفر له انتصاره ، ذلك ، في عدم محاكمته ، لمجرد فشله في حملة ضد إحدى الجزر ، فكان أن عاقبته أثينا ومات ، بعد قليل من محاكمته ، محطم النفس ، مصاباً بإحباط شديد[1] .

• القصة الثانية :

تخص أعدل وأنزه شخصية عسكرية يونانية آثينية عندما تم نفيه عام 482 ق.م، ولم تشفع له نزاهته وعدله ، حتى كان قد اشتهر بالعادل (Díkaios) ، بل ولم يعترض هو على قرار نفيه الجائر[2]، إنه أريستيديس (Aristeídes) .

• القصة الثالثة :

وتخص ، أيضاً شخصية عسكرية فذة ، وهو بوسانياس (Pausanias) الإسبرطي ، صاحب الانتصار على فلول الهجمة الفارسية الثانية ، في موقعة بلاتيا (Plataia) عام 479 ق.م . عندما حاكمته اسبرطة وقضت عليه بالموت وفر إلى أثينا لاجئاً إلى معبدها (فوق الأكروبوليس) ، إلا أنه ظل به محاصراً ، جائعاً حتى أشرف

---

(1) الناصري ، المرجع السابق ، ص 241 .

(2) ويُحكى أن أريستيديس كتب بنفسه ، لأحد الأميين (أثناء عملية التشقيف لنفيه) اسمه شخصياً، ولم يتهرب أو يخدع المواطن (!!!).
راجع / الناصري ، المرجع السابق ، ص 241 .

على الموت، ومات فعلاً عام 477 ق.م[1]. ولم يغفر له تاريخه المشرِّف ، مقابل بعض الأخطاء منها : الرشوة والتعاون مع الفرس .

- **المرحلة الثالثة والأخيرة :**

وهى فى نظرنا ما بعد حرب سلاميس عام 480 ق.م ، وإعلان الإنتصار الآثينى الكاسح على الفرس[2] ، وظهور نجم ثمستوكليس فى الأفق ، وتفرده بحكم أثينا، وأصبحت أثينا سيدة على البحر كله (بحر إيجه: To Aigaíon) ، شرقه وغربه، بعد طرد الفرس من كل آسيا الصغرى ، وخرجت أثينا كزعيمة لكل العالم اليونانى (عكس اسبرطة التى وصمتها خيانة ملكها باوسانياس 478 ق.م ، وأصبحت قولاً وفعلاً المدافع الأول عن الحريات اليونانية جميعها فى أن مكان . وكان تحصين ثميستوكليس لأثينا وميناءها ، بيريه ، مدخلاً جديداً لأمنها وحصانتها وزيادة ثقتها بنفسها .

عندئذ ظهرت نعرة الإستعلاء والغرور فى السياسة الآثينية الخارجية[3] ، وترأست أثينا حلفاً عسكرياً وبحرياً ، تحت اسم حلف ديلوس[4] ولم تطل مدة زعامة ثميستوكليس ، حيث وجّه إليه الحزب المحافظ تهمة الخيانة (؟!) فاضطر إلى الهرب ، وأحسن ملك الفرس (تخيل أيها القارىء .... هروب إلى العدو ؟!!) إستقباله عام 465ق.م[5] .

ووصلت أثينا بثقتها فى قوتها حداً أن أرسلت أسطولاً كبيراً حوالى عام 454ق.م لمساعدة مصر ضد الاحتلال الفارسى ، ولكنها خسرته جميعاً ومنيت بهزيمة فظيعة . وكان فى عام 494 ق.م . قد حاول كيمون (Kímon) زعيم الحزب المحافظ ، آنذاك، مساعدة إسبرطة ضد ثورة الهيلوتس ، وعاد بقواته مهاناً بعد رفض اسبرطة تلك المساعدة . وقد دفع كيمون ثمناً غالياً لسياسته المسالمة مع إسبرطة ، حيث استطاع كل من إيفياليتس وبيريكليس من إلهاب مشاعر الآثينيين ضده والإقرار بنفيه عام 461ق.م .

(1) أرسطو (نظام الآثينيين) ، المصدر السابق ، ص 360 .

(2) وهى عند أرسطو (المصدر السابق ، ص 398) تمثل الطور السادس فى تغيير النظام الآثينى ، ويتميز بظهور وسيادة مجلس الآريوس على مقدرات السياسة جميعاً .

(3) الناصرى ، المرجع السابق ، ص ص 253 - 255 .

(4) كان مقره المبدئى ، جزيرة ديلوس وسط البحر الإيجى ، ثم ما لبث أثينا أن نقلت خزانته إليها

(5) وكان الملك الفارسى قد عينه حاكماً على إقليم ماجنيسيا ، ولكن ثميستوكليس مات بعد أربعة سنوات فقط ، ميتة غير مشرفة لبطل سلاميس . للمزيد راجع :

Rhodes, P.J., ‘Thucydides on Pausanias and Themistocles”, Historia, XIX (1970), pp. 789-400.

وكان إفيالتيس (Ephiáltes) –رئيساً للحزب الديمقراطى ، ،وقد اشتهر بالعدل والحزم والبعد عن الفساد،[1] ولسوف يذكر له على مر الأجيال أنه أول من تجرأ على مجلس الأريوباجوس ، المجلس الأعلى فى أثينا ، ذى الأصول النبيلة ، والذى كان بيده كل شيء ، عقب انتصار الآثينيين فى سلاميس سنة 480 ق.م ، وظل يحكم ويتحكم طيلة (17) سبعة عشر عاماً[2] ، بعد أن وجه لهذا المجلس ، أمام مجلس الشورى (الخمسمائة) وأمام جمعية الشعب (الإكليسيا : Ekklesía) إتهاماً بالفساد وسوء الإدارة وسلبه كل اختصاصاته وقسمها على مجلسى الشورى والشعب ومجالس القضاء. وقد دفع إيفيالتيس حياته ثمناً لجرأته على الحزب الأرستقراطى ونبلائه فى الوظائف العليا فى السلطة الآثينية ، وقد قام بيريكليس بإكمال مشواره .

وكان أهم إنجاز –على طريق الديمقراطية الحقيقية ، بعد خمس سنوات فقط من مقتل إفيالتيس ، هو إقرار حق الفلاحين (Zeugitai) فى ترشيح أنفسهم لمنصب الأرخون . وبالتالى تم كسر أول وأقدم مظاهر احتكار السلطة العليا فى أثينا ، وانتزاعه من أيدى الأرستقراطيين ، أصحاب الطبقة الأولى فى المجتمع الآثينى . وكان ذلك من أهم وأعظم إنجازات الزعيم بيريكليس (Perikles) .

وإذا ما أحصينا نقاط برنامج بيريكليس الإصلاحى الديمقراطى ، لجاءت كالتالى (منذ أن تولى حكم أثينا عام 461 ق.م) :

(1) تقليص سلطة محكمة الأريوباجوس وقصرها على القضايا الجنائية .

(2) إدخال نظام الأجور والرواتب لكل الوظائف التى تُشغل بالإنتخاب ، منذ عام 457ق.م ، لضمان الجدية فى العمل والحد من الإبتزاز .

(3) فتح باب الترشيح ، أمام المواطنين الآثينيين الأحرار ، لتولى الوظائف العامة ، دون النظر إلى وضعهم الإجتماعى وطبقتهم فى الهرم الإجتماعى الآثينى ، التيموقراطى القديم .

(4) إلغاء نظام الإختيار لمناصب الأراخنة ومجلس الشورى (الخمسمائة) وإقرار نظام القرعة المباشرة من بين المتقدمين الذين تتوافر فيهم شروط الوظائف .

(5) إدخال نظام الأجور لحضور جلسات المحاكم والجمعية الشعبية (الإكليسيا).

(1) أرسطو ، المصدر السابق ، ص 368 .
(2) المصدر نفسه .

• تقـييم عــام :

وكعادتنا –نقدم شهادة أرسطو فى مقدمة مصادرنا ، فهو يقول : **«فأصبح النظام فى عصره أقرب إلى الديمقراطية ، فقد سلب شيوخ مجلس الأريوباجوس بعض ما كان قد بقى لهم من حقوق ، وحوّل الآثينيين إلى السيادة البحرية ، فأشتدت جرأة الشعب وأضاف لنفسه معظم أعمال الحكومة شيئاً فشيئاً»**[1] .

لقد استطاع بيريكليس أن يفـرض على الفُـرس سـلاماً (سـلام كـالياس) عام 449/448ق.م . كما أتم اتفاقية سلام أخرى مع اسبرطة ، لمدة ثلاثين عاماً ابتداءً من 445 ق.م ، وهكذا ساد السلام المنطقة كلها فيما بين 445 - 431 ق.م ، أصبحت أثينا خلالها «جامعة بلاد اليونان» مناراً للثقافة والعلوم والفنون فى كل العالم القديم . إنها الحضارة الكلاسيكية فى قمة ازدهارها وتنوعها وسيادتها .

إنه هنا فقط نحس أن التطور الديمقراطى قد أخذ شكلاً شعبياً ، ومشاركة شعبية واسعة ، فى كل مستويات السلطة الحاكمة . كما نحس اعترافاً بالمجهود البشرى ، أيا كانت طبقته ، وبالتالى ضرورة مكافأته بالأجر ، وفى ذلك إعلاء للإنسان ، وقيمته ، بغض النظر عن أصله . **ولكنها للحق ظلت ديمقراطية منقوصة ، لأنها عنصرية الهدف ، قصرت مزاياها على أحرار أثينا فقط ، دون عبيدها أو حتى بقية اليونانيين خارج تلك المدينة .**

• الخـلاصـة :

ولنا نحن –كعرب– كلمة فى ممارسة الديمقراطية ، قديماً ، وبالرغم من أن أقدم مصادرنا هو يونانى ، مؤرخ وجغرافى ، يدعى سترابون (فى النصف الأخير من القرن الأول ق.م) . ولكنه ليس معنى ذلك أن التجربة العربية لممارسة الديمقراطية تؤرخ فقط بذلك التاريخ ، بل كانت موجودة لعدة قرون سبقت ذلك ، ومرتبطة بالنظام العربى، القبلى القديم . وعندما عرف بها هذا الجغرافى سترابون (Strábon) ، بحكم وصوله إلى المنطقة العربية (مصر) –حوالى ما بين 27 - 19ق.م ـ أدهشته ما عرف ، فسجّل للتاريخ ملامح تلك الديمقراطية التى تتحدى بها أعظم الديمقراطيات ، ليست القديمة فحسب ، بل وديمقراطيات العالم الحديث كذلك .

لقد سجل سترابون خصائص النظام الملكى العربى بخمس جمل ، هى –فى نظرنا– أروع ما يكون لما يسمى الآن بالديمقراطية ، فَرُب نظام ملكى أفضل ألف مرة

---

(1) المصدر السابق ، ص 372 .

من نظام ديمقراطي الإسم ، دكتاتورى المغزى والممارسة !!..!! .

قال سترابون[1] واصفاً الملك العربى القديم ، فى دولة الأنباط (169ق.م-106م) كالتالى :

(1) Rex vero in aula magna plures mensas simul instruit,[2]

(1) أى أنه كان ملكاً ، فى الواقع ، يعيش فى قصور عظيمة ، مليئة بالطاولات ، ومبنية من الحجر .

(2) Adeo rex popularis est, ut non modo ipse sibi ministret, sed interdum etiam aliis ministret.

(2) أنه كان ملكاً محبوباً ، لا يخدم نفسه فقط، بل يخدم الآخرين أحياناً .

(3) Saepe etiam apud populum rationes reddit.

(3) كما كان غالباً ما يقدم للشعب كشف حساب عن دخله .

(4) Nonnumquam etiam in eius vitam inquiritur.

(4) ولم يكن يُسأل عن حياته الخاصة أبداً .

(5) Domus sunt ex lapide pretioso, urbes sine moenibus; nam in pace degunt.

(5) كان قصر الملك من الحجر الكريم ، وكانت المدن دون أسوار ، ولكنهم يعيشون فى سلام .

ولنا هنا كلمة أخيرة هى : هكذا كانت الديمقراطية العربية القديمة : ملك متواضع ، محبوب من شعبه ، يقدم للشعب حساباً عن دخوله ، وبالتالى لا يسأله شعبه عن حقه فى حياته الخاصة . وهكذا ، أيضاً ، يعيش الجميع فى سلام ...... إلخ . بذلك، أتحدى أعرق الديمقراطيات فى العالم الحديث !!! وكفانا ضحكاً على بعض الذقون المتخاذلة أو المتغافلة ، لما يجرى الآن ، من الأمريكان ، تحت سمع وبصر البعض منا ، نحن العرب .. واأسفاه .. بدعوة نشر الديمقراطية ، وتعويد الشعب العراقى على الحرية (!!!) فاحذروا ، يا عرب ، تلك السموم ، والشعارات ، الآنية، لتخريب وتقسيم كيان الأمة العربية .. وإن قادتنا - بإذن الله ورعايته ، لقادرون على إجهاض الفتنة الغربية !!!

تم بحمد الله وفضله

* * *

---

(1) Strabo, XVI, II 26 .

(2) لما كان النص الأصلى اليونانى ، غير ميسور ، فقد تم الاعتماد على الترجمة اللاتينية له .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الإختصارات :

A.J.A. : American Journal of Archaeology.

B.S.A. : Bulletin of the British School of Archaeology at Athens.

J.E.A. : Journal of Egyptian Archaeology.

J.H.S. : Journal of Hellenic Studies.

I.L.N. : Illustrated London News.

O.C.D. : The Oxford Classical Dictionary.

ثانيًا : المصادر القديمة (حسب أقدميتها التاريخية) :

(1) Homer : Iliad & Odyssey.

(2) Hesiod : Works and Days; Theogonia.

(3) Herodotus : Histories.

(4) Thucydides.

(5) Plato.

(6) Aristoteles.

(7) Diodorus.

(8) Strabo.

(9) Plutarchus.

(10) Pausanias.

ثالثاً : المراجع الحديثة :

(1) المراجع العربية (حسب ورودها فى الكتاب)(*) :

(1) **أرنولد توينبى :** تاريخ الحضارة الهيللينية ، ترجمة / رمزى عبده جرجس ، ومراجعة د. محمد صقر خفاجة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1963 .

(2) **أرسطو :** دستور الآثينيين ، ترجمة / طه حسين (عن الفرنسية)، سلسلة المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، المجلد الثامن «علم الإجتماع» ، بيروت (الطبعة الثانية) 1975 .

(3) **نبيل راغب :** مدارس الأدب العالمى (مطبوعات الجديد) القاهرة 1975 .

(4) **محمد حمدى إبراهيم :** دراسة فى نظرية الدراما الإغريقية ، القاهرة 1977 .

(5) **رجب الأثرم :** تاريخ برقة السياسى والاقتصادى ، بنغازى 1975 .

(6) **هاينريش شليمان :** ذهب طروادة ، ترجمة/رشدى السيسى ، سلسلة الألف كتاب، رقم (550) .

(7) **عبداللطيف أحمد على :** التاريخ اليونانى ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1963 .

(8) **فاروق كامل عز الدين :** دراسات فى جغرافية الإنسان ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة 1980 .

(9) **ليونارد وولى :** أضواء على العصر الحجرى الحديث ، ترجمة د. يسرى الجوهرى، بيروت 1963 .

(10) **محمد غلاب :** الفكر اليونانى أو الأدب الهيللينى ، ط/1 ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة 1952 .

(11) **محمد صقر خفاجة :** تاريخ الأدب اليونانى ، سلسلة الألف كتاب رقم (61) ، القاهرة 1961 .

(12) **محمد صقر خفاجة :** هوميروس ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة 1956 .

(13) **عبدالمعطى شعراوى :** الأساطير الإغريقية ، الجزء الأول ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة1982 .

(*) وكذلك تم ترتيبها هنا وفق المنهج العربى الأيسر ، بكامل الإسم وترتيبه الطبيعى ، وليس بتقديم اللقب (Surname) كما يفعل الأجانب وفق تراثهم هم .

(14) عبدالمعطى شعراوى : هوميروس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (المكتبة الثقافية / 265) ، القاهرة 1971 .

(15) طه حسين: «بين الشرق والغرب» ، مقالة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، المجلد الثامن (علم الاجتماع)، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت 1975 .

(16) لطفى عبد الوهاب : «عالم هوميروس» مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر (3) ، الكويت 1981 .

(17) لطفى عبدالوهاب : اليونان (مقدمة فى التاريخ الحضارى) ، الإسكندرية (د. ت).

(18) أحمد عتمان : الشعر الإغريقى (تراثاً إنسانياً وعالمياً) ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1984 .

(19) سيد أحمد على الناصرى : الإغريق (تاريخهم وحضارتهم) ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1981 .

(20) أمين سلامة : معجم الإعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1955 .

(21) عبدالواحد وافى : الأدب اليونانى القديم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة 1979 .

(22) أحمد غزال : «تطوير الفن الإغريقى فى العصر الهيللادى والتأثيرات المصرية» ، عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر (العصور الكلاسيكية) ، 3 الكويت 1981 .

(23) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الثانى ، القاهرة 1957 .

(24) مارتن برنال : أثينة السوداء (ترجمة نخبة من أساتذة التخصص)، تحرير / أحمد عتمان ، الجزء الأول، القاهرة 1997 .

(25) مارتن برنال : أثينة السوداء (ترجمة نخبة من أساتذة التخصص)، تحرير / محمود السعدنى ، الجزء الثانى ، المجلس الأعلى للثقافة (676) ، القاهرة 2005 .

(ب) أهم المراجع الأجنبية (حسب ورودها فى الكتاب) :

(1) Littman, R.J., The Greek Experiment : Imperialism and Social Conflict : 800-400 B.C., London 1974.

(2) Lellos, L.B., Greece : History, Museums, Monuments, Athens 1973.

(3) Hammond, N.G.L.A., A History of Greece, Oxford 1967.

(4) Vermeule, E., Greece in the Bronze Age, Chicago and London 1972.

(5) Tsountas, Chr. - Manatt, J.I., The Mycenaean Age, Boston and New York 1897.

(6) Ventris, M. - Chadwick, J., The Decipherment of Linear B Tablets, London 1957.

(7) Hood, S., The Home of the Heroes : The Aegean before the Greeks, London 1974.

(8) Toynbee, A., The Greeks and their Heritages, Oxford 1981.

(9) Hansen, H., Early Civilization in Thessaly, 1933.

(10) Webb, V., Archaic Greek Faience, Warminter (England) 1978.

(11) Burn, A.R., The Pelican History of Greece, Great Britain 1965.

(12) Isham, N.M., The Homeric Palace, Preston and Rounds Company 1898.

(13) Stubbings, F., "The Expansion of Mycenaean Civilization", C.A.H., vol II (Rev. edi.) 1964.

(14) Furumark, A., The Mycenaean Pottery, Stockholm 1941.

(15) Desborough, R.E.D., The Greek Dark Ages, London-Bonn 1972.

(16) Andrewes, A., Greek Society, Pelican Books, 1967.

(17) Nilsson, M.P., The Mycenaean Origin of Greek Mythology, Berkely 1932.

(18) Barnett, R.D., Elements Orientaux dans la Religion grecque ancienne, Colloque de Strasbourg, Paris 1958.

(19) Sandars, N.K., The Sea-Peoples, London 1978.

(20) Coldstream, N., Geometric Greece, London 1977.

(21) Sakellarakis, J., "Mycenaen Stone Vases", Studi Micenei ed Egea antolici, XVII (1976).

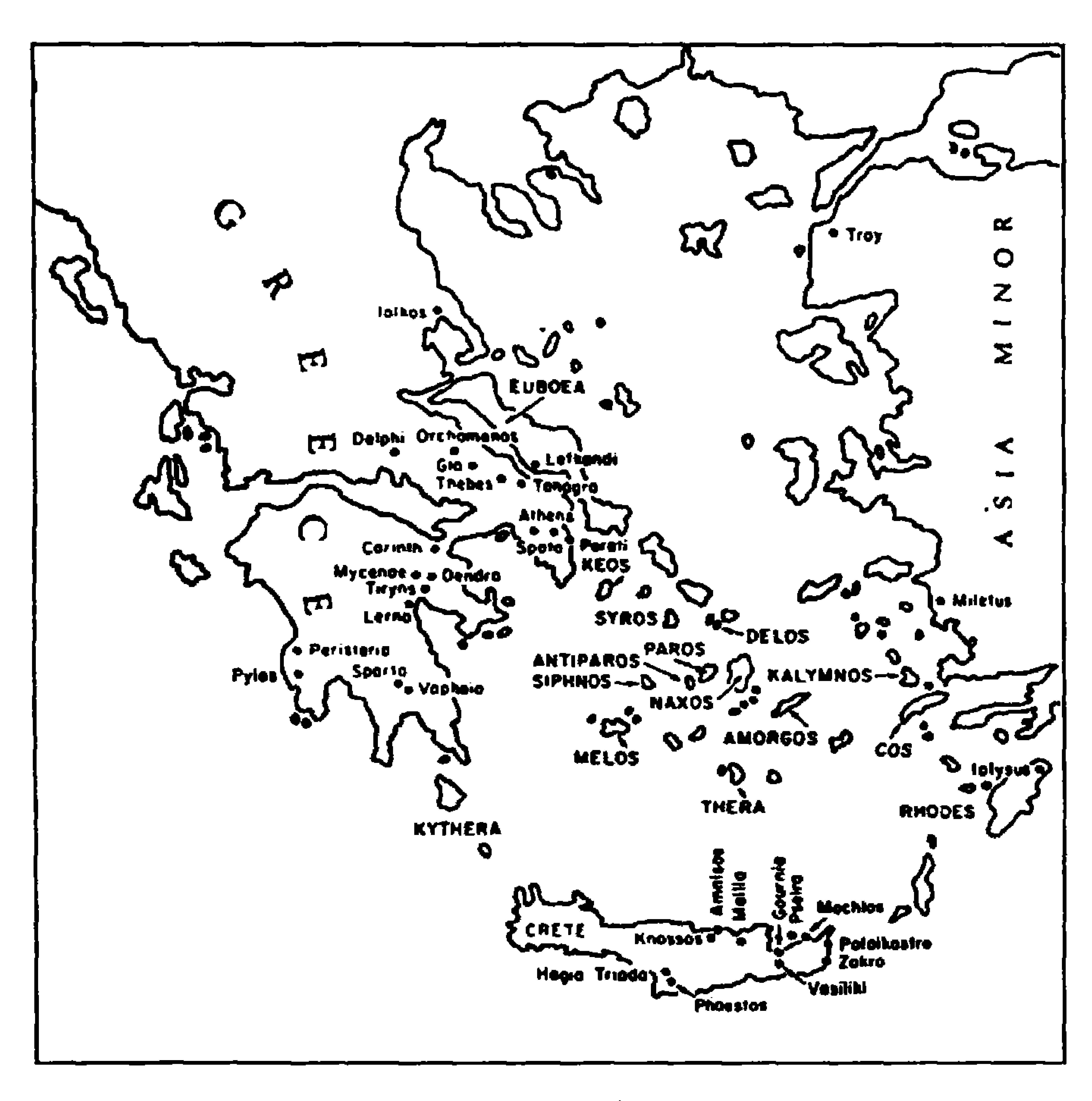
(22) Boardman, J., The Greeks Overseas, London 1961.

(23) Cloche, P., La Democracie Athenienne, Paris 1951.

(24) Elsaadani, M., "The Rendering of Ta-wrt in Creto-Mycenaean Art", The Congress of Mycenaean Studies, Kalamata, Greece 1980.

(25) Elsaadani, M., "Pre-Saïtic Egyptian Deities in Crete", The 5th International Congress of Minoam Studies, Hagio Nikolaos, Crete, Greece 1981.

الأشكال واللوحات



شكل رقم (1)

خريطة لليونان وأشهر مواقعها وجزرها

	CRETE	CYCLADES	GREECE	EGYPT	
					DYNASTY
2800					II
2700	EM I	EC I	EH I		III
2600				OLD KING-DOM	IV
2500					V
2400	EM II	EC II	EH II		
2300					VI
2200					
2100	EM III	EC III	EH III	1st INTER	VII - X
2000	MM I				XI
1900		MC I		MIDDLE KING-DOM	XII
1800	MM II	MC II	MH		
1700				2nd INTER	XIII - XVII
1600	MM III	MC III			
1500	LM I A LM I B		LH I		
1400	LM II		LH II	NEW KING-DOM	XVIII
1300	LM III A		LH III A		
1200	LM III B		LH III B		
1100	LM III C		LH III C		XIX - XX
1000					
900	DARK AGES (GEOMETRIC PERIOD)			LATE PERIOD	XXI - XXII
800					
700					

2 Chronological table of the Aegean Bronze Age. *N.B.* In Crete MMII is found only at Knossos and Phaestos, LMII is found only at Knossos. In the Cyclades the subdivisions of the Late Cycladic period are seldom used; the LM and LH systems are used instead. In Greece MH is not yet susceptible of division into phases. The terms LH and 'Mycenaean' are synonymous. In Egypt, Inter=Intermediate

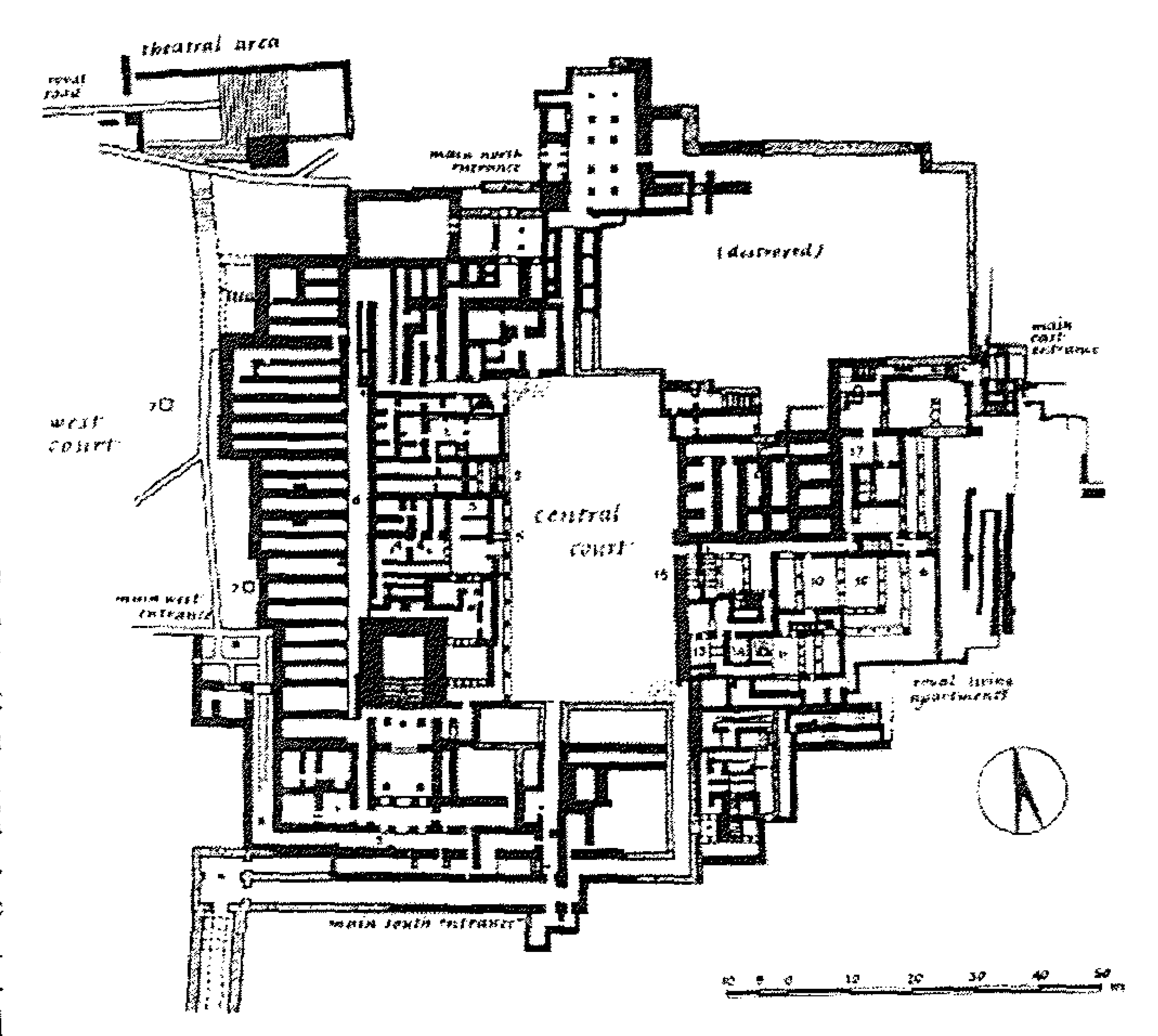
شكل رقم (2)

لوحة تاريخية مقارنة لحضارات شرق حوض البحر المتوسط القديم

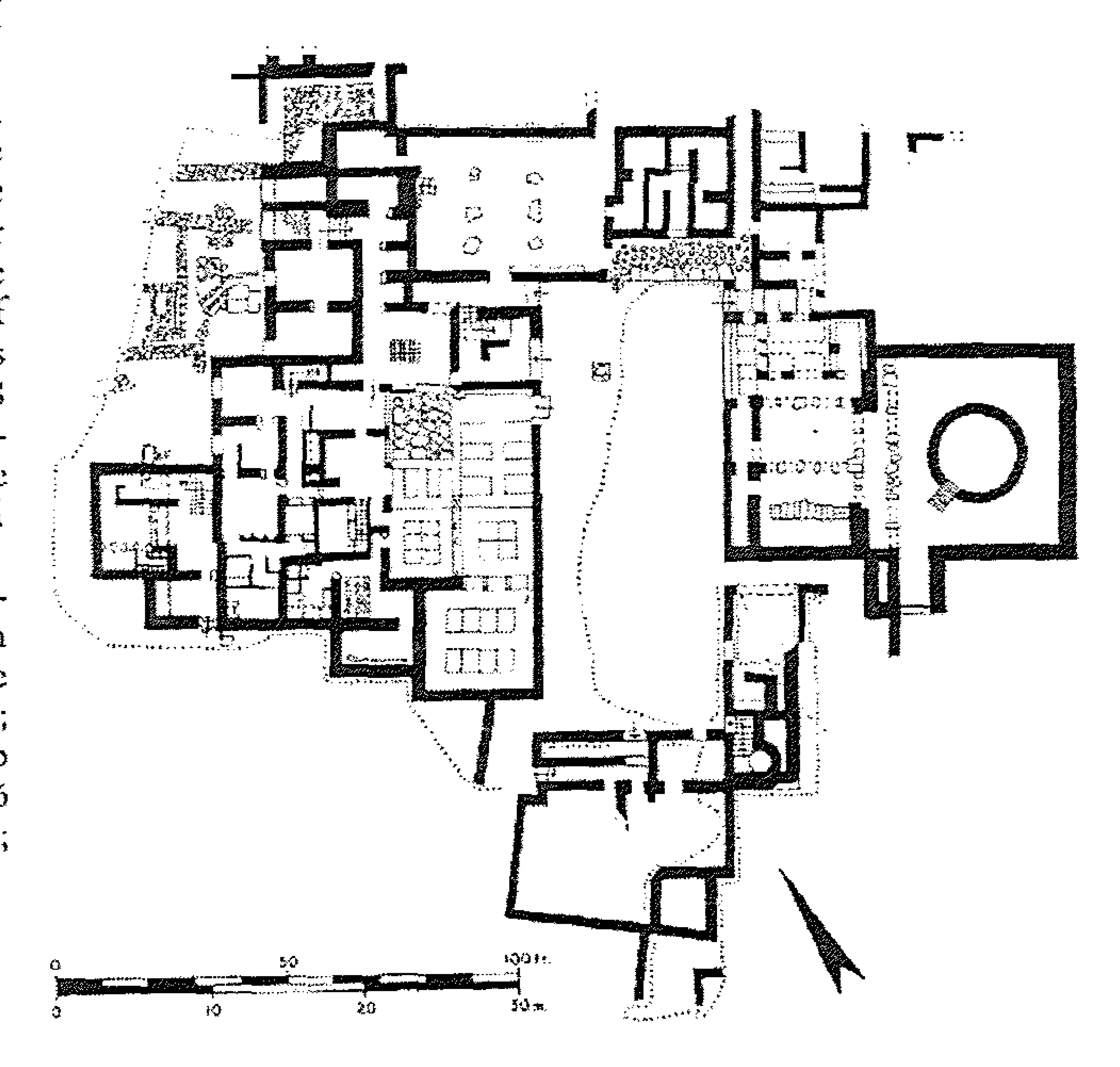
—'Ιερογλυφικά σύμβολα τοῦ δίσκου τῆς Φαιστοῦ.

شكل رقم (3)

علامات لوح فايستوس (Phaïstós) الكريتى الغريب (!!!) فى أشكال حروفه التى تشبه العلامات التصويرية (Pictographic) الهيروغليفية

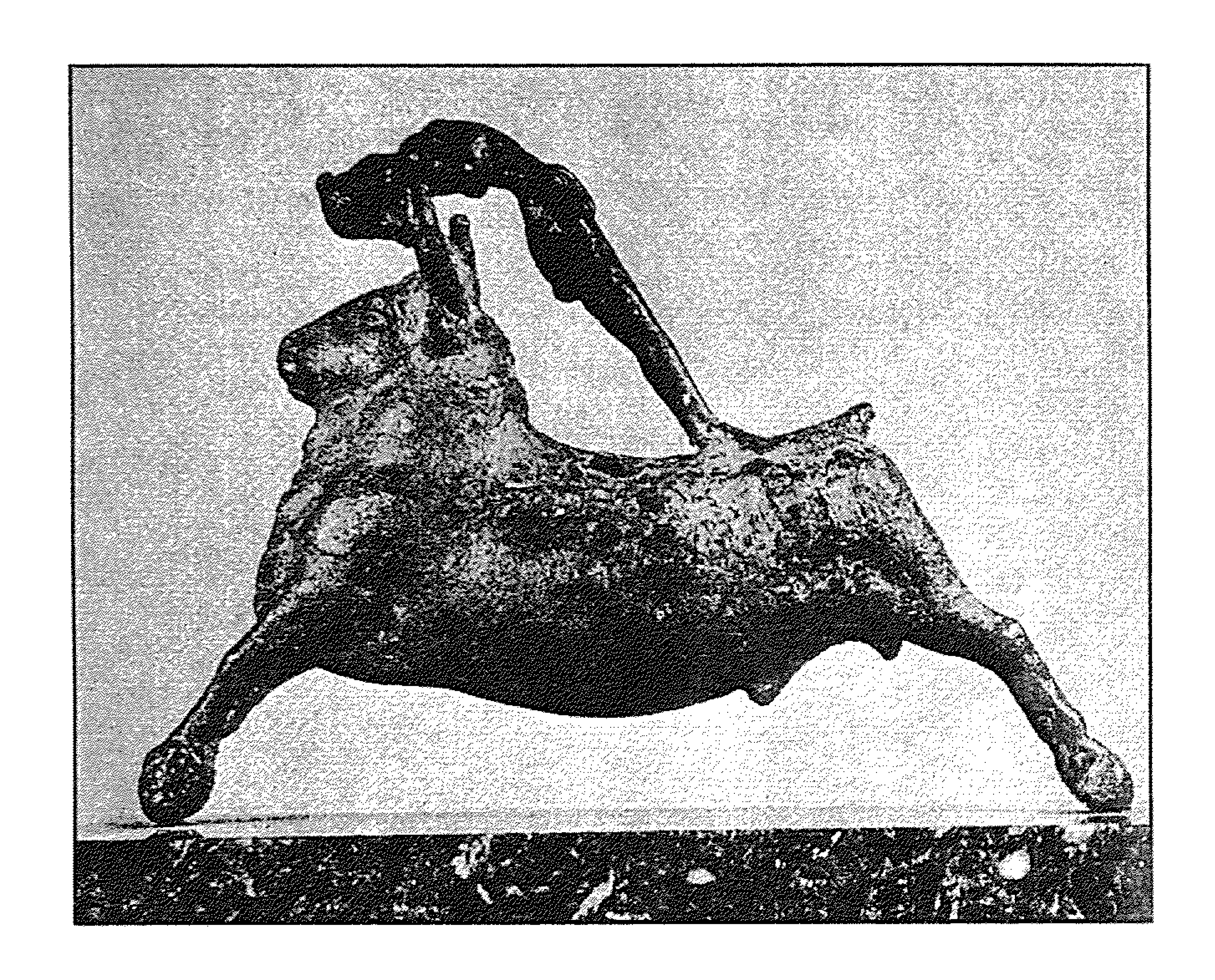


4, 5 Plan of the Palace of Minos at Knossos (*above*) and the newly discovered palace at Zakro (*below*). Features common to all Cretan palaces are the Central Court orientated north-south with the State Apartments on the west and the private rooms of the royal family on the east. Key to plan of Knossos: 1 Throne Room (*Ill. 86*); 2 main staircase to the first floor; 3 Temple Repositories; 4 pillar crypt; 5 Triple Shrine (*Ill. 9*); 6 corridor of the West Magazines (*Ill. 122*); 7 altar; 8 Corridor of the Procession; 9 stair to the first floor; 10 the Hall of the Double Axes; 11 bedroom; 12 bathroom; 13 room with lavatory; 14 private store or treasure room; 15 Grand Staircase to royal living-rooms; 16 Lapidary's Workshop; 17 schoolroom



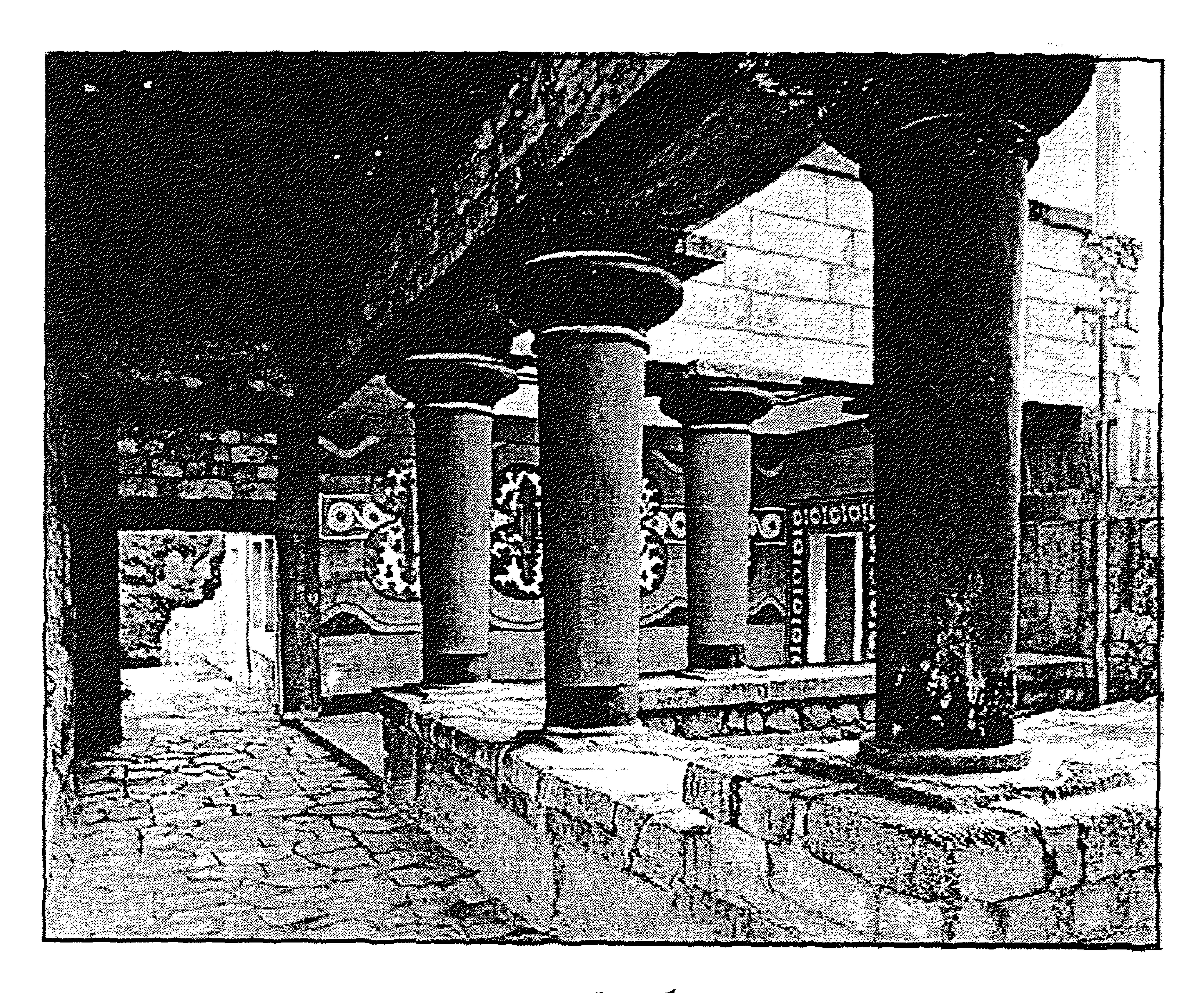
شكل رقم (4)

قطاع أفقي لآثار قصري كنوسوس وزاكروس



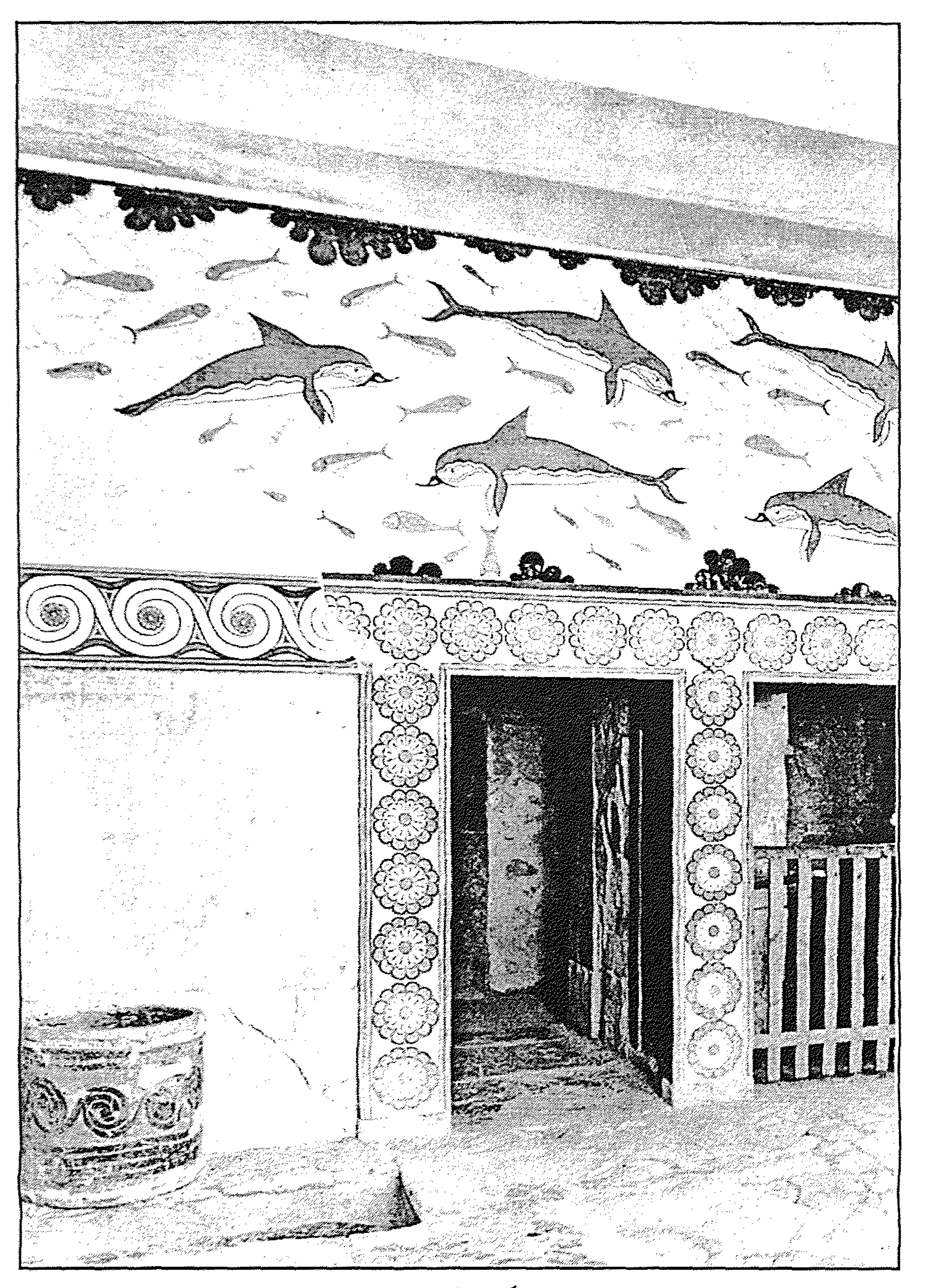
شكل رقم (5)

تمثال من البرونز لثور ولاعب أكروبات



شكل رقم (6)

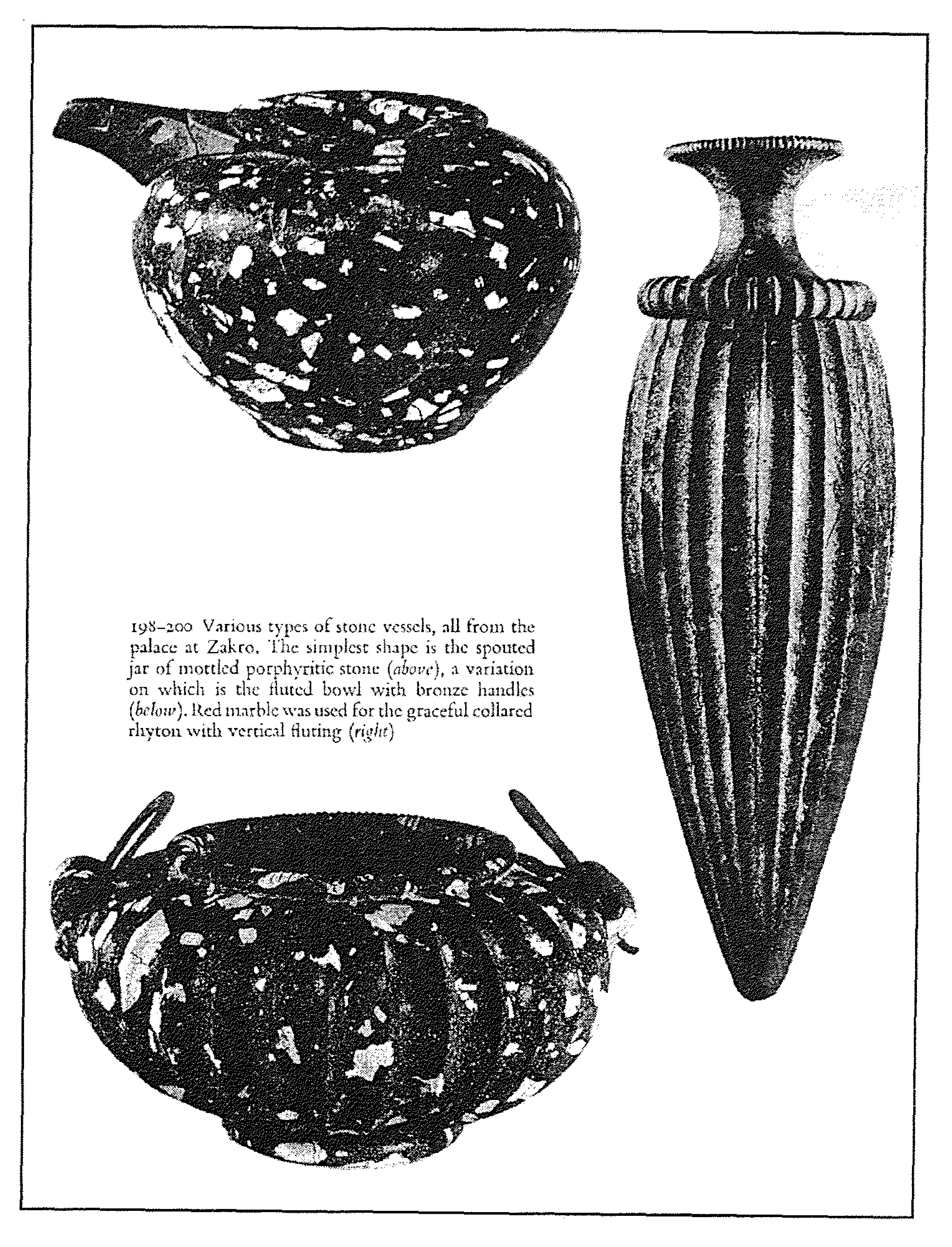
المنور الكبير للجناح الشرقى من قصر كنوسوس



شكل رقم (7)

لوحة جدارية «الدرافيل»

داخل إحدى حجرات الجناح الملكى للسيدات



198–200 Various types of stone vessels, all from the palace at Zakro. The simplest shape is the spouted jar of mottled porphyritic stone (*above*), a variation on which is the fluted bowl with bronze handles (*below*). Red marble was used for the graceful collared rhyton with vertical fluting (*right*)

شكل رقم (8)

آنية حجرية مصرية وكريتية مقلدة لها من قصر زاكروس

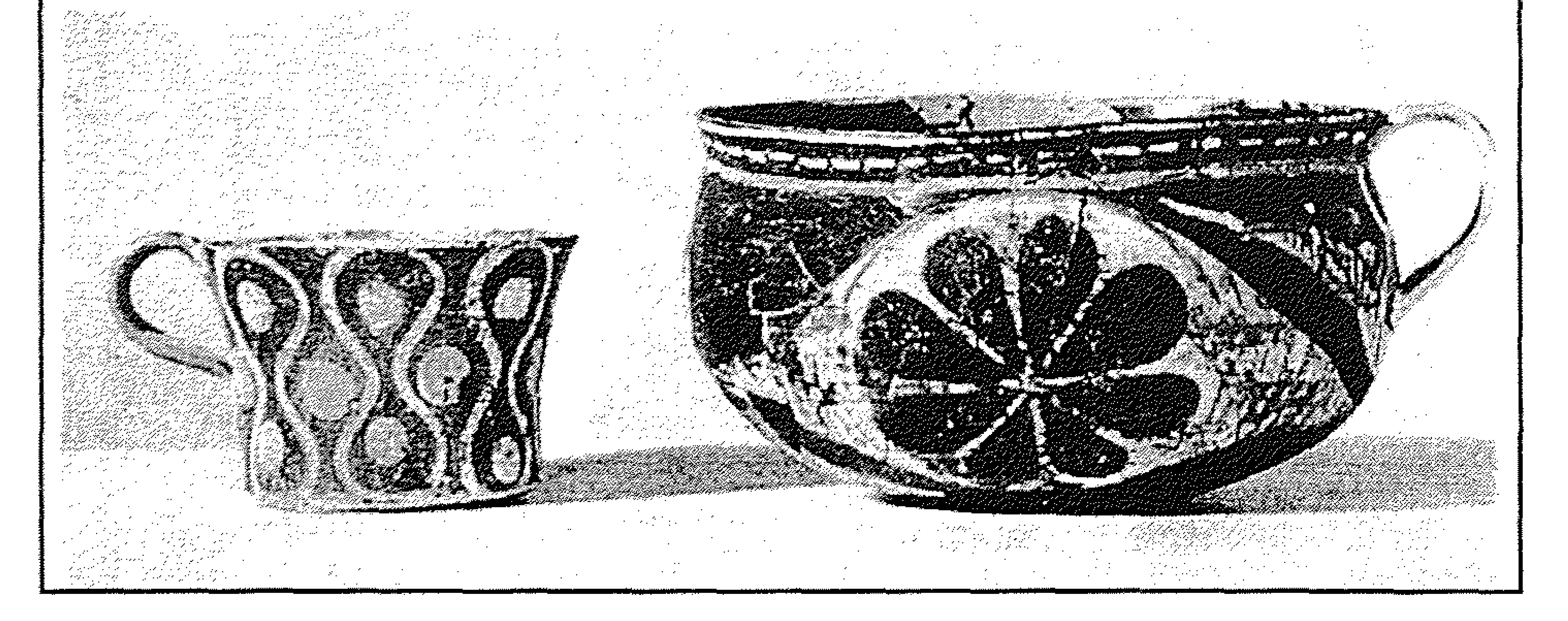
(أ) الشكل المصرى الأصيل مضافًا إليه فم صب السائل .

(ب) ريتون كريتى مموّج السطح ورقبة بإطار ، شكل كريتى أصيل .

(جـ) تقليد كريتى للشكل المصرى (أ) ، مضافًا إليه حلقات برونزية .



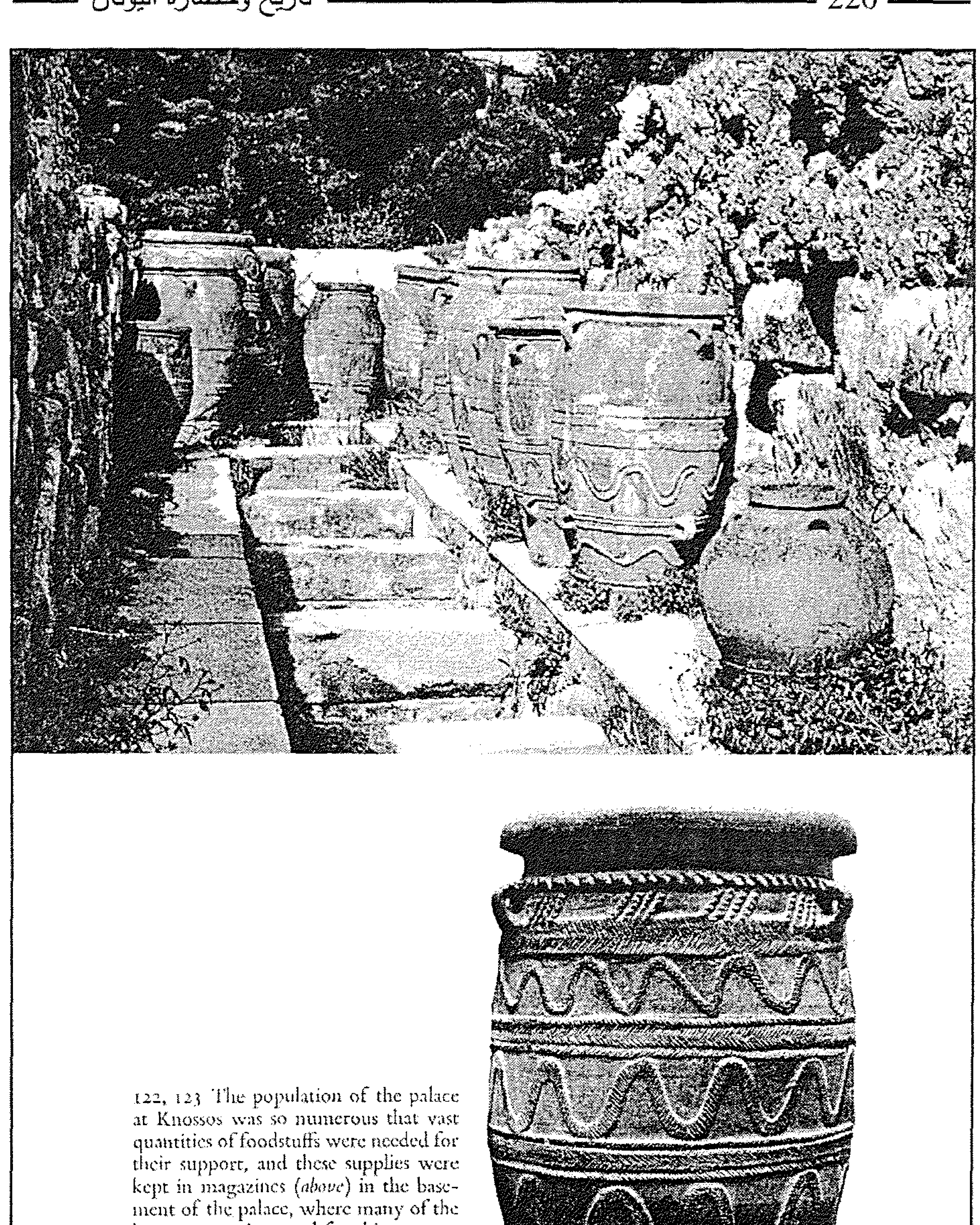
13–15 The rise of the palaces in the Middle Minoan period in Crete brought about tremendous advances in civilization, one of which was the introduction of the potter's wheel. The spouted jar (*above*) from Phaestos is of Kamares Ware, as are the two 'tea-cups' (*below*) and the globular spouted jar (*above, right*). This ware, of very fine clay, has thin walls, and the decoration is a development of light-on-dark enriched with vibrant reds and yellows in intricate flowing designs based on natural forms, giving an impression of controlled movement within the graceful contours of the vase



شكل رقم (9)

نماذج لآنية «كاماريْكا» من قصر فايستوس

معظمها من الفخار الملون السطح بموتيڤات نباتية بديعة .

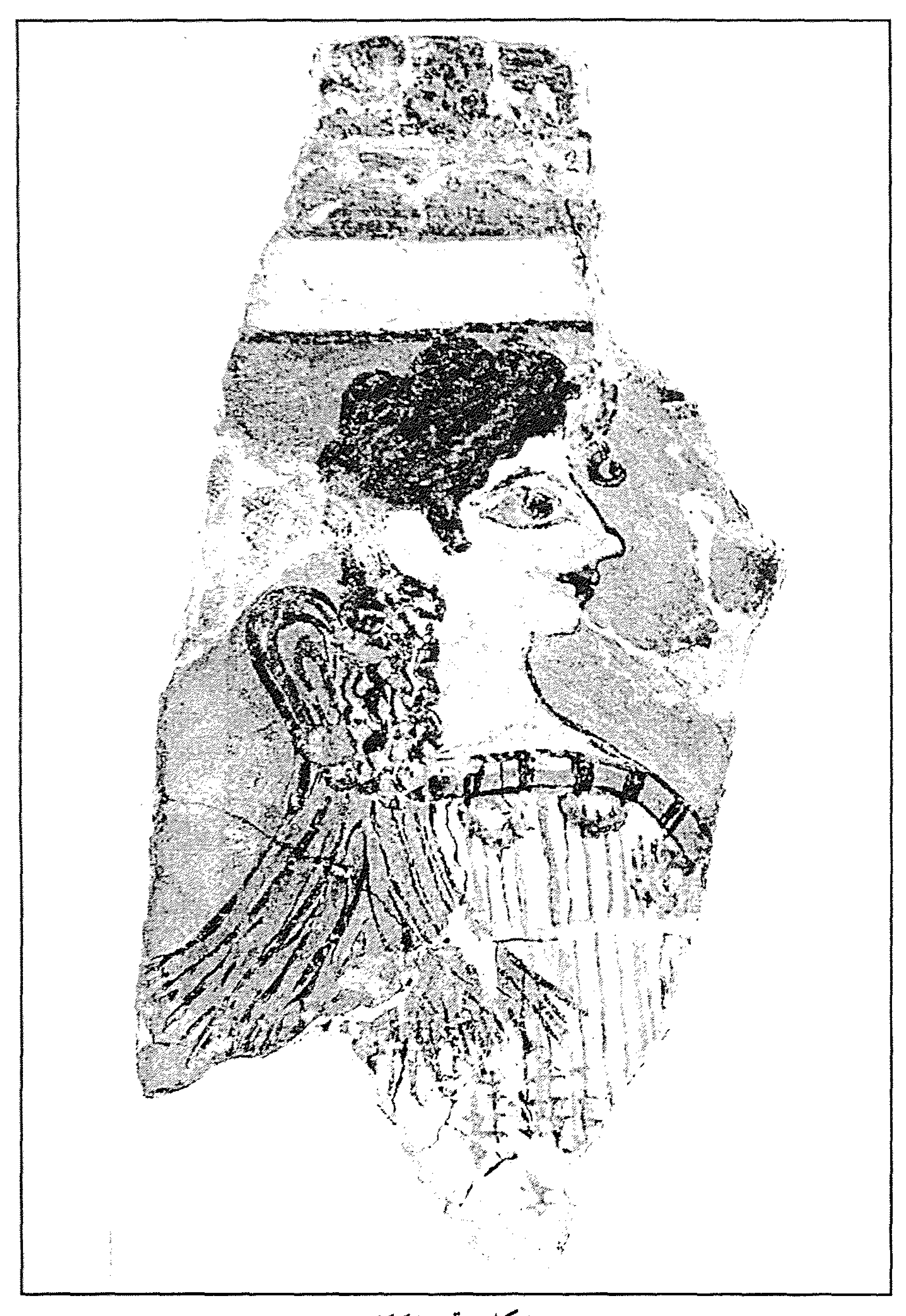


122, 123 The population of the palace at Knossos was so numerous that vast quantities of foodstuffs were needed for their support, and these supplies were kept in magazines (*above*) in the basement of the palace, where many of the large storage-jars used for this purpose were found. These were too large to be thrown on a wheel and had to be built up by hand (*right*)

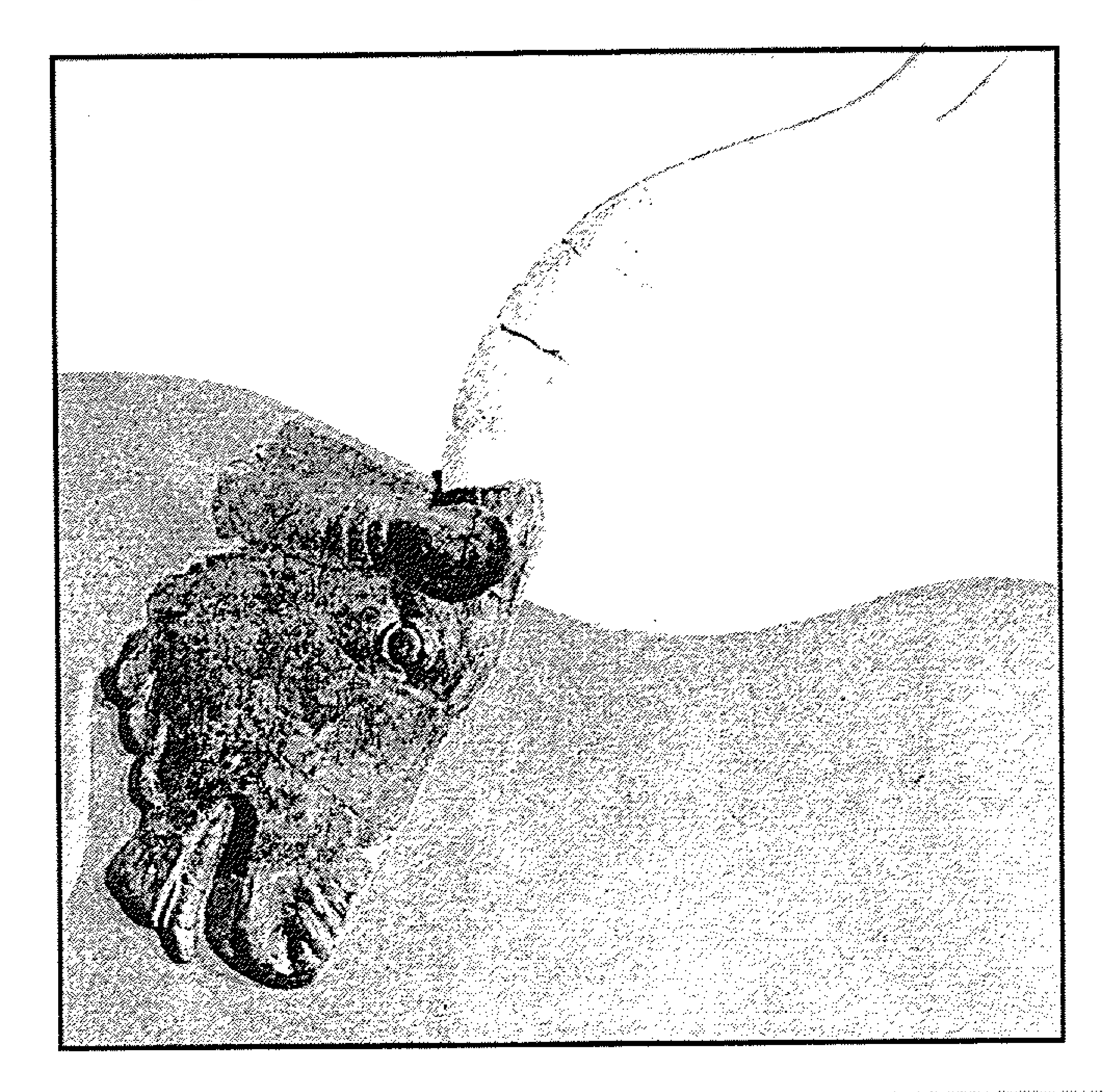
شكل رقم (10)

آنية التخزين (پيثى : Píthoi)

(آنية عملاقة ، يزيد ارتفاعها عن المتر ونصف ، من قصر كنوسوس ، بالدرو الأرضى)



شكل رقم (11)
لوحة المرأة الباريسية
(كما وصفها إيفانز عندما كشف عنها فى قصر كنوسوس)
ومعروضة الآن فى متحف هيراكليون - كريت



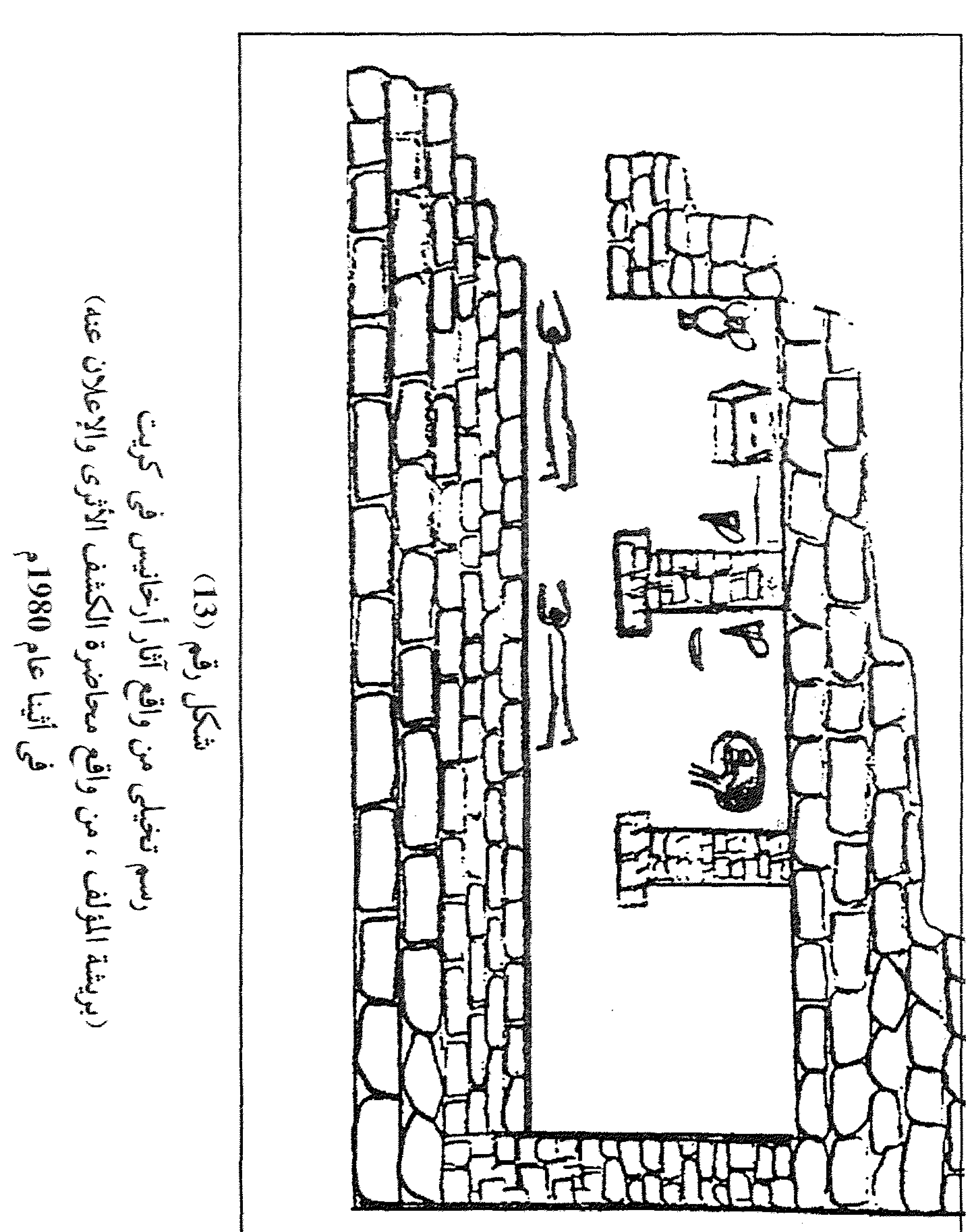


شكل رقم (12)

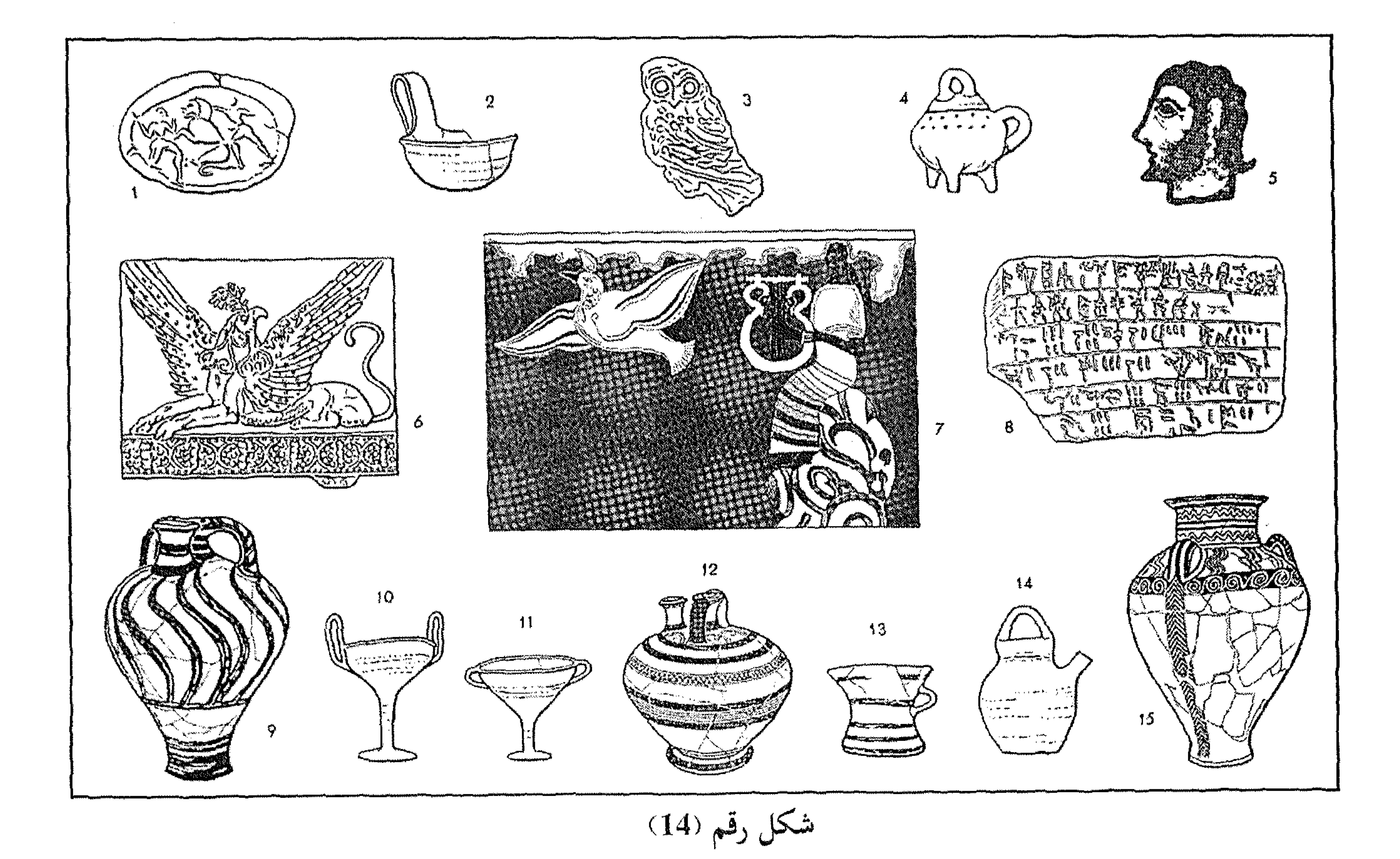
رأس ثور – سيدات فى احتفال (!)

(لوحة جدارية لثور ، مع نحت الرأس ، فقط نحتاً شبه كامل !!!)

ولوحة جدارية تصور أميرات القصر فى لحظة إحتفالية !!!



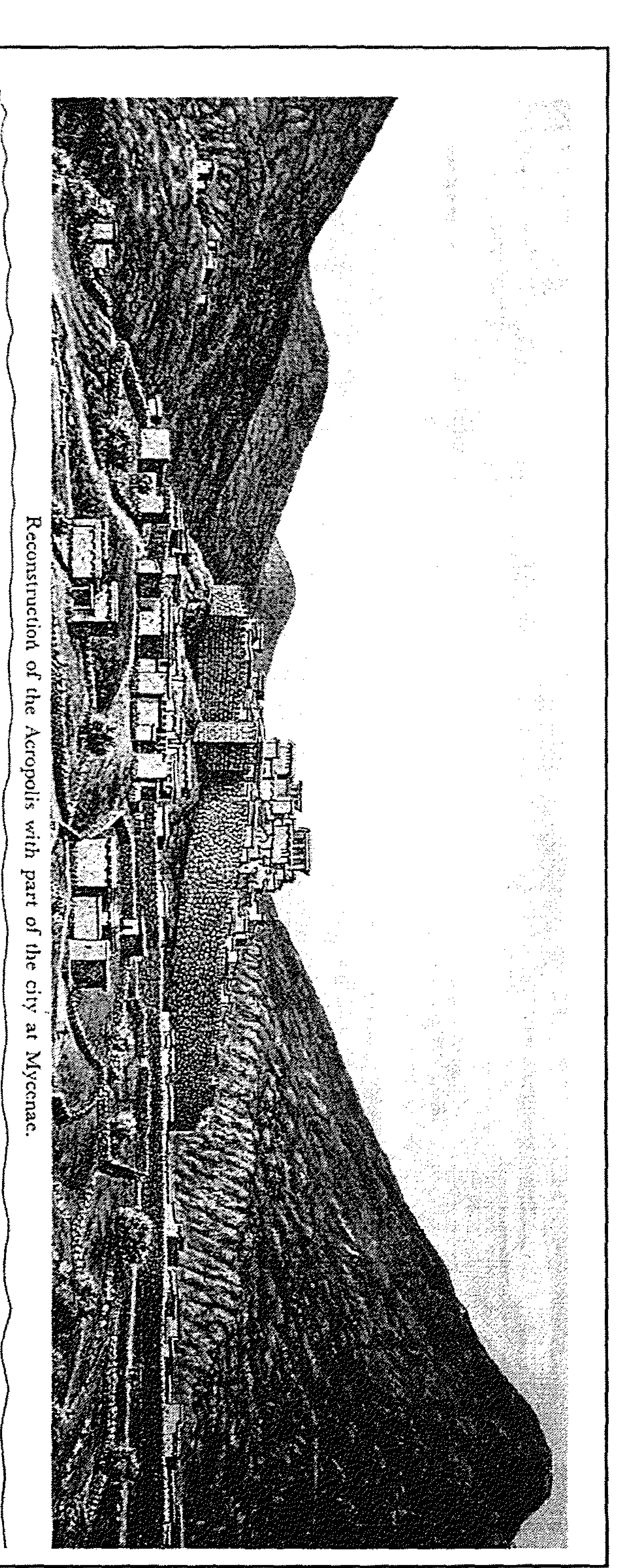
شكل رقم (13)
رسم تخيلى من واقع آثار أرخانيس فى كريت
(بريشة المؤلف ، من واقع محاضرة الكشف الأثرى والإعلان عنه)
فى أثينا عام 1980م



شكل رقم (14)

بعض اكتشافات قصر بيلوس (P´ylos) الميكينى

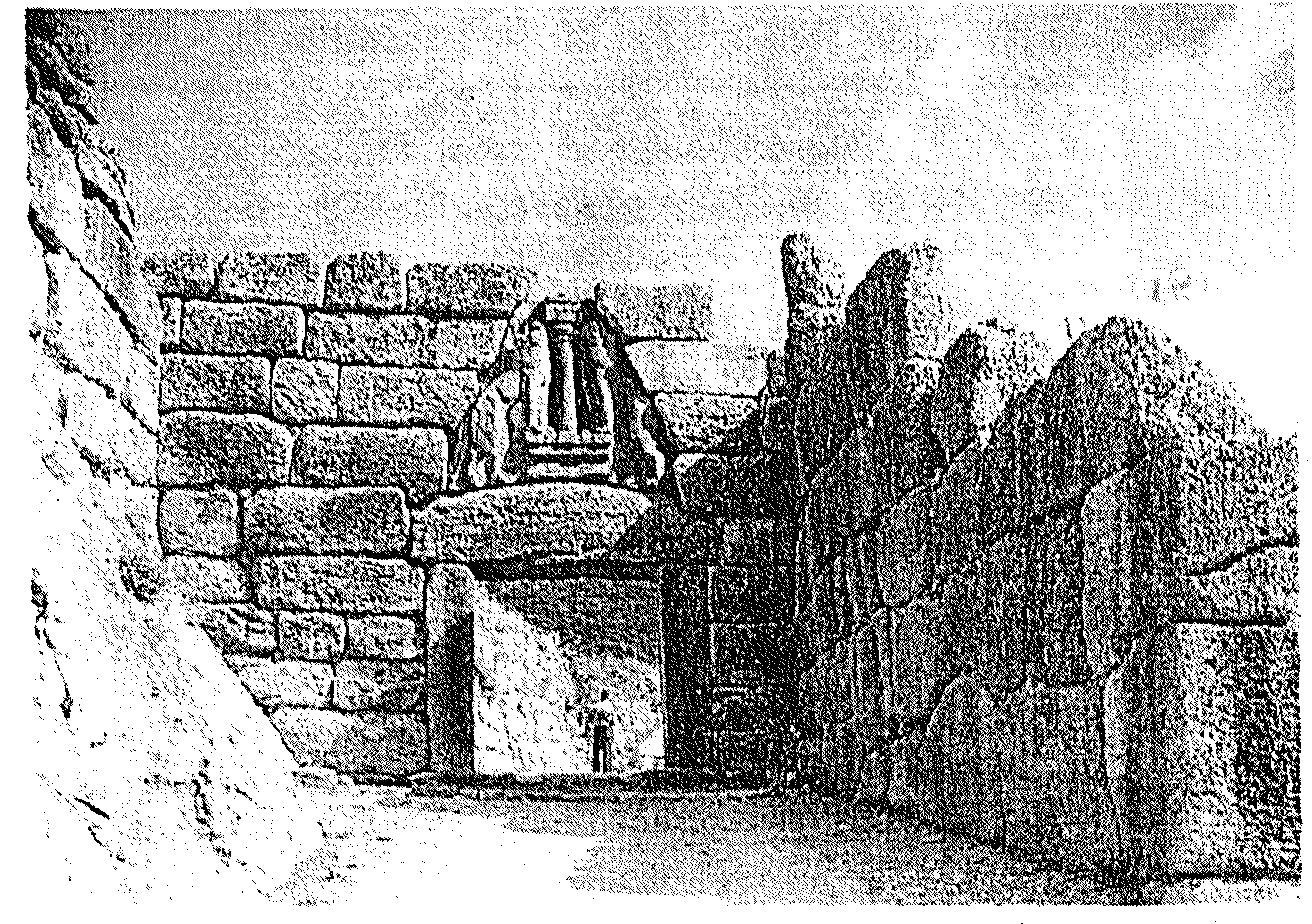
ويتضح تنوع وذوق الأشكال الفنية للإستخدامات اليومية



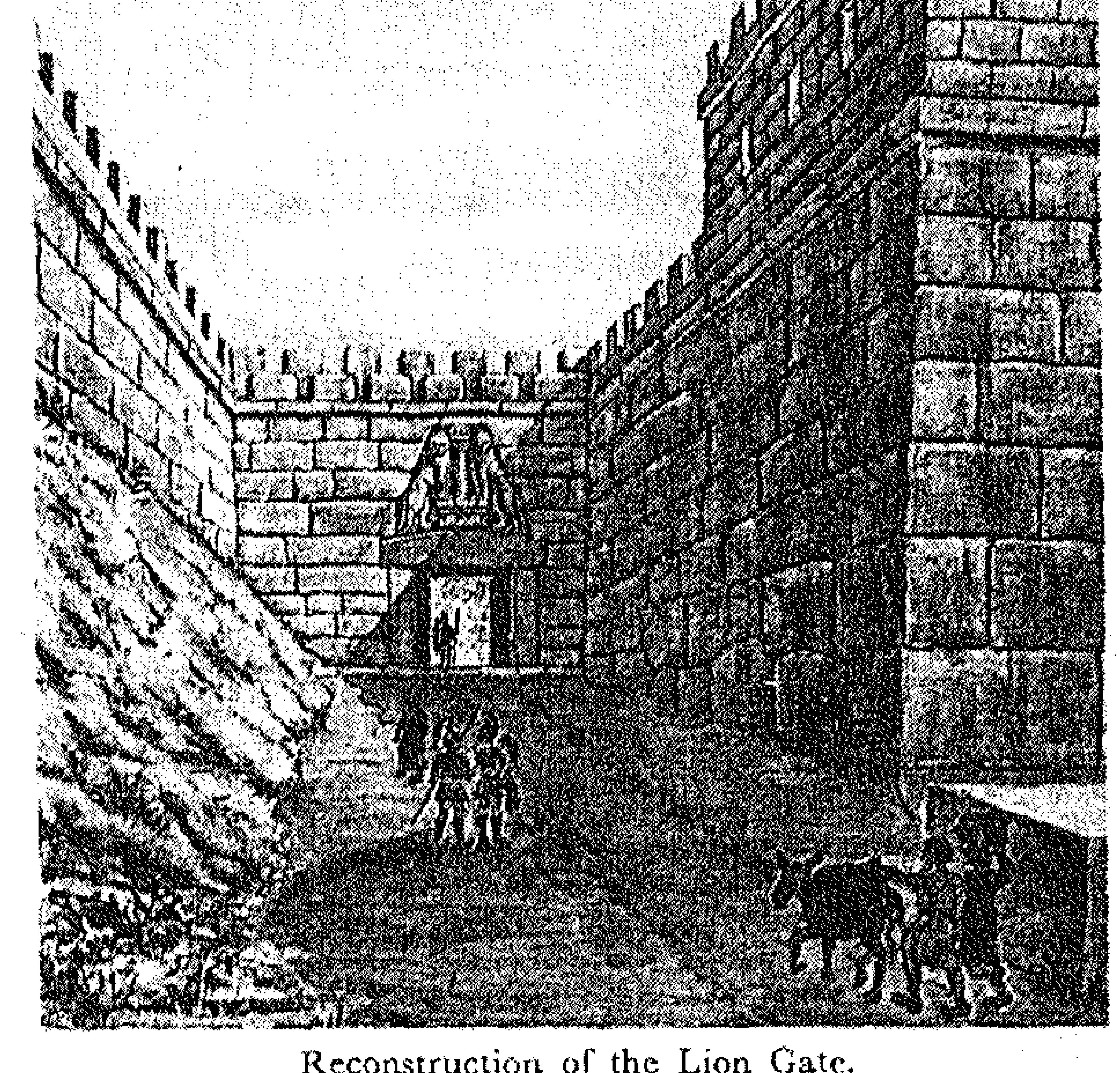
Reconstruction of the Acropolis with part of the city at Mycenae.

شكل رقم (15)

تخيل كامل لما كان عليه قصر ميكينز



The Lion Gate, the main entrance to the Acropolis.



Reconstruction of the Lion Gate.

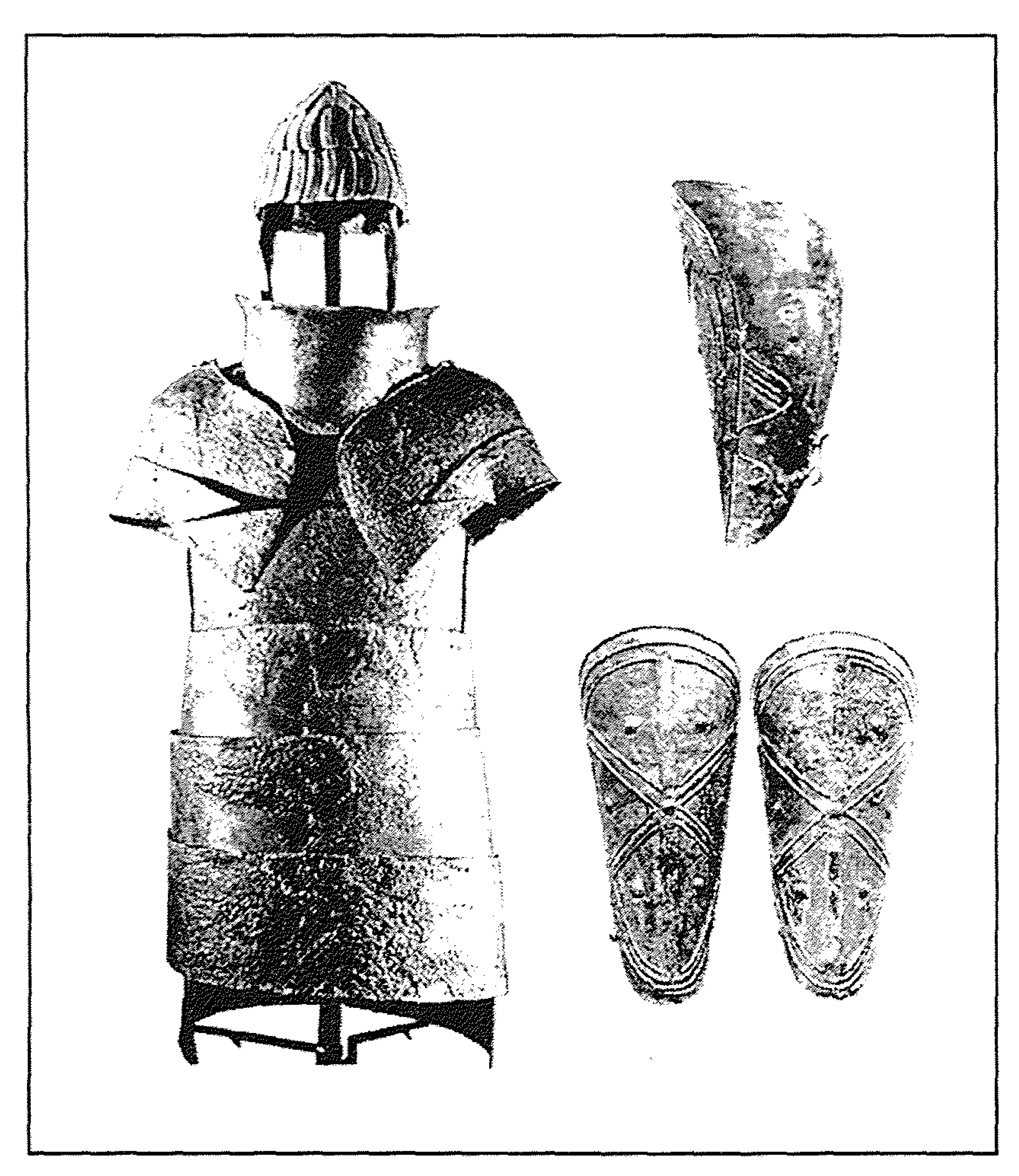
شكل رقم (16)

بوابة الأسود – كما هى عليه الآن

(على اليمين : تخيل كامل لحالتها القديمة ، على اليسار حالة

المدخل الرئيسى للأكروپوليس فى (Mykenes) ، المشهورة باسم

بوابة الأسود ، أعلى البوابة (P´yle ton Leónton)



شكل رقم (17)
مادة أثرية ميكينية (من موقع دندرا) ، فى إقلى أرجوليذا ،
يوضح أدوات التسليح العسكرية للأفراد والمقاتلين



141–3 In the early twelfth century a unique vase was painted with a line of marching warriors (*below*) giving an interesting sidelight on contemporary armaments. A short-lived renaissance of fine painting in the twelfth century gave rise to the Octopus Style (*above, right*) but after 1100 B.C. Mycenaean work degenerated in some areas into the Submycenaean (*above, left*) painted with plain bands and wavy lines

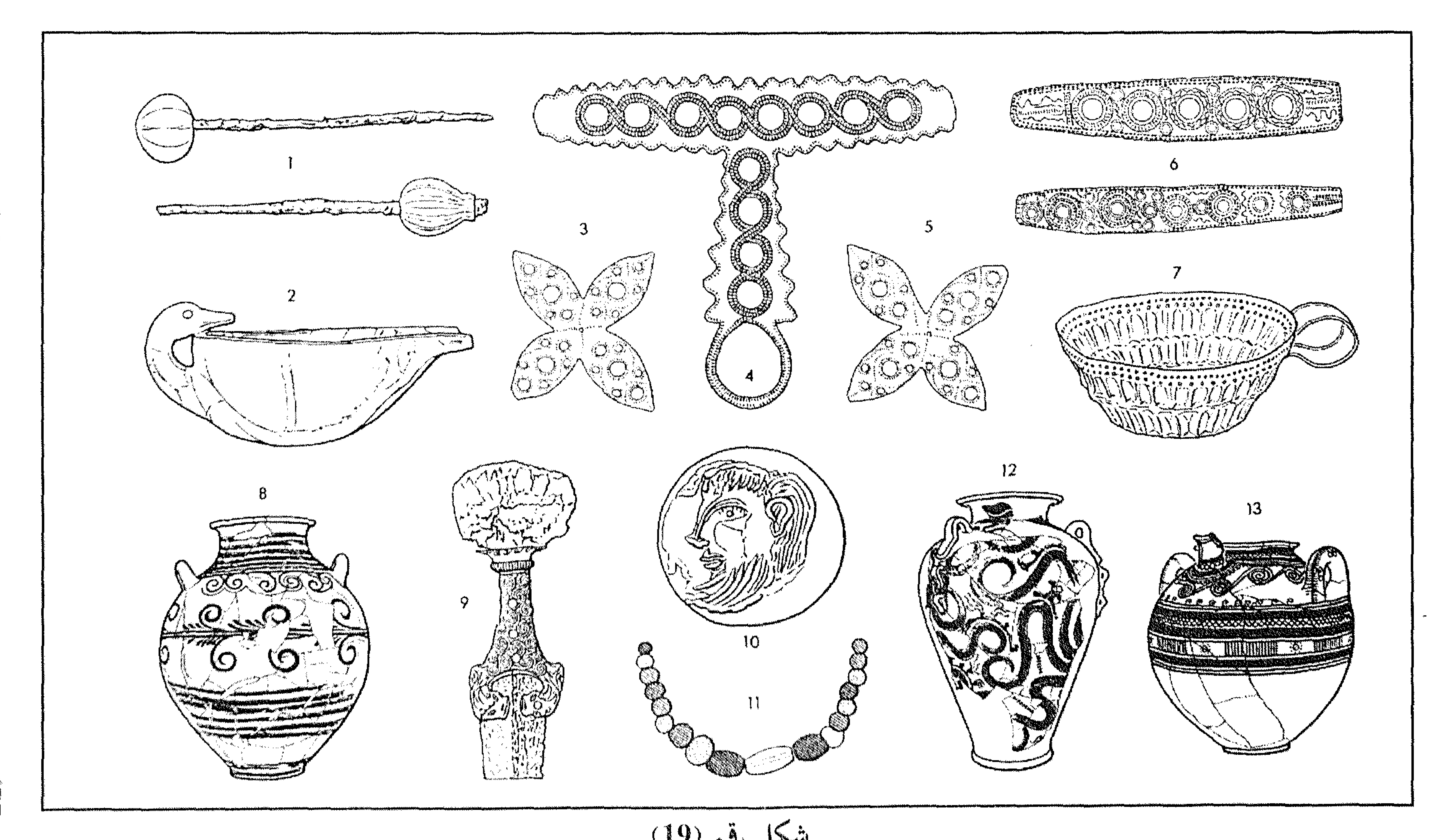


شكل رقم (18)

أشهر نماذج الآنية الميكينية (إناء المحاربين e.g.)

(أعلى نموذجان الآنية ذات الفم المزيف : Pseúdoma angeia)

وأسفل = أشهر إناء ميكيني ، من الفخار الملون والمرسوم ، مصوراً حملة لرجال محاربين ، بأسلحتهم : خوذة ، ورمح ، وترس .



شكل رقم (19)

نماذج عديدة لبعض المكتشفات الأثرية فى موقع القصر الميكينى فوق الأكروبوليس



Gold mask of a Mycenaean king.
Grave V, Grave Circle A.



The Royal Cemetery inside the Acropolis (Grave Circle A) from the N.W.

Gold mask of a Mycenaean king.
Grave IV, Grave Circle A.

شكل رقم (20)

صورة أثرية لبقايا وآثار قصر ميكينز – كما هو حتى الآن – فضلاًعن صورتين لأقنعة بعض الملوك الميكينين ، من الذهب الخالص ، كانت فوق مومياوات أجسادهم داخل القبر الرئيسى (Grare C.1) ، فى القلعة نفسها (Mykenai)





تاريخ وحضارة
اليونان

هذا الكتاب

١- يقدم مادة تفصيلية جديدة على المراجع العربية ، أذ يعرض لتاريخ وحضارة اليونان فيما قبل العصر الكلاسيكى ، وذلك باستفاضة كبيرة لحضارتى كريت وموكيناى.

٢- يضيف كثيرا لموضوعه ، إذ يُضمِّن مراجعه أحدث المراجع اليونانية بأقلام أساتذة التخصص اليونان ، ومن ثم نتعرف ، لأول مرة ، على رأى اليونانين فى حضارتهم القديمة .

٣- لا ينسى صياغة الأسماء (سواء للأماكن أو للأشخاص) بلفظها اليونانى الأصيل ، وللتيسير كتبناها بحروف لاتينية ، فضلاً عن كتابة علامة سلامة النطق ، المعروفة بإسم " Tonos"

٤-يستشير المصادر الأثرية ، لكل فترة ، ولكن لا يستغرق كثيرا فى تفاصيلها ، ويردف ذلك بالمضامين التاريخية والحضارية لها

٥- يناقش ويفند بعض النظريات الأثرية أو التاريخية من منظور مصرى أصيل ، ومنطلقات حضارية مصرية معاصرة للحدث موضوع الدراسة.

٦- يعرض، لأول مرة ، أحدث كشف أثرى يونانى فى كريت ، حول القرابين البشرية منذ القرن ١٧ ق.م.

٧- يؤصل لتاريخ الرياضة والألعاب الرياضية عند اليونان فيما قبل عام الألعاب الأوليمبية.

٨- تقدم وجهة النظر العربية القديمة ، من المصاد اليونانية ذاتها ، أخرى،غير الديموقراطية الغربية الأولى، عند اليونان.

أ.د.

صورة الغلاف

ثولوس من العصر الكلاسيكى كبناء مقدس فى منطقة دلفى أحد أشهر أماكن عبادة الإله أبوللون إله الشباب والقيثارة . القرن السادس قبل الميلاد .



ISBN 977-282-369-1



International House for Cultural Investments Cairo. Egypt

6222006675318